

الماضي يشرق غداً



جنى صرصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غربة الندى 2

الماضي يشرق غداً

رواية

المقدّمة

بينما كانت تتربع البارحة بين أحضان عائلتها، رُسم لها الفراق في قدرها، وليته كان فراقاً جسدياً فقط بل كان ومع الأسف فراقاً كلياً جسداً وروحاً...
تداول استرجاع ما فقدته فتأتيها نوبة ألم قاتلة تصدّها عن المحاولة، أناس ينتظرون عودتها كندی، وآخرون ما هي في نظرهم إلا مجرد اسم "أسيل"...
تسقط البيادق من حولها واحداً تلو الآخر، ينساها أشخاص كما نستهم، ويختفي فجأة كل من كانت تكن له حباً!!...

>> ليس الماضي إلا كنزاً من المهارات

والخبرات بدونها يتخبط الإنسان في الظلام <<

إبراهيم الفقي

تحذير

تمنع طباعة هذه الرواية أو جزء منها بكل طرق الطباعة، والتصوير والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من المؤلفة...

الفصل الأول

ذهاب ما بعد الإياب

1

هدوء ما قبل العاصفة

- " أوهها وحوّطتك بياسين ... أوهها ويا زهر البساتين ... أوهها ويا مصحف صغير ... أوهها على رؤوس السلاطين ... وللليليش "
- أطلقت ندى الخطيب تلك الزغرودة العذبة ثم هتفت من جديد:
- والآن نشاطنا الأول سيكون للاسترخاء ... جيهان من فضلك وّرعي العلب التي تحتوي مساحيق أقنعة الوجه ... سمر وّرعي قطعتين من الخيار لكل واحدة منا لتضعها على عينيها، ريثما أقوم أنا بتوزيع كؤوس العصير المنعش الذي أعدته أمي لنا
- وماذا عني؟! هل سأجلس هكذا من دون حراك؟
- آه يا ابنة خالتي ... أنتِ عروسنا الجميلة لذلك أقامت أختك هذه الحفلة على شرفك، لذا ... أظن أنه من الأفضل أن تتدلي علينا لبعض الوقت ... طبعاً
- أطلقن جميعهن ضحكة خفيفة، فكانت ندى قد دعت جيهان وسمر إلى حفلة أختها، وبعد وضعهن للأقنعة وقطعتي الخيار تربعت كل واحدة منهن على إحدى الأرائك الوثيرة وبدأن بشرب عصير البرتقال...
- وطول فترة الاسترخاء لم تتوقف ألسنتهن عن التثرثرة بالمفيد وغير المفيد إضاعة للوقت، وبعد ربع ساعة نزعن الأقنعة وغسلن وجوههن، ثم بدأ النشاط الثاني فأحضرت ندى وعاء كبير يحتوي على الماء بالإضافة إلى أربعة من قشور الجوز اللواتي قامت بتفريغهن مسبقاً وأربعة شموع، فصاحت جيهان بدهشة:

- ماذا سنفعل بمثل هذه الأشياء؟
- ستأخذ كل واحدة قشرة تُبَّتْ بمنتصفها شمعة، ثم سنضع قشورنا بالماء ونجدف..
- إنها لعبة تقليدية قديمة ... منهجها عبارة عن خزعات!
- يمكنك قول هذا ... فيقال إن صاحبتى القشرتان اللتان تطفيان بقرب بعضهما ستقضيان معظم حياتهما سوياً، أما القشرة التي تنطفأ الشمعة الموجودة داخلها وتبتعد عن الأخريات فيقال أيضاً إن صاحبتها ستترك اللاعبات المتواجدة للأبد، بالإضافة إلى أن صاحبة القشرة التي تبقى بمكانها من دون حراك ستظل تعمل وتطهو بالمنزل ولن يكون لها نشاط أو ما شابه خارجه، أما عن القشرة التي تغرق ... آه دعوني أتذكر ... امممم ... أظنني نسيت!

كتمت أمل ضحكة وهي تقول مشاكسة:

- هل أخبرك سر هذه اللعبة؟ أظن إذا شاهدت مسلسل الكارتون القديم "سالي" ستتعرفون على قواعدها بكل سهولة ويسر نظرت إليها ندى بامتعاض مصطنع ثم مدّت لسانها وقالت مغيظة لها:
- على الأقل أنا حتى الآن أشاهد الكارتون وأفتخر بهذا، ولا أدعي الشيخوخة والكبر مثل بعضهن

أطلقن مجددا ضحكة عذبة ثم قالت سمر بنفاد صبر وبنبرة طفولية:

- "سالي" أم "غراندابيرز" لا يهم ... المهم أن نجرب!
- بدأن اللعب وضحكاتهن المرحّة تطرب كل من يسمعهن كنوتة موسيقية شجية، بداية لم تستطع سمر تحريك قاربها أما قاربي جيهان وأمل فظلا ملتصقين، وللحديث عن قارب ندى فقد انطفأ وولى بعيداً ... بعيداً جداً أي ... إلى أقصى الوعاء...

- هل ستتركينا مجدداً؟!؟

قالتها أمل بنبرة يشوبها الحزن...

- آه يا حبيبتي ... لا يحدد مصير الإنسان من مجرد ... لعبة!
صحيح كلامها فليست اللعبة من ستحدد مصيرها، وإنما قدرها ... الذي
لعله يكون قد رسم لها الفراق مجدداً من حيث لا تحتسب...

- والآن حان وقت الرقص!

هتفت جيهان بحماس وهي تضع قرص الأغاني المنوعة المدمج، ثم
بدأت بالتمايل والرقص بسعادة فقامت بقية الفتيات لتحدون جذوها...

- هيااااااااا وaaaa ... هههههه ... أنت مذهلة يا أمل!!

كانت تتعالى هتافات التشجيع المرحّة والمفعمة بالتفاؤل، وبعد الرقص
استلمت سمر دفعة الحديث:

- والآن لقد حمّلت فلماً بوليسياً فما رأيكن أن نشاهده سوياً؟؟!

- نعم!!!

- ولم لا!

- حسنا دعونا نحضر بعض المقرمشات!

بدأن بمتابعة الفيلم المليء بالإثارة والحماس وعندما فرغن منه قالت
أمل وهي تفرقع أصابعها وابتسامة التحدي تزين ثغرها:

- والآن ... حان دوري ... ما رأيكن بمسابقة لتحديد مستوى
ثقافتكن؟؟

- ثم ... ثقافة ... امممم حسنا ... لن نرفض طلب عروستنا ...

أليس كذلك يا بنات؟

- آه ... نعم نعم!

أمسكت أمل هاتفها المحمول فتربعن جميعاً حولها لتبدأ بتوجيه الأسئلة،
وكانت أشبه بمقدّمة لبرنامج من سيربح المليون!... وبعد انتهائهن طلبت
ندى وجبات سريعة فتناولنها ثم رتبّن المنزل وأخيراً رجعت سمر إلى

منزلها، فمن حسن الحظ أن والدَي ندى كانا خارج المنزل عند عمها خالد، وإلا فإن كل تلك الفوضى التي ارتكبتها لن تروق لأمها البتة!...

وبينما كانت جيهان تعدّل تصفيفة شعرها لمحت ندى تهمةً بمغادرة المنزل فبادرتها بالسؤال على الفور:

- إلى أين تذهبين يا ندى في مثل هذا الوقت المتأخر؟
- ابقِي قليلاً عند أمل ريثما أعود
- لكن ... إلى أين؟

- ستعرفين لاحقاً فلدي عمل مهم ... والآن وداعاً!

لقد أحسنت اختيار الكلمة قبل إغلاقها للباب ... فمن المؤكّد أنها لم تكن تعي أن هذا الباب الذي أوصدته خلفها بإحكام الآن لن تقوى على فتحه إلى بعد وقتٍ ليس بقصيراً!...

عادت جيهان أدراجها بتوتر وهي تفرك شعرها بعصبية، ثم دخلت إلى غرفة المعيشة وقلبت مقلتيها الرماديتين في أرجائها وتمتمت بخفوت: هذا الهدوء يشعرنى بالريبة ... إنه كالهدوء الذي يسبق العاصفة!

دلقت أمل إلى الغرفة ذاتها بسرعة وهي تتكلم بصوت عالي:

- آه ... لقد غدا الجو سيئاً جداً يا ندى ... المطر بدأ يهطل بغزارة والرعد والبرق يهزا الأرجاء ... ندى ... أين ندى يا جيهان حسبتكِ من أغلق الباب خلفه قبل قليل!!!

- ندى ... لقد ... لقد ذهبت إلى عمل مهم ... آه أظنها ستعود حالما ترى ماهيّة الطقس

شعرت أمل بغصة في قلبها فسارعت بوضع يدها عليه ثم قالت بصوت متقطع:

- عمل من دون إخباري؟؟؟ حفظها الله ... سأُتصل بها حالاً

تناولت هاتفها ودونت عليه رقم أختها بأنامل مرتعشة لكنها لم تلبث أن سمعت صوت رنين هاتف ندى، نظرت إلى المنضدة فوجدته يتربع عليها!...

- لقد ... لقد نسيت هاتفها ... يا ربي كيف سأطمأن عليها!!؟

2

بداية النهاية

ربما كانت اللحظة التي صعدت فيها لتقود سيارتها في سبيل تحضير مفاجأة لزفاف أختها هي اللحظة الفاصلة في مسيرتها الشخصية، الضباب في كل مكان والمطر الغزير يطرق على زجاج سيارتها بعنف بينما تشق طريقها بعكس اتجاه الهواء الشديد، ظهرت أمامها سيارة مقبلة من الاتجاه المعاكس فركزت كل جهدها لإدارة المقود نحو اليمين لتتجاسرها في آخر لحظة، ثم تابعت السير بسيارتها غير آبهة بالعواصف التي بدأت تحيط بها، لكن الضباب كان يتزايد ويتزايد إلى أن بدأت تجد صعوبة في محاولة تحسس طريقها، فكرت قليلا: "هل تتوقف وتنتظر انتهاء المطر وانجلاء الضباب ثم تعود أدراجها؟؟ لكن لا، لا تراجع ولا استسلام ... ستهدأ العاصفة بعد دقائق معدودة وستنهي عملها ثم تعود بسلامة"، مشت قليلا بالسيارة بهدوء وتركيز مجهد إلا أن كل التركيز والدقة لم ينفعها بأي شيء فقد كانت تتقدم نحو المصيبة الفاعرة فها دون أن تحتسب أو تدري!!...

مشت أكثر وأكثر إلى أن أحست باقتراب الخطر، حاولت تشغيل كل أضواء السيارة إلا أنها لم تفلح فالأضواء رديئة وضعيفة ولا تكاد تضيء إلا قليلا من المسافة، أكملت سيرها بسرعة أكبر إلى أن تفتنت أنها كانت تقترب نحو هاوية!، ضغطت المكابح فلم تستجب لها ضغطتها بقوة أكبر فأكبر وهي تصرخ، المسافة التي تفصلها عن الهاوية تتقلص وسيارتها لا تتوقف رغم شتى المحاولات!!، لا! سوف تقع!! "هيا أيتها المكابح" استجابت المكابح لاستنجاها وصراخها ولكن ... بعد فوات الأوان، ففي تلك اللحظة بالذات شعرت وكأنها تسقط في بئر عميق

وتسارعت أنفاسها ودقات قلبها بشكل جنوني بينما كانت تصرخ بطريقة هستيرية، ثم بعد هذا بلحظات أحست بارتطام شديد، وبطريقة شديدة على رأسها فأصبحت لا تستطيع تحريكه وسائل دافئ يسيل من طرف جبهتها، كان جسدها عالق بين الكرسي والمقود داخل السيارة التي صارت مهشمة، لقد نجت بأعجوبة إلا أنها بالوقت ذاته شعرت بإعياء وتعب و... ألم!، هل ستستسلم هنا؟؟ هل سينتهي كل شيء؟؟؟، قطعت تأملاتها رائحة ما ... تزداد شدتها رويدا رويدا ... رائحة أشبه برائحة، وقود!!!

"ستنفجر السيارة!!!!" صرخت بفرع حقيقي، ثم بدأت تحاول جاهدة أن تخلص نفسها وتتمكن من الخروج منها، استندت إلى كفها وأخذت تدفع نفسها بقوة حاولت فتح الباب فلم يفتح!، صرخت مجددا وهي تطرقه بكل قوتها المتبقية ففتح أخيرا بينما أصبحت رائحة الوقود لا تقاوم، جرّت نفسها بسرعة وصعوبة ثم حاولت الجري بينما تقاوم آلامها التي لم تعد تعي مصدرها، ركضت إلى أن ... صم صوت انفجار سيارتها أذنيها ودفعته شدته فسقطت بعيدا عن السيارة الملتهبة، إلا أنها أصيبت مّرة أخرى في رأسها عبر ارتطامه بصخرة كبيرة، وعند تلك اللحظة شعرت بالعالم يدور من حولها ثم ابتلعها الظلام وفقدت الإحساس بما حولها ... لتعلن مرورها إلى مرحلة جديدة ولتتحول إلى شخصية أخرى بعيدة تماما عما كانت عليه ... إلى شخصية مجهولة بالنسبة لها وللمحيطين بها!!!

- مرحباً يا أمي كيف حالك؟؟ هل مازلت في منزل عمي خالد؟؟
- آه أهلاً يا أمل كنت سأتصل بك لولا أن سبقتني ... لم يدعنا أي من عمك وزوجته أن يغادر بسبب سوء حالة الطقس، بالمناسبة كيف كانت الحفلة؟! هل أعجبتك أم لا؟؟
- نعم يا أمي ... لقد كانت جميلة

كان صوت أمل يعتريه برود وتوتر مخيفين فلاحظت أمها هذا بسهولة
فهمتفت من على الخط الآخر:

- أمل ... ما به صوتك، هل حصل لأحدكم مكروه؟!
- أمي ... هل ندى عندكم؟؟؟
- ندى؟؟؟ لا ليست عندنا ... هل ... هل خرجت من المنزل؟
- نعم يا أمي لقد خرجت منذ وقت
- وكيف تفعل هذا في هذه الساعة من الليل وهذا الطقس السيء ... وهل كنتِ تعلمين بهذا؟
- لا يا أمي لم يكن لدي علم ... لقد أخبرت جيهان أنه لديها عمل ولم تعطها أية تفاصيل ثم غادرت بسرعة
- حسنا يا ابنتي فليحفظها الله ... اتصلي بها بسرعة ثم عاودي الاتصال بي
- لكن يا أمي...
- لكن ماذا؟؟؟! هيا أسرعي لا وقت لـ لكن
- لقد نسيت ندى هاتفها المحمول هنا ... ولا توجد وسيلة للاتصال بها الآن

أفرغت هذه العبارات بسرعة وهيجان في الهواء فنزلن جميعهن كصاعقة على قلب الأم فقالت بصوت حزين مما بدا واضحا عليها أنها تقاوم عبراتها:

- وما العمل الآن؟ ليس بيدي حيلة ... سأخبر والدك حالاً وأنت اتصلي بمنزل عمك أمني وبمنزل خالتك سعاد أيضاً لعلها لحقت بسمر لأمرٍ مهم
 - حاضر يا أمي سأفعل حالاً ... إلى اللقاء
 - لا حول ولا قوة إلا بالله ... إلى اللقاء يا ابنتي
- أغلقت أمل هاتفها بعصبية ثم قالت لجيهان:

- جيهان من فضلكِ اتصلي بسمر ريثما اتصل بعمتي أمانى لنى
هل ستكون ندى عندهم
- سأفعل حالاً
- اتصلوا بكتيهم لکنهم لم يجدوها، شعرت أمل بخيبة شديدة فقالت
لجيهان مجدداً:
- اتصلي بأمك لعلها تكون عندها
- لقد اتصلت بها من أجل إخبارها بأنني لن أستطيع القدوم إلى
المنزل، وسألته عن ندى فقالت إنها لا تعرف شيئاً عنها
- آه يا ربي ماذا سأفعل ... سأطرق أبواب جميع سكان بنائنا لعلها
عند أحدهم أو عسى أن يكون أحد منهم قد رأى وجهتها
- حسناً وأنا سأتصل بسوزان وسارة صديقتيها لعلهما تعرفان
ماهية عملها المهم، لقد مضت خمس ساعات على خروجها ...
حفظها الله!

- ألو نعم يا بريانا* ... هل تريدین أي شيء؟
أتاه صوت بريانا وهي تهتف بتذمر مرح:
- بابا، أكاد أموت جوعاً، أين أنت الآن؟ لقد برد العشاء
وأنهكني انتظارك لكي نأكل سوياً
- أوه لماذا انتظرتني حتى هذا الوقت؟ حسناً لن أتأخر، ربع ساعة
وأكون عندك
- جيد ... فلتقود السيارة بتمهل فمع أن المطر قد هدأ إلا أن الأرض
ما زالت زلقة
- حاضر ... حاضر، هل من أوامر أخرى سيدي؟
ضحكت بريانا بجذل ثم قالت قبل أن تغلق الخط:
- لا لقد فرغت جعبتي ... مع السلامة

قامت على الفور لتجهيز المائدة لكن سرعان ما سمعت صوت جرس الباب فركضت لكي تفتحه وهي تقول بصوت مبتهج:

- لم يستحمل الأمر ربع ساعة، هذا جيدا!

وفتحت الباب وهي تهتف بلهجة مسرحية:

- الحمد لله على السلامة سيد هشام

إلا أن ملامح وجهها تغضنت وشعرت بتوتر غريب عندما رأت فتاة أمامها بشعر وهندام غير مرتبين البتة، كانت الفتاة تبدو وكأنها قادمة من عالم آخر ناهيك عن شكلها الذي يوحي بأن مصيبة قد وقعت لها أو أنها مفجوعة لأمر ما، وجبهتها التي تجمد قليل من الدم على طرفها، وما أكد هذا هو العبارات المبتورة التي تفوهت بها بصوت غريب وكأنها طفل شريد فقد أمه أو ضاع عنها...

- أنا ... لا أعرف من أين أبدأ ... لكن يبدو أن ... حادث؟ أو شيء

حصل ... ن، نعم هو كذلك ... وأنا لا أعرف ... من أنا ... ولا أتذكر

أي شيء ... عقلي فارغ وآلام رأسي لا تقاوم

تسمرت بريانا بمكانها ولم تعرف كيف تجيبها، إلا أنها قالت أخيرا بتشكك:

- ولماذا طرقت على باب بيتنا بالذات؟ هل ذلك أحد على هذا

المنزل؟

نظرت الفتاة حولها وكأنها تفكر لكنها قالت بتلعثم:

- لا ... لقد كان أول بيت يقع تحت ناظري ... ففكرت بأن أطلب

المساعدة ... من قاطنيه

ترددت بريانا، هل تدخلها؟ أم تصرفها بطريقة مناسبة إلا أن ما حل

الموقف هو قدوم والدها السيد هشام والذي قال يستفسر:

- بريانا، لماذا تقفين على الباب؟

ثم تابع بعد أن ألقى نظرة خاطفة على الفتاة المجهولة:

- ومن هذه الآنسة؟

- ازدردت بريانا ريقها بصعوبة ثم شرحت له الأمر باختصار:
- يبدو أن هذه الأنسة تعرضت لحادث ما، وهي الآن لا تتذكر أي شيء ولا تعلم من هي ولا من أين أنت
 - اقتربت من والدها أكثر وهمست له:
 - يبدو أنها أصيبت بطريقة ما، كما أن رأسها يؤلمها بشدة
 - وكالعادة قال السيد هشام بشهامة:
 - تعالي يا ابنتي ... فلتدخلي الآن لكي نعقم جرحك وتدفني نفسك
 - ثم ستشرحين لنا كل شيء
- دخلت الفتاة طواعية وهي تتمتع بعبارات غير مفهومة بينما قالت بريانا لنفسها:
- سيورط نفسه بمئات المشاكل بسبب نوبات الشهامة تلك!،
 - يجب أن يجعل من منزلنا هذا مقرا للاجئين والضعفاء وإلا لن
 - ينعم بالراحة!

* بريانا: اسم علم مؤنث يدل على القوة والشجاعة ومعناه أيضاً الرقة والجمال

- بدأت أمل من الطوابق العليا إلى الطوابق السفلى كانت تطرق الباب ثم تعتذر وتسال عن إذا كان أحدهم قد رأى أختها، ولكنها ومع الأسف لم تتلقى أي إجابة شافية بشأن سؤالها الذي ظلّ معلقاً بالهواء...
- أما جيهان فقد اتصلت بسوزي ثم بسارة رغم ضالة أملها وكانت أيضاً قد أخبرتها بأنها لم يتواصلا مع ندى منذ وقت ليس بقصير...
- ما العمل الآن؟؟؟!
 - قالتها أمل بصوت يشوبه القلق:
 - أمل أرجوك تماسكي ... اتصلي بأمك لعلها توصلت إليها

- حسناً سأفعل

أمسكت هاتفها وكونت رقم أمها وعندما كانت تهم بالاتصال قُرع الجرس، ففرجت أساريهما وقالتا بصوت واحد:
- لعلها تكون ندى ... الحمد لله!

انتهت بريانا من تعقيم جرح جبهتها وهي تشعر بالحنق من تلك المرأة التي أفسدت عليها متعة العشاء بعد يوم عمل شاق، وبعد أن خرجت لتعيد الأغراض لوضعها الصحيح استلم هشام دقة الحديث قائلاً:

- ما اسمك يا ابنتي؟

- اسمي؟؟ ... أوه لا أعلم

- كم عمرك؟

حاولت أن تفكّر جاهدة إلا أنها هزّت رأسها قالت ببأس:

- لا أعلم

- ألا تذكرين أي شيء عن عائلتك أو أصدقائك أو حتى أي شخص آخر

- في الحقيقة ... لا لا أذكر أي شيء

نظر السيد هشام إلى بريانا التي عادت بخطوات متوترة ثم خاطبها بلطف:

- عزيزتي بريانا، فلتساعدني على أن تأخذ حماماً سريعاً ولتعطها

شيئاً من ملابسك، وبعدها نأكل جميعاً ونتحدّث

نظرت إليه بشيء من الضيق فابتسم لها وقال:

- هيا يا حبيبتي ... لعلّ هذا يكون سبباً في راحتها

زفرت بحنق ثم نظرت إلى المرأة وخاطبتها بلين مصطنع:

- هيا بنا، فلننفذ ما قاله والدي، تعالي معي

خرجتا من الغرفة بينما قال هشام لنفسه بسخرية وهو يتمدد على الأريكة:

- آه يا هشام، ألا تستطيع أن تجلس هكذا دون أن تساعد هذا وذاك؟!

ثم أردف بعتاب رقيق:

- براني العزيزة غاضبة، لعلها نسيت أنها كانت هائمة مثل تلك الفتاة وأنه لولا تدخلتي لربما كانت حالتها أصعب بكثير

هبت أمل الخطيب لتفتح الباب راجية من الله أن تكون أختها ندى هي الطارقة، أمسكت المقود وأدارته بسرعة بينما كانت جيهان تقف خلفها مباشرة:

- آه ... أهلاً أمي ... ظننتكِ ندى!

- ألم تصل بعد؟؟

- كلا يا أمي كلا ... بحثنا عنها واتصلنا بجميع معارفنا ولم نجدها
- كما أن والدك اتصل ببقية أعمامك ولم يجدها عند أي منهم ...
وليس لها أصدقاء متعددون هنا فكل أصدقائها تواصلنا معهم
ولم نجدها ... والآن ماذا سنفعل؟؟!

- أرجوك يا أمي لا تسأليني فأنا ضائعة الآن لا لا أعرف ... أمي، أنا لا أستطيع تحمل فقدان ندى بعد أن فقدت حبيبي أيهم ... يجب أن نجدها بطريقة ما، لكنني لا أعرف كيف

نظرت جيهان لكلتيهما ثم قالت بصوت دافئ:

- لم يعد بيدنا حيلة ... لقد كانت هذه الفكرة تدور في خلدي منذ

وقت لكنني تجنّبت إشهارها لكيلا أزعجكما

- وما هي يا ابنتي فلتقولني

- أظن الآن أنه يجب علينا الآن أن ... نبحث في المشافي ومراكز الشرطة
- نظرت الأم الحنون بانكسار، ثم قالت بصوت مرير:
- آه يا ربي لا تجعلني أفقد ابنتي ندى مثلما فقدت أيهم ... يا ربي ... يا ربي احفظها واحمها لي ... يا ربي لا تفجعني بفقدها فهي غالية على قلبي ... آه وكيف لا تكون هكذا وهي بازة بي وبوالدها!
- وبدأت عبراتها تهطل بسخاء على وجنتيها المتجدتين، فحضنتها أمل سريعا وقالت بحنو وهي تقاوم عبراتها:
- انظري يا أمي أنا ما زلتُ هنا ... وأعدك أنني سأكافح من أجل إيجادها طالما في العمر بقيّة ... وإن شاء الله سنجدها وستكحلين عينيكِ برؤيتها، فقط كوني قوية وصامدة ... أرجوكِ! مسحت الأم دموعها بحسرة ثم قالت بقوة مصطنعة:
- آه ... حسناً يا أمل ... حسناً يا ابنتي

3

نقاط على الحروف

كانت أمل تقطع غرفة المعيشة جيئة وذهابا بتوتر وكأنها تحاول ترتيب أفكارها، بينما كانت عينا أمها معلقة بها، نظرت إلى أمها وجيهان ثم قالت:

- يجب ألا نذهب جميعنا من أجل البحث في المستشفيات ومراكز الشرطة، علينا أن نقسم المهام ونفترق لكي نبحث بأماكن أكثر ولكن بوقت أقل
- حسناً يا ابنتي ... قسّمي علينا المهام
- أنا سأبحث في المستشفيات بينما تقوم جيهان بالبحث والسؤال عنها في مراكز الشرطة، أما أنت يا أمي فابقِي في البيت لعلها تعود بعد قليل
- لا أنا لا أستطيع البقاء والانتظار ... يجب أن أبحث عن ندى بنفسِي ليطمئن قلبي
- أرجوك يا أمي تفهّميني ... إنه الخيار الأنسب ... لكيلا تعيق مشاعرك عملية البحث، فأنا الآن أكثر شخص يعلم وضعك من الجانبين الصحي والنفسي، معك حق فالانتظار جدُّ صعب لكن أرجوك يا أمي تحلّي بالصبر من أجل أختي ندى ومن أجلنا جميعاً ... كما أنه بإمكانك الاتصال بعمّتي أسماء ... برهف فكما أخبرتنا ندى أنها غدت أفضل عن ذي قبل

- بماذا سيفيدني الاتصال؟! حسناً سأنتظر لكن أرجوكم عودا بها
سريعاً ... آه لقد حان موعد أذان الفجر الآن فلتصليا وتذهبا ...
وفقكما الله

جِنَهَانْ

لم تكن علاقتي مع ندى قويّة بما يكفي ولكنها عندما حطّت بتركيا
وعشت معها فترة ليست بقصيرة تعززت روابط صداقتنا وعلمتُ كم أنها
فتاة جميلة حقاً ليس من الخارج فقط وإنما من الداخل أيضاً، ثم
استطاعت بثقتها بالله أولاً ثم بنفسها قيادة طائرة محملة بآلاف الركاب
والهبوط بها بشكل سليم، لتصل إلى دبي وتجد أخيها أيهم متوفى،
صحيح أنها حزنت حزناً شديداً إلا أنها علمتني التسليم لقضاء الله وقدره
والصبر عند مواجهة المصاعب، لكن بعد كل هذا اختفت فجأة من حياتنا
أجمع، لا أحد يعلم شدة حزني عليها ... فأنا دائماً ما أحاول طمأنة والديها
وأختها عليها، وها أنا ذي قررت أن أبحث في مراكز الشرطة لعلمي أجدها
أو يتعرّف عليها أحدهم....

دخلتُ إلى المركز الأول القريب من منزلها، انتظرت قليلاً ثم دخلت كان
هنالك ضابط يجلس على كرسي خلف منضدة كبيرة ثبتت عليها عبارة "
الشرطة في خدمة الشعب"، تأملتُها ثم ابتسمت بسخر، انتظرت لبضع
دقائق ريثما أنهى مكالمته الهاتفية ثم حثني على الجلوس بحركة تكاد
تكون آلية عند رجال الشرطة، سألني أولاً:

- عذراً يا أنسة ... كيف أستطيع أن أخدمك؟
- سيدي من فضلك أنا أقوم بعملية بحث عن فتاة وأرجو منك أن
تساعدني ... إنها صديقتي المقرّبة خرجت البارحة ولم تعد، ونحن
الآن لا نستطيع التواصل معها لأنها نسيت هاتفها في المنزل...

زفرت بهدوء وصمتٌ لبرهة لكي أتمكن من متابعة حديثي من دون أي عِبَرَات تعيقني، وبعد حوالي النصف دقيقة كان الضابط فيها صامتا ... استطردت:

- كما أنها لم تأخذ معها هويتها الشخصية أو أية أوراق تدلُّ على شخصيتها، مجرد أنها ركبت بسيارتها وذهبت إلى مكان مجهول بالنسبة لي ولعائلتها

- حسنا ... أتفهمك، والآن اسمعيني جيدا

- تفضل

أمسك بيده ورقة وقلم ثم تابع كلامه:

- ما اسمها؟ وكم عمرها؟

- اسمها ندى الخطيب ... وعمرها حوالي ال 44 سنة

- أعطني تفاصيل شكلها الخارجي

- عيناها زرقاوان ... بشرتها بيضاء كما أن شعرها أشقر لكنها تضع

غطاء رأس الآن، طويلة القامة وجسدها رشيق نوعا ما

- عندما خرجت من المنزل ماذا كانت ترتدي؟

- بنطال جينز عريض بعض الشيء لونه بحري فاتح، بالإضافة إلى

كنزة بيضاء رسمت عليها قطتان رماديتان، بالإضافة إلى غطاء

رأس رمادي اللون ... أما عن حذاءها فكان لونه أبيض

ضحك الضابط ضحكة خفيفة من وصفي بالغ الدقة ثم قال:

- جيد ... جيد، قلت لي أنها ذهبت بسيارتها أليس كذلك؟

- نعم هو كذلك

- ما لون سيارتها وما نوعها ... وما الرقم الذي دون على لائحتها،

وهل هي حديثة أم قديمة؟؟

- لحظة لأستوعب السؤال ... حسناً إنها زرقاء من نوع " أودي " سقفها عالٍ، ولكنها قديمة بعض الشيء أما عن الرقم الذي دون على لائحتها... لحظة واحدة
- أمسكتُ هاتفِي الخلوي فوراً، ورحتُ أفْتش عن صورة لي ولندى قرب سيارتها وقد ظهر الرقم فيها وبعد تقلاب سريع وجدتها أخيراً فقلت بهدوء وبصوت واضح:
- دمشق ****89
- حسنا لقد دَوّنت ما أريده ... لا تقلقي يا آنسة...؟
- جيهان ... جيهان مندو
- هلّ لي برقم هاتفك لكي أتصل بكِ إن جدّ أي شيء؟
- نعم بالطبع
- أعطيته رقم هاتفِي ثم هممت بالانصراف وأنا أتمتم بعبارات للشكر، ثم ركبت سيّارتي من جديد وتابعت التقدّم باتجاه المراكز التالية، فكلما كان انتشار الخبر أوسع كلّما تمكنت من إيجاد حبيبتِي ندى بطريقة أسرع...

بَرِيَانَا

- دخلنا إلى عيادة الطبيب، وبعد انتظارنا قليلا، جاءت السكرتيرة وأعلنت بصوت رقيق:
- السيد هشام السالم؟ ... تفضلوا رجاء
- دخلت بصحبة والدي والفتاة التي أنقذها في تلك الليلة، ألقى والدي التحية نيابة عنا وقال للطبيب بود:
- ها هي ذي الصور التي طلبتها
- همم، نعم نعم هذا واضح
- ما هو الواضح حضرة الطبيب؟

- تجاهل الطبيب سؤال والدي ثم قال مخاطبا الفتاة:
- هل ما زلت على تلك الحالة يا آنسة؟ أما زالت ذكرياتك ومعلوماتك ممحوة من رأسك؟
 - قطبت الفتاة حاجبيها مفكرة ثم قالت بصوت كئيب:
 - أنا بالفعل لا أتذكر أي شيء
 - نظر الطبيب مجددا إلى الصورة الشعاعية التي بيده، ثم سحب نفسا عميقا وقال:
 - لا أخفيكم أنني وجدت إصابات مميزة في دماغها، ولابد من أن هذا أدى إلى فقدانها للذاكرة
 - آه ... هل من الممكن علاج فقدان الذاكرة أم أنه سيظل معها للأبد؟
 - إن نوع فقدان الذاكرة لديها لا يوجد له عقاقير طبية أو أدوية كيميائية أو حتى طبيعية للعلاج، إذ أنها ستتعافى تلقائيا ... ولكنني وبحسب إصابات الدماغية الشديدة في أماكن الذاكرة أظن أن المدة قد تطول ... فلا نعلم إن كانت لشهور أو لسنين، فليعافها الله
 - آمين حسنا يا حضرة الطبيب ما هو نوع فقدان الذاكرة لديها؟
 - إنها تعاني من " فقدان الذاكرة ما بعد الصدمة "، فهي كانت قد عانت من إصابات دماغية رضحية أدت إلى فقدانها للوعي، وتعتمد هذه الحالة على مدى شدة الإصابة فكلما كانت الإصابة أشد كلما طالّت المدة الزمنية لفقدان الذاكرة *
 - قال أبي بشهامة بينما أيدته بحركة من رأسي:
 - إنه أمر لا يبشر بالخير، إلا أننا سنفعل ما بوسعنا لكي تستعيد ذاكرتها

- إنني مسرور بسماع هذا، وأتمنى أن تضعني بالصورة إذا طرأ أي تغيير
- بالتأكيد سأفعل، والآن استأذنيك، السلام عليكم
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

زفرت بحنق وأنا أفكر، حقا يا لها من فتاة مسكينة!، فإن كانت مدة فقدانها لذاكرتها ستطول فكيف ستستطيع التعرف على أهلها وهم كيف سيتقبلون فقدانها فجأة، لكن ربما كانت وحيدة من دون أهل أي ربما توقوا أو تشاجرت معهم مما جعلها تترك المنزل وتقود سيارتها مبتعدة عنهم، آه بماذا ورطت نفسك يا أبي؟؟! وكيف سنجد أهلها أو نتوصل إلى أحد يعرفها وهل ستقيم عندنا أم سيشتري والدي لها منزل؟؟! لا إن المال الذي بحوزته لا يكفي لهذا، مئات بل آلاف التساؤلات والشكوك كانت تخامرني لكنني أسكتها جميعها عندما تذكّرت من أنا ... أنا لست ابنة السيد هشام الحقيقية أنا فتاة بائسة جعلها السيد هشام ابنته وأخته وصديقتة وذراعه اليمنى، فكيف أفكر بهذه الطريقة؟؟! فلو كان والدي قد فكر هكذا لكنت أنا الآن أرقد كجثة هامة تحت التراب القاتم...

أمل

كنت أمشي وغمامة كبيرة تعيق حركتي وتجعل رؤيتي ضبابية بسبب الدموع المتجمعة في مقلتي، كيف انتهى بي المطاف وأنا فاقدة للشخص الذي جعل من حياتي ذي معنى؟؟، إنها أختي وصديقتي وحببتي وكل عائلتي، كان عليّ أن أكتفم شهقاتي وصراخي وأكبت دموعي من أجل أمي ... فقط، أرجوا من الله أن أعثر عليها، أشعلت "الراديو" الذي في سيارتي على قناة مباشرة للأخبار تنقل الأحداث المهمة التي تحصل للبلد في غضون لحظات، فإن كانت ندى قد قطعت

الطريق بسيارتها فلربما وهو الاحتمال الذي بات يخامرني أنها تعرضت إلى حادث ... لا لا يمكن هذا فلقد بحثت عنها في مستشفيات عدّة وعلى قارعة الطرق أيضاً لكن أحدا لم يتعرف عليها، كما أنني اتصلت بجيهان وأخبرتني أنها لم تعثر عليها إلى حد الآن وبعدها هاتفت أمي فكان جوابها ذاته، العائلة جميعها تبحث عن ندى ولا يوجد خبر ... وبعد أن أجهدني البحث عدت للمنزل لكي أستريح قليلا ثم أتابع بحثي لكن ... ليتني لم أعد فبعدها تربعت على الأريكة المقابلة لشاشة التلفاز وشغلته على إحدى القنوات الإخبارية، رأيت صحيفة تحمل مكبر للصوت وتراسل المذيعه الأساسية للقناة، لقد كانت هذه الفقرة معادة لكنني لم أهتم، ورفعت درجة الصوت لكي أسمع بوضوح ... وليتني لم أرفعها، فعندها بدأت الصحيفة كلامها وبدأ قلبي يخفق معه بشدة....

" نحن الآن متواجدون في منطقة تدعى الروضة والمتواجدة بالقرب من منطقة مضايا بعد منطقة التكيّة على هذا الطريق الضيق الذي يسمح بمرور سيارة واحدة فقط فكما نرى على يمينه هذا الجبل الشاهق وعلى يساره هذا السفح، لكننا نشهد حادثاً مؤلماً، فلقد تهور سائق سيارة وهو يمشي في هذا الطريق لدرجة أنه لم ينتبه إلى ذلك السفح الذي يقع بأسفله مفترق طرق وهذا أدى إلى سقوطه بالسيارة حتى أسفل هذا المكان، مما سبب احتراقها، والآن سنوجه الكاميرا لها فوراً، ها هي ذي إلا أنها غدت هيكلا معدنيا بسبب الاحتراق لونها أزرق ونوعها على ما يبدو " أودي "، لكننا لم نعثر على سائقها ولا حتى بأسفل السفح، كما أنه بإمكاننا رؤية الكثير من الدم المتناثر هنا وهناك ولا يوجد إلا قطعة القماش هذه وفردة حذاء كما أن عليهما الكثير من بقع الدم، وجداناها بين ركاب السيارة المهشمة، بالطبع سنبقيهم عند أقرب مركز للشرطة لعل أحدا يتعرف عليهما، وسنعلمكم في حال عثورنا على السائق كانت معكم مراسلة قناة (.....)، ليان سعيد ".....

لم تكن تلك السيارة لتخفى عليّ، للأسف بات أسوأ كوابيسي يتجسد
أمامي بسخر!!!

4

حياة جديدة ... أسيل

- ماذا؟؟ سأمكث عندكم! وأين عائلتي؟
نظرت إليها بريانا بحنو وقالت بينما كانت جالسة بالقرب من والدها الطيب:
- آه يا عزيزتي ... نحن لا نعلم أي شيء عن عائلتك وبالتالي هم أيضاً ليست لديهم أدنى فكرة عن وضعك، لكن لا تقلقي فستستعيدين ذاكرتك في غضون أيام إن شاء الله وستتمكنين على الفور من إيجاد مكان عائلتك ... لذا ستقيمين عندنا إلى أن تستعيدي عافيتك
- لكن ... ربما كانوا الآن يبحثون عني ماذا سأفعل؟
- لماذا لا نبحث عن عائلتها يا أبي ... آه صحيح نحن لا نعرف اسمها حتى ولا شهرتها، لكن ... لكننا يمكننا البحث عن أشخاص يبحثون عن شخص مفقود من عائلتهم
فكر السيد هشام لبرهة ثم قال بحيرة:
- لا أظن هذا ممكنا يا ابنتي، فليس من المعقول أبداً منا أن نجول الشوارع والطرق ونصرخ على من فقد ابنته أو تاهت عنه، لذا أظن أنه من الأفضل لنا انتظارها لكي تستعيد ذاكرتها وعندها تذهب إلى عندهم وتطمئن قلوبهم
نظرت إليه بتفهم ثم قالت بعد صمت قصير:

- كما تريد يا والدي ... حسناً يا عزيزتي ليس من المعقول أن نظلّ ننادي لكِ بالفتاة المجهولة ... يجب أن تختاري اسماً لكِ ريثما تستعيدين ذاكرتك، ها فما رأيك؟
 - اختار أنا؟؟ ليست لدي أدنى فكرة آسفة
 - أسيل
- التفتت الوجوه إلى السيد هشام الذي قال متداركاً الموقف:
- أقصد ... لماذا لا يكون اسمها المؤقت أسيل؟
 - ها ... هل أعجبك الاسم يا فتاتي؟؟
 - لا مشكلة ... كما تشاؤون
- صفقت بريانا ثم هتفت بحماسٍ مفتعل:
- إذا أهلاً بكِ بيننا ... صديقتي العزيزة ... أسيل!
- نظرت إليها الفتاة ثم قالت بخفوت:
- أسيل! ... أسيل! ... أسيل!

- سمعت أمل صوت ارتطام الصحون بالأرض فهتت لتقف على قدميها بسرعة وتكفكف دموعها...
- أمي ... أمي ماذا حدث؟؟ هل أنت بخير؟!
- قالتها متظاهرة بعدم معرفتها أي شيء عن أختها، فهمست الأم بصوت مخنوق:
- ذهبت البنت ... انتهت حياة ندى وانتهى معها كل شيء
- نظرت إليها ابنتها بعينين زائغتين لكن ما لبثت الأم إلا أن سقطت على الأرض من دون حراك...
- أمي أمي ... لا. لا أرجوك لا لا تفعلي هذا بنا أرجوووك، أبي أين أنت؟؟ ... لقد فقدت أمي وعيها!!!!!!

- هذا هو بيتك المؤقت ... يا أسيل العزيزة!
هتفت بريانا بلهجة مسرحية وهي تشير بيدها إلى الشقة المتواضعة
والمتموضعة داخل البستان الكبير، فقالت أسيل بدهشة:
- آه ... يا له من بستان جميل! ... وحتى الشقة لطيفة جداً ... سلمتم
جميعاً ... بريانا
- آه حبيبتى لا داعي للشكر ... فهذا شيء أقل من عادي قد يقدمه
والدي لأحد، لكنك لن تجدي أحداً يقدر مثيل صنعه ... فالمنبوذ
يظل منبوذ
- نظرت إليها أسيل ببلاهة وكأنها لم تعي شيئاً مما قالته وبعد قليل من
الشرود هزت رأسها علامة على التأييد وهي تتمتم بعبارات فارغة، فقالت
بريانا مجدداً لتقطع الصمت الذي ران طويلاً:
- والآن هيا بنا لنرى غرفتك التي أعددتها لك ... فلقد أضفت عليها
طابعاً أنثوياً جميلاً، وأظن أنها ستعجبك
- سحبته من يدها برفق، فأخذت أسيل تمشي خلفها بتعثر من دون نطق
أي كلمة...
- وها هي ذي غرفتك
- جميلة ... جداً ... أشكرك مجدداً
- كانت بريانا قد اشترت لها بعض الملابس مسبقاً ووضعتها داخل خزانة
خشبية، وجهزت لها سريراً عليه ملاءة ليلكية اللون ومخدّة ريشية لطيفة،
ووضعت بالقرب منه منضدة خشبية بنية اللون أمامها كرسي وثير،
وأخيراً زيّنت لها الجدران ببضعة لوحات معاصرة ذات طابع فني راقى،
ولا ننسى أن غرفتها كانت تحتوي نافذة تطل على طبيعة البستان
الساحرة، كما أسدلت عليها ستارتان زهريتا اللون...
- أما الآن فسأريك باقي غرف الشقة ... هلمّي معي

- هيا بنا

بدأت بغرفتها التي كانت أقل جمالاً من غرفة أسيل ثم بغرفة والدها المليئة بالتحف واللوحات القديمة، وبعدها أرتها المطبخ ذو التصميم الحديث، وبعد إتمامها للجولة قالت بريانا للمرة المئة:

- ما رأيك أن تذهبي لغرفتك كي تستريحي ريثما أجهّز طعام الغداء ... أو دعيني أقول لك شيئاً اذهبي الآن لتأخذي حماماً سريعاً وبعدها تجربين السرير المريح
- كما تشائين ... سأفعل

ذهبت أسيل لتأخذ حماماً سريعاً، أما بريانا فقد قالت في نفسها بحنق: " إلى متى ستستمر بالتكلم بهذا البرود القاتل هل يا تراها تتعمد ذلك لإغاظتي؟؟ لا لا أظن هذا ... آه يا صبر أيوب، ما بك يا بريانا هذه البداية فحسب ... يجب أن تحاولي التخفيف من صدمتها لكي تستعيد ذاكرتها سريعاً ... لن ألومها حسنا ... لن ألومها ..."

وَفَاءٌ

لم أعد أستطيع كبح جماحي عندما سمعت تلك المذيعاة اللئيمة وهي تتفوّه بعبارات لا مبالية عن ... عن الحادث الذي حصل لابنتي، إنني متأكدة تماماً أن هذه سيّارتها وكيف تخفى عليّ وأنا من ذهبت معها إلى المصنع المخصص للسيارات لكي نبتاعها سوياً، لكن كيف ... كيف يحصل هذا!؟؟! لم أعهد لها يوماً سائقة متهورّة، والسؤال الأهم الذي يعصف بداخلي هو أنه إذا لم يستطيعوا إيجادها فأين هي وما الذي حصل معها بعد هذا الحادث العنيف؟؟ أشعر بخفقات قلبي وهي تضرب على رأسي بتمرّد ... إنها ابنتي يا جماعة ابنتي يا ناس ... كنت أريد

أن أصرخ وأشتتم وأبرح الصحفية ضرباً ... لكن قواي خارت دفعة واحدة فسقطت على الأرض مغماً عليّ...

وعندما استيقظت بعد ما يقارب النصف الساعة وفتحت عيني المجهدتين ببطء طالعت وجوه الأشخاص المصطفين حولي بفزع بحثاً عن وجه الحبيبة لكنني لم ألمح حتى تمعّنت وتمعّنت لكن لا جدوى للأسف، ندى ... ابنتي الأولى ... وصاحبة أول كلمة " ماما " سمعتها وأسعدت قلبي المتعب ... والتي التقيت بها بعدما أغلقت الأبواب بوجهها وتحملت أسي الغربة والمرض وفقدان الأحباء ... مفقودة! نعم مفقودة! لقد انتزعت قطعة من قلبي ورمتها بعيداً بتواربها المفاجئ عن الأنظار، ما حال صحتها الجسدية والنفسية؟؟ ... أم الأنسب أن أقول هل هي حيّة ترزق أم ... أم أن روحها قد فارقت جسدها منذ زمن؟؟؟، لا لا ... يا رب أرجوك يا الله احفظ عائلتي وسلّم ابنتي ندى واحميها من كل مكروه ... أنا لا أستطيع تحمل فقدانها بعد أيهم والله لا أستطيع.... بللت عبراتي وجنتي المجعدتين وبدأت أتأوه وأنا أشعر برغبة ملحة للبكاء وأنا ... أشعر بقهر شديد وبغصّة في قلبي...

- أمي ... أمي هل تبكين!! دعيني أقبل كفيك، أتوسّل إليك يا أمي تماسكي، فأختي ندى بخيرٍ إن شاء الله وسترجع إلينا سالمة غانمة، اصبري فقط فالصبر مفتاح أبواب الفرج ... إننا جميعاً حزنين بل وفي أشدّ الحزن، لكن كوني واثقة أن كل هذا لحكمة لا يعلمها إلا الله جلّ شأنه ... أرجوك تفاءلي بالخير لتجديه أرجوك يا أمي ارحمي نفسك واهدئي فإن حالة قلبك ما تزال غير مستقرّة أرجوك اسمعي كلامي

صحيح أن حالة قلبي ليست مستقرّة لكنها حبيبتني ندى فكيف لا أحزن، إن عملية القلب المفتوح التي أجريتها منذ سنة تقريباً ما زالت تؤثر بي كما أن طبيب العائلة أوصاني بالأحزن بشدّة أو أن أحمل همّاً لأن هذا

سينعكس سلباً على صحّتي ... فمع أنني أحاول أن أبقى صامدة إلا أنني لا أستطيع ... صممت لدقائق ثم نظرت إلى وجه زوجي وحدثته بإصرار:

- سنذهب إلى مخفر الشرطة والمشافي التي توجد وتحيط بمنطقة الروضة أو بمضايا لا أعرف بالضبط وسنرى فردة الحذاء وقطعة القماش أيضاً لكي نعلم إن كانت زمرة الدم الموجود عليهما تتوافق مع زمرة دم ندى كما بإمكان الشرطة فحص البصمات التي تركت عليهم ومطابقتها مع بصمة ندى وإن لم نصل إلى إجابة شافية سأتعرف عليهما بالتأكد فجيهان وصفت لي الملابس التي ارتدتها ندى قبل خروجها... هيا حالاً

نظر إليّ بتفهم دون أن ينطق ببنت شفة ثم بعد نظرة دامت طويلاً تتمم بخفوت:

- كما تشائين

لقد كان متماسكاً جداً حتى أنني كدت أحسده ... إنه رجل بآتم معنى الكلمة فحتى بعد موت ابنه وفقدانه لابنته ظل قويا وصامداً في وجه جميع المحن والابتلاءات...

5

حكايات مغلّفة بالغبار

قد تكون لدينا ذكريات لا نرغب باسترجاعها بتاتاً ونحاول التكتّم عليها ونسيانها مهما كان الأمر صعباً، وقد نتطلّع لوجود شخص نحبه لنشاركه ذكرياتنا الأليمة لعله يخفف عنا ويهوّن من مصابنا، ولكننا غالباً لا نجد الشخص الصحيح الذي بإمكانه تحمّلنا والإنصات إلينا باهتمام، فنراه يلتفت إلى هذا ويحاور ذلك ويلقي التحيّة ويتبادل المجاملات مع فلان وعلان، ليشعرنا بطريقة غير مباشرة أنه لا يرغب بالتكلم معنا ولا حتى بالاستماع إلينا، فنلجأ إلى أحد من أهلنا المقربين أو نختار فرد من أفراد عائلتنا ... لكن ماذا لو لم نكن نمتلك عائلة؟؟؟ ماذا لو كنّا ساذجين لدرجة القبول بأعمال تسيء إلينا وتدهور حياتنا؟؟ ماذا لو كان جميع من حولنا يمتلك هموماً تطمرنا من رأسنا لأخمص أقدامنا؟؟؟ سنصمت وسيطول صمتنا، سنتعذب ونيكي بحرقه شديدة، سنكون في غاية الحزن ... لكن عندما يهبط علينا شخص كرحمة من الله ونستطيع مشاركته همومنا والفضفضة وتخفيف الحمل الثقيل من على ظهورنا، سنكون في غاية الامتنان من الله الذي أرسله أولاً ثم من هذا الشخص الذي خفف من عبئنا وتقاسم الهموم معنا...

أسيّل

لم أستطع إلى حد الآن تقبل أمر فقداني للذاكرة، وعندما أحاول أن أجبر نفسي على التذكر أشعر بنوبة صداع قاتلة فأحاول التزام الهدوء وتجنّب تذكر أي شيء، من حسن الحظ أنني بدأت أعتاد الحياة في منزل العم،

إنه يعتبرني مثل ابنته فهو يعاملني معاملة طيبة جداً ... لكن غالباً ما أشعر بتوتر الجو المنزلي، إنه نفس الشعور الذي يخامرك عندما تعلم أن هناك أسرار مخبأة بعناية ولا تعرف عنها شيئاً، هناك أسرار ملأها الغبار في هذا المنزل!...

حلّ الليل وصبغت السماء بلون أسود داكن، كانت الرياح شديدة جداً والمطر يهطل بغزارة مما دعانا إلى الدخول إلى الشقة وإحكام إغلاق الباب والنوافذ، توجّهت إلى غرفتي بسرعة بعدما ألقيت تحية المساء، جلست على سريري وبدأت أعبث بخصلات شعري الشقراء، لا أريد النوم لأنني لا أشعر بالنعاس ... ماذا سأفعل إذا؟؟ لم أحصل على هاتف خلوي بعد ولا حتى أي شيء قد يساعديني في إمضاء وقتي، فأحياناً أساعد بريانا بالأعمال المنزلية والطهي، وأحياناً كثيرة أجلس من دون فعل أي شيء أتأمل الطبيعة وكل شيء حولي ... لكنني بصراحة أشعر بالحنين إلى ذكرياتي المجهولة فأن تجد رأسك خاوٍ من أي شيء سابق أمر ليس هيئا بتاتا، وفجأة طُرق باب غرفتي بلطف ثم خرج رأس بريانا من خلفه، كانت فتاة خلوقة ووسيمة بأتم معنى الكلمة، ذات شعر كستنائي ناعم طوله يصل لكتفها، وبشرة حنطية لوحتها الشمس قليلاً لتزيدها بهاء بالإضافة إلى أنف حاد رقيق وأخيراً عيانا بندقيتان جذابتان، كما أنها تمتلك هالة جذابة ومريحة جداً تتصرّف بمرح ولكنها في نفس الوقت واثقة من نفسها ورزينة لا أعرف كيف اجتمعت كل هذه التناقضات في تلك الفتاة إلا أنني أحببتها من كل قلبي...

- هل بإمكانني الجلوس معك قليلاً؟

همست بريانا بلطف فحرّكت رأسي علامة على التأييد وأفسحت لها المجال لكي تجلس بجواري فنظرت إليّ بحنو وطالت نظرتها ... لكن ما لبث عيناها الجميلتان إلا واغرورقتا بالدموع المنذرة بالهطول القريب فقلت ولأول مرّة وبهجة جدية واضحة:

- عزيزتي بريانا ما بكِ
- أسيل ... لم أعد أستطيع التحمّل أكثر من هذا القدر ... أريد أن أفرّغ حمولتي الثقيلة عند أحد

- ها قد وصلنا ... أم أيهم انزلي أنت وأمل وأنا سأنتظر هنا
- نزلت الأم مسرعة بينما هزت أمل رأسها علامة النفي وقالت برجاء هادئ:
- أبي انزل معنا إذا سمحت ... فنحن لا نعرف ماذا ستكون ردّة فعل أمّي إذا تأكدت أن حادثاً مريعاً حصل لندى ... كما أنني أخاف على قلبها فأني ردّة فعل غير مدروسة قد تؤدي بحياتها لا سمح الله، فأنت تعلم أن عملية القلب المفتوح هي آخر عملية للقلب وأخطر عملية أيضاً، فالطبيب وصاننا بالألا تتفاعل مع شيء من أجل صحتّها

صمت الأب لبرهة ثم قال أخيراً:

- حسناً معك حق يا أمل ... هيا الحقيني بسرعة
- حاضر
- نزل الأب وابنته على عجل ليلحقوا بالسيدة وفاء التي لم تأبه لمرافقة ابنتها لها وحثت الخطى باتجاه مركز الشرطة الأخير ... وعندما وصلوا وأعطتهم أم أيهم إحدى كنزات ندى التي لم تغسل بعد إذ كانت بصماتها عليها وأعطتهم معلومات عن ابنتها بما فيها ما يتعلق بزمرة دمها، وبعد معاينة البصمات مع التي على قطعة القماش والحذاء قال أحد ضباط الشرطة مخاطباً والدة ندى:

- إن البصمتان متطابقتان وزمرة الدم (...) أي أيضاً متطابقة، وإن كانت ابنتك ترتدي مثل غطاء الرأس هذا والحذاء فلا شك أنهما لها، وإن كانت أيضاً مواصفات السيارة المهشمة تتوافق مع مواصفات سيارتها فلا شك أن السيارة لها، وأخيراً الوقت ... فإن

كانت قد خرجت من منزلها منذ الوقت التقريبي لوقوع الحادث ولم تعد إلى حد اللحظة فيؤسفني قول إن ابنتك الآنسة ندى الخطيب تعرّضت لحادث

- لكن ... لكننا لم نرى جثتها ولا حتى أية أشلاء!!

قالت الأم بعينين مغرورقتين فأجابها بطريقة عملية وبلهجة مقنعة:

- نعم هذا صحيح سيدتي ... لربما حُطفت أو قتلت بمكان ما أو يمكن أن نقول إنها ركضت بسرعة خوفاً أو أن أحدهم ساعدها وأخذها إلى مكان مجهول ... بصراحة نحن لا نعلم بالضبط مكانها أو مكان جثتها

وهنا دقت ساعة الصفر ... فعندما تجلّت حقائق فقدانها لابنتها أمامها شهقت بصوت عالٍ ثم تمتت بعبارات مبتورة وأخيراً سجيت على الأرض، فبدأت أمل بالصراخ ومناداتها بينما حاول محمد - والد ندى - رفعها، وبعدها قاموا بنقلها بمساعدة فردين من أفراد الشرطة إلى أقرب مستشفى...

- حضرة الطبيب هل ستنجو؟؟؟

قالتها أمل بعينين متقرحتين من شدة بكائها لكن الطبيب ردّ بلهجة آلية ولا مبالية وكأنه لا يابه بحياة أي من مرضاه:

- لا أعلم لقد أدخلناها إلى العناية المشددة فوراً ووضعنا لها ما يلزم ... لكن خفقات قلبها بدأت تتباطأ تدريجياً ومن المرجح فقدانها

نظرت إليه بحدة فكادت نظراتها تقتله ... كيف يتكلم بهذه الطريقة الوقحة والغير مسؤولة؟؟؟ ما بالك يا أصحاب المهن الإنسانية؟؟؟ أين قلوبكم؟؟؟ أين مشاعركم؟؟؟ هل هكذا تعامل المرضى؟؟؟

- أرجوك يا حضرة الطبيب ... أنقذ أمني أرجوك، ابذل قصارى جهدك لكي تنقذها

لم تعجبه طريقة كلامها عند تفوهها بعبارتها الأخيرة ... هل تحاول تعليمه مهنته؟؟ رماها بنظرة نارية ثم أدار ظهره ومشى بتعثر وهو يخاطبها:

- نحن نعلم ماذا سنفعل ولا نحتاج لتلقي النصائح من أحد ... يا ...
آنسة

عاودت أمل بكائها من جديد، فأتى والدها ووقف إلى جانبها واحتوى كتفها بيده الحنون ثم همس بثقة:

- لا تقلقي يا ابنتي ... ستكون أمك بخير إن شاء الله وسنجد ندى عاجلاً أم آجلاً

نظرت إليه بحنو ثم تهاوت على أحضانه فقام باحتضانها وبدأ يمسح على شعرها الناعم ويرقيها ببعض الآيات القرآنية، إلى أن غفت قليلاً...

بَرِيَانَا

دلفتُ إلى غرفة أسيل وأوصدتُ الباب خلفي بإحكام، فأفسحتُ لي المجال للتربع بقربها على السرير، فأحسستُ برغبة ملحة للبكاء فخففتُ عني وهذأتني بعبارات لطيفة وحتتني لأتكلم، فبدأت استعيد الذكريات القديمة التي أكل الزمان عليها وشرب...

- هل لديك الوقت الكافي لتستمعي إلي؟؟ أم أنك مشغولة الآن أو متعبة؟؟

- لا بأس عزيزتي ... فقد كنت أتمنى هذا منذ وقت طويل

- حسناً ... سأبدأ بكل شيء من طقطق إلى السلام ... وأتمنى ألا أثقل عليك بذكرياتى هذه

- أسمعك جيداً

- اسمي بريانا الخباز لكنني أصبحت بريانا السالم بعدما أصبح هشام والدي، من مواليد ألفين للميلاد أي أن عمري الآن اثنين

وعشرون سنة، لوني المفضل هو الأرجواني ورياضتي المحببة هي رياضة كرة السلة، بالإضافة إلى أنني أعشق البيزا عشقاً لا حصر له كما أنه لدي شغف بالورود وبالأخص الورد الجوري ذو اللون الأحمر القاتم..

اخترت تلك العبارات السهلة كبداية لحديثي المطوّل ولكيلا أشعر أسيل المسكينة بالملل، لكنها حالما قالت باستغراب:

- يبدو أن تفكيري أصبح ثقيلًا بعض الشيء، كيف أصبح العم هشام والدك أليس والدك من الأساس وكيف تغيرت شهرتك من الخباز إلى السالم؟؟

ازدردت ريفي بصعوبة فيبدو أنني سأخوض بالتفاصيل الحساسة، لكن لا لن أكبت أكثر سأخبرها، نعم سأخبرها بكل شيء ... رفعت ساقا على ساق وأنا ابتسم ابتسامة هادئة تشوبها مرارة جلية ثم استطردت:

- سبب تغير شهرتي واضح يا أسيل العريزة ... فهو بسبب تغير والدي من شخص إلى آخر ... آه حسناً اسمعيني ومن دون أي مقاطعة اتفقنا؟؟

حركت رأسها علامة الإيجاب وهي تنظر إليّ بعينيها النابهتين، فدثرت نفسي بغطاء سميك وأعطيتها واحداً لتفعل نفس الشيء ففعلت فلقد كان الجو قارس البرد، ثم استرسلت بشرح تفاصيل قصتي...

- قبل 15 سنة في ليلة كان الطقس فيها يماثل طقس اليوم وكان عمري آنذاك 7سنين ... كان والدي يعمل طبيباً ويذهب في رحلة للعمل بين الفينة والأخرى وقبل أن أنام قبّل جبهتي بحنان وهمس بأذني أنه سيذهب بحراً في رحلة عمل ثم سيعود قريباً، ولكنني عندما سمعت هذا وثبت من سريري بعصبية ممزوجة ببراءة الطفولة وشبكت ذراعي أمام صدري وقلت له باحتجاج: كيف ستبحر السفينة والطقس بهذا السوء يا بابا لماذا لا تذهب

عندما يهدأ الطقس؟؟، فقام سريعاً بطمأننتي وأخبرني بلطف أنه عمل ضروري جدا ولا يوجد داع للقلق فرضخت للأمر الواقع وعانقته بشدة ثم همست بدوري: وفقك الله يا بابا أنا أحبك كثيرا جدا جدا ... اذهب بسرعة لكن لا تتأخر علينا اتفقنا؟؟ فأجابني بحنو: اتفقنا يا حلوتي سأحضر معي شوكولا لذيذة وستكون كلها من نصيبك لكن عديني بأن تعتنني بأمك ... ها؟، فأجبت به حماس: نعم يا بابا أعدك...

فغادر سريعاً ورجعت إلى سريري لأغط في سبات عميق، وعندما استيقظت في الصباح الباكر وتوجّهت إلى غرفة أُمي لكي أبادلها تحية الصباح، وجدت غرفتها خالية فتوجهت إلى غرفة المعيشة فلم أجدها ومنها إلى الحمام فأیضا لم أجدها، وأخيرا دخلت إلى المطبخ فوجدت الخادمة ذات الأصول الإثيوبية تقطعه جيئة وذهابا والتوتر باد على ملامحها فسألتها بلهفة وقلق: "ديلامي ... أين ماما؟ لقد بحثت عنها ولم أجدها"، فنظرت إليّ بشفقة ثم قالت بعربيتها الركيكة وبجمل متقطعة: "سأقول لك شيئا يا بريانا ... لكن لا تحزني، فمع الأسف تعرضت البارحة سفينة والدك للغرق ... وأمك خرجت مع أحدهم لكي تركب بقارب نجاة ... وتبحث عن والدك في عرض البحر" شهقت بفزع حقيقي ثم صحت بها "وماذا حدث بعد ذلك؟؟ أين ماما؟ أين بابا قولي"، ازدردت ريقها بصعوبة ثم تابعت بحذر: "لقد سمعت الخبر من إحدى القنوات الإذاعية قبل قليل ... فبعد أن ابتعد قارب النجاة قليلا عن الشاطئ جاءت موجة كبيرة وحولته إلى أشلاء"، ثم تابعت ببطء كلامها الذي كان من الممكن أن يلقيني حتفي: "وفي النهاية ومع الأسف ... تمكن أفراد الشرطة والمنقذون من إخراج جثثهم من البحر بأعجوبة"، فحملت في

وجهها وصرخت لدرجة أرعبتها: "ماذا قلت جث؟؟ ماما وبابا غدو جث!!" ثم بدأت أضحك وأبكي وأصرخ بطريقة هستيرية من هول صدمتي فحاولت تهدئتي إلا أنني انفجرت في البكاء وتابعت صراخي: "لا لا لا يمكن ... أريد ماما وبابا ... هما لا يتركانني مستحيل، ماما أين أنت تعالي بريانا خائفة ... أرجوك تعالي وعانقيني واطبعي على وجنتي قبلاتك الحنونة، أوه بابا بريانا تحتاجك وأنت وعدتها أن تعود سريعا وعدتها أن ... تحضر لها الشوكولا وعدتها أن تحكي لها قصة ما قبل النوم ... أرجوكم تعالوا!! فأنا حتما سأموت دونكما"، وبعدها صرت أضرب نفسي وأهشم كل ما يقع نظري عليه من أدوات زجاجية للمطبخ، فاشتدّ خوف الخادمة مني وعليّ، فبحثت في دليل أرقام الهواتف عن أحد معارف والدي لتستمد منه المساعدة، واتصلت بأحدهم فعلمت منه أنه مقيم في فندق بلبنان فترجته لكي يحضر فحضر على الفور وعندما أتى احتوى حزني وحاول جاهدا لكي أهدأ ورقاني بوضع آيات من القرآن، وظل يقربي إلى أن خفت صدمتي قليلا وهدأت عن الأعمال الهستيرية التي كنت أقوم بها، وطلبت منه أن يريني والديّ، فرضخ لطلبي دون جدال وأخذني إلى المستشفى التي هم فيها، وعندها رأيتهما راقدان على سريرين بيضاوين بلا حراك...

نظرت إليّ أسيل بحزن ثم بدأت عبراتها تهطل على وجنتيها بسخاء وبعد أن تماكنت نفسها قالت بخفوت:

- وهل كان العم هشام هو من احتوى حزنك وأراك والداك آنذاك؟؟

أفاقت أمل من غفوتها ونظرت حولها فرأت والدها يقطع غرفة الانتظار جيئة وذهاباً، فقالت بتردد:

- لم تستيقظ أمي بعد ... أليس كذلك؟
- نظر إليها بحزن ثم قال بخفوت وكأنه يحدث نفسه:
- حسبنا الله ونعم الوكيل ... أعاننا وإياها الله
- أبي ... أنا خائفة عليها أريد أن أراها أرجوك يا أبي أرجوك
- وكيف سترينها؟؟؟ نحن لا نستطيع الدخول الآن فحالتها خطيرة
- سأكتفي برؤيتها من خلف الزجاج ... أتوسل إليك
- حسناً هلمّي معي

طلب محمد من أحد الأطباء بالسماح لهما بإلقاء نظرة خاطفة عليها من خلف الزجاج، فلم يسمح لهما أولاً ... لكنه وبعد توّسل أمل الشديد ودسّ والدها بجيبه مبلغاً وافراً من النقود وافق مع أنه لا يوجد أي قانون يمنع الرؤية من خلف الزجاج، لربما كان يجرب حظه في "الابتزاز"!

نظرت أمل ووالدها إلى الأم المناضلة الراقدة على السرير وعلامات الحزن بادية عليها، كان الأطباء في عجلة من أمرهم فوضعوا لها الرذاذ أولاً ... ثم وصلوا بها عدة أجهزة ووضعوا لها عدة خراطيم لغايات متعددة ... كان بإمكان أمل رؤية جهاز قياس نبضات القلب فكانت نبضات أمها تتباطأ مع الوقت، فراحت تبتهل وتدعو الله لكن لم يجد أي جديد، وبعد عدة دقائق رأت طبيباً يخرج من الغرفة ويتقدم باتجاههما قائلاً بحزن:

- لا فائدة إننا نفقدها ... نبضات قلبها باتت ضعيفة جداً ولا يوجد احتمال لعيشها
- فغرت أمل فاها بدهشة وتلألأت العبرات في عينيها بينما وضع محمد رأسه بين كفيه وخرّ على الكرسي والحزن يكاد يمزّق قلبه، فقال الطبيب مجدداً:

- يمكنكم الآن أن تدخلوا لكي تودعوها ... لكن سريعاً

نظرت أمل إلى والدها بانكسار ثم مدت له ذراعها ليتوكأ عليها فاستجاب فوراً وحثاً الخطى باتجاه غرفة العناية المشددة، تقدمت أمل باتجاه سرير أمها ثم جلست على الأرض بقربه ... بكت بحرقة وهي تقول:

- أمي ... أرجوك استيقظي انظري أنا ابنتك أمل ... أنا بقربك الآن
كما أن أبي هنا استيقظي يا أمي أرجوك لا ترحلي وتتركينا ...
افتحي عينيك أتوسل إليك

ثم عاودت أمل نحيبها وبعد ما يقارب الدقيقتان فتحت الأم عينها ثم همست بصعوبة وبصوت تشوبه بحة شديدة:

- أمل ...
- أمي!!!! أمي!!! لقد فتحت عينيها! لقد فتحت أمي عينيها!
- ابنتي اسمعيني جيداً ... لا تتركي البحث عن أختك وإن وجدتها
أخبريها بأن تسامحني ... فلقد كنت قاسية عليها وعاتبته عندما
كانت بحاجة ماسة لدعمي، ولا تنسي الدعاء لأيهم ... وظلي
قوية وثابتة مهما حدث ... وأوصيك خيراً بوالدك يا... أشهد ... أن
لا ... إله ... إلا الله وأشهد أن...
- لقد بدأنا نفقدها ... إنها تذهب من بين أيدينا ... أسرعوا ... أسرعوا
قالتها إحدى الطبيبات بعصبية وهيجان فبدأوا يتحركوا بسرعة ويركضوا
ليلبوا احتياجات الأم!...

- دقائق قلبها تنخفض بشدة ... لا ... إنه يتوقف عن النبض!!!
أخذوها بسرعة البرق إلى غرفة الإنعاش ليحاولوا إعادة نبض قلبها، بينما
لحقتهم أمل التي كانت أمل مصابة بنوبة بكاء هستيرية ووالدها معها
لا يقوى على فعل شيء...

- اشحني 150 جول ابعدوا أيديكم!

- اشحني 250 جول ابعدوا أيديكم بسرعة!!

أو عن أمه لأنه استقر في لبنان بعد أن تزوج أمي أما منزل والديه فكان على الأغلب في ليبيا، كما أن الخادمة المدعوّة "ديلامي" فرّت هاربة من تلك الظروف الصعبة التي لن تريح منها إلا تحمل طفلة يتيمة والصبر على أفعالها دون أي مقابل!، ولذلك لم يكن لديّ خيار آخر فلم أكن أستطيع إجباره على البقاء معي وترك وطنه ولم أكن أيضاً أضمن تعاطف أحد آخر معي غيره لذلك قررت مرافقته بدلاً من إنهاء حياتي على أراضي لبنان، المهم نزلنا بعد ما يقارب اليومين وأقمنا في هذه الشقة، وكان عندها البستان خاوي فعملنا به كثيراً إلى أن أصبح في غاية الروعة، وبالطبع قام بتسجيلي آنذاك في المدرسة وبدأت أتلقّى تعليمي فيها إلى أن أصبحت في الصف الثالث الثانوي فلم أحصل على علامات كافية لتمكني من دخول تخصص مناسب فقررت حينها ترك الدراسة ومساعدة والدي في أعماله ... وبعد ما يقارب الشهرين توقّيت والدته التي كانت تعيش في تركيا فسافرنا من دمشق إلى تركيا لنحضر مراسم العزاء، وعندما انتهينا وقام إخوانه بتقسيم الإرث وإعطاء كل واحد منهم نصيبه، كانت إحدى أخواته غير موجودة في تركيا إذ كانت تقيم في دبي هي وزوجها ولا تستطيع السفر لأخذ حقوقها، فتطوع والدي أن يعطيها الأموال التي هي حقها من الإرث، لذلك قرر السفر من تركيا إلى دبي ... لكن، وفي تلك الطائرة التي حجزنا فيها تذكرتين ... حصل شيء لم يكن أحدٌ ليتوقعه وكأنا في أحد الأفلام الأجنبية...

- وماذا حصل؟؟؟ هيا أخبريني
- إيه حسنا ... بعد تمرکز كل واحد منا في كرسيه وإقلاع الطائرة، تسمم القبطان ومساعدته بسبب الوجبة التي تناولها، وحدث

صاعقة قوية أدت إلى التغيير المفاجئ من وضع الطيار الآلي إلى وضع القيادة اليدوية، وهنا أعلنت إحدى المضيفات أنه إذا كان يوجد على متن الطائرة من يستطيع القيادة فليتقدم ... فتقدّمت فتاة لا أعرفها إلى قمرة القيادة وتمكّنت بشجاعتها قيادة الطائرة . مع فتاة أخرى كانت تساعدنا . والهبوط بها في مطار دبي بشكل آمن، وتخيّلني ماذا! سمعت أن هذه الفتاة كانت سورية ومحجبة أيضاً، لكنني ومع الأسف لم أستطع رؤيتها فلقد توارت عن الأنظار سريعاً...

وضعت أسيل رأسها بين كفيها وصرخت بقوة فهرعت بريانا لرؤيتها ويدها ترتجفان..

- أسيل ... أسيل ماذا حصل لك؟؟
- أشعر بصداق شديد ... ودوار أيضاً ... آه رأسي يؤلمني بشدة
- سأحضر لك كوباً من الماء وحبّة دواء مسكن ... انتظريني
- تجرّعت أسيل الدواء ثم وضعت رأسها فوق ركبتيها فدرتتها بريانا بغطاء سميك، فتكوّرت على أحد أطراف السرير كطفلة صغيرة..
- أنا آسفة يا أسيل ... يبدو أنني أثقلت عليكِ بذكرياتي تلك
- لم ترد أسيل فظنّت بريانا أنها نامت، فتسللت ببطء لكي تخرج وعندما وصلت إلى عند الباب أتاها صوت أسيل:
- لا بأس عزيزتي ... نكمل غداً اتفقنا؟؟
- إن شاء الله ... والآن نامي لكي ترتاحي ... تصبحين على خير
- وأنت من أهل الخير

أغلقت بريانا خلفها الباب بلطف كما فتحته ... بينما كانت أسيل تحدث نفسها: " ما الذي حصل لي؟، وما سبب نوبة الصداق المفاجئة تلك؟؟ هل يا تراها تكون بسبب ذكريات بريانا؟؟ وهل من الممكن أنني أمتلك

بعض الذكريات كتلك أو شبيهة لها؟؟ أم أنه صداد عرضي؟؟ آه حسبي
الله ونعم الوكيل ..
ثم استلقت على سريرها وتدفّرت لتغط في نوم عميق...

صرخت إحدى الممرضات رغم نوبات البكاء التي يتفطر لها القلب:
- مستحيل!! ... لقد عاد نبضها!! ... من جديد!!
صمت الجميع وكأن على رؤوسهم الطير، إلى أن قال السيد محمد ليتأكد
من أنها تقول الحقيقة وأنه ليس بحلم سرعان ما سيستيقظ منه:
- ماذا؟؟ هل حقا عاد! أنت متأكدة يا ابنتي؟؟
طالعه الطبيبة ذات الوقار بابتسامة واثقة بعد أن زال عنها الذهول ثم
قالت لتثبت صحة كلام الممرضة الشابة:

- إنها معجزة! نعم لقد عاد النبض بعد ... أن جزمنا بوفاتها!
نظر السيد محمد إلى زوجته وابنته ثم صاح في فرح جم:
- الحمد والشكر لك يا رب، حمداً لله! ... حمداً لله!!
سيطر الذهول على أمل، إذ تسمّرت في مكانها وفمها مفتوح على
مصراعيه ثم عادت عبراتها تهطل من جديد، لكنها كانت دموع فرح هذه
المزّة!، وكانت وكأن الكلام علق في حلقها فلم تستطع النطق...
اقتربت الطبيبة منها وخاطبتها بسعادة وذهول:
- أنت مدهشة يا أنسة!! لقد أنقذتها!، سنيقيها الآن تحت المراقبة
لفترة وستخرج من المشفى حال استعادتها لعافيتها..
نظرت إليها وهي تبتسم ببلاهة، فأتى والدها من خلفها وقال محدثاً إياها
باحترام:
- حسناً يا حضرة الطبيبة ... نشكر لكم جهودكم المبذولة، ولكن هل
ستطول مدة بقاؤها بالمشفى؟

- لا شكر على واجب سيدي!، فلندعو الله بأن يمدها بالعافية، فما سيحدد هذا هو تحسن حالتها لذا لا يمكننا الجزم
 - حسنا ... فلتبقيني على اطلاع من فضلك
 - بالتأكيد سأفعل
- ضمّ الأب كفّ ابنته بيده الحنون وتوجّها سوية إلى خارج الغرفة لكي يطمئنا الأحباب، وقلباهما يكادان يطيران من أثر السعادة والارتياح!...

6

شابٌ ... ممنوعات!

استيقظت أسيل في اليوم التالي وهي تشعر بنشاط كبير وارتياح، فلقد ذهب صداع أمس والحمد لله، خرجت من غرفتها وتتبع رائحة قهوة العم هشام التي اخترقت أنفها من دون استئذان، ثم دخلت المطبخ فوجده يعد القهوة بينما ترصف بريانا بعض قطع الحلوى في أحد الصحن، فابتسمت ثم قالت بحماس:

- صباح الخير ... والنشاط!

نظرت إليها بريانا ثم قالت بعد أن رسمت على وجهها ابتسامتها المرحمة المعتادة:

- أهلاً يا حلوتي ... تبدين أفضل حالاً عن الأمس والحمد لله، هيا

تعالى لنحتسي القهوة الصباحية التي أعدها والدي فكما تعلمين مذاق قهوته لا يقاوم

- تفضلي يا ابنتي ... هيا شاركيينا

- حسناً

قالتها بخجل ممزوج بالقليل من الحماس، ثم سحبت أحد كراسي الطاولة لتجلس عليه، بينما قالت بريانا:

- بالمناسبة يا والدي، لقد قصيت على بريانا معظم ذكرياتي

البارحة، ها ... هل استمتعت عزيزتي؟

أومأت أسيل برأسها إيجاباً وقالت بتردد:

- نعم ... لكن هناك أسئلة شتى تحيّرنني حول العم هشام

- قوللي يا ابنتي ما هي؟

- إنك شخص غامض بالفعل، واعتقد أن ورائك قصة ما، ربما قصة ضياع وتمرد مثلاً؟، أم زنازين ومخالفات ... لا أدري
ابتسم السيد هشام بسخر ثم همس بمكر:
- آه يا أسيل العزيزة ... بصيرتك قوية جداً!!
نظرت إليه بريانا بدهشة وحدة في آن واحد، ثم وقفت وكأن صاعقة كهربائية سرت في جسدها، وبعدها غمغمت:
- أنت!! لم تخبرني بشيء كهذا قط!!

مَحْمَدُ

لم أر ابنتي أمل سعيدة كهذا اليوم قطّ، فبعد أيام عديدة لم تذق طعم الراحة فيها بسبب التفتيش عن أختها تضحك اليوم متناسية كلّ همومها كطفلة جميلة!، أما أنا ماذا عني؟؟ لا أستطيع أن أضحك ولا أن أبكي، فمع أنني أحمد الله في سري مرارا وتكرارا على إحياء زوجتي من جديد إلا أن قلبي محترق على ندى في المقابل، أظن أنه علينا التسليم لقضاء الله وقدره وإقامة عزاء يليق بروحها الطيبة الصادقة، لكنه ليس هيتنا أبداً أن يذهب أولادك من بين يديك واحداً تلو الآخر، أولاً عزيزي البار أيهم والآن حبيبتني ندى ولولا لطف الله وكرمه علينا لكانت أم أولادي راقدة تحت التراب الآن، أمّا أنت يا أمل حفظك الله ورعاك، لم أعد أعرف الآن إن كنت قد تراجعتي عن فكرة الزفاف أم ما زلت مقدّمة ... لا أعلم ... لا أعلم!!

قطع صمتي صوتها وهي تقول:

- بابا حبيبي ... اليوم ستخرج أمّي من المشفى بعد أن تحسنت حالتها والحمد لله! أنظر إليها لقد عادت وكأنها شابة في الثلاثينيات!

نظرت إليها ... نعم لقد كانت تحاول التخفيف عني متجاهلةً مشاعرها وشجنها!، أنت رائعة يا أمل رائعة حقاً وصابرة!، حاولت رسم ابتسامة على وجهي فبدت متعبة إلا أنني قلت محاولاً إظهار بعض الحماس:

- نعم يا ابنتي ... حمداً لله ... إنه بفضل الله أولاً ثم بفضلك لم أستطع!!، لم أستطع فلقد تغلب الفتور على الموقف! لقد كان شجاراً بين عقلي وقلبي إلا أنه انتصر قلبي! ولأول مرّة! ... ما هذا؟؟؟ تماسك يا رجل ... اصمد ما بك؟؟؟ أين نضالك أين صبرك؟؟؟!

ران على ثلاثتنا صمت مهيب إلى أن قالت زوجتي بتسليم تام:
- آه يا أمل إن الموت ليس النهاية ... بل إنه بداية حياتنا الحقيقية أليس كذلك؟؟

وكان ما حصل معها جعلها متماسكة ومؤمنة هكذا!، نظرت إليها ابنتي وحزّكت رأسها بتفهم وهي تقول:

- نعم يا ماما ... معك حق
- أظن أن ندى لن تشعر بالوحدة ... فلقد ذهبت الآن للقاء ربها، ولرؤية أخيها أيهم وجدّك وجدّتك وخالك زياد ... رحمهم الله، يجب ألا نذرف الدموع عليها من بعد الآن لكيلا نقلق راحتها ... اتفقنا؟؟
كما أن الحداد الدائم ليس من شرعنا، لكننا سنبقي ذكراها الجميلة في قلوبنا وسنحاول إحيائها كلما افتقدناها ... أليس كذلك؟

تجمعت الدموع في مقلتي أمل إلا أنها أبت إطلاق العنان لهم، لن تبكي أمامي أنا وأمها نعم بالطبع لن تبكي، أنا على يقين أنها ستظل متماسكة...

وبعد ما يقارب الثلاث ساعات خرجنا من المستشفى وتوجّهنا نحو المنزل ... لتجربة الحياة الجديدة بعد فقداننا لولدينا ... لقد قررت أن أكون كظل

أمل ... لن أسمح أن يصيبها مكروه إن شاء الله ... سأفعل كل ما بوسعي
لإبقائها وأمها سالمين...

هشام

كنت دائماً ما أظن أنني سأحتفظ بذكرياتي المؤلمة لوحدي وهكذا
أضمن ألا يلومني أو يحدجني أحد، صحيح أنني ما زلت ساخطاً على ما
آلت إليه الأمور، إلا أنني لم أتوقع قط أن يأتي أحد ويسمع الصوت الذي
أسكته بداخلي لسنوات، وليس أي أحد بل فتاة مسكينة وفاقدة للذاكرة
كنت قد أشفقت عليها وقررت الاعتناء بها أنا وابنتي ... لست هينة بتاتاً
يا أسيل!!!، انفعلت بريانا بسرعة عندما علمت أنني أخبأ عنها الكثير لكنه
لم يكن ذنبي فلقد كنت أشفق عليها ولم أرد أن أقلقها أو أزعجها
بماضيي السيء...

- اهدهني يا بريانا ... لا تجعلني الغضب يسيطر على عقلك، فأنا هنا
الآن وسأخبركما بكل شيء لكن على رسلك ... اتفقنا؟!
قلت هذه العبارات التي دخلت إلى قلبها الحنون وهذأت من روعها،
فجلست طواعية لكلامي وهنا ارتشفتُ القليل من القهوة التي بردت
وصمتُ لبرهة محاولاً إعادة أفكارني إلى نصابها ... وبعدها بدأت
وكلتاها مطرقتان بهدوء:

- أه يا عزيزتي ... بدأت مشاكلني وبداية مرحلة ضياعي منذ كنت
طفلاً، كنت دائماً ما أطلب من أحد والديّ نقوداً لكنهم لم
يعطونني يوماً، في المدرسة كنت أشتهي أن أكون مثل باقي
زملائي، فكان منهم من يتباهى أمامي بنقود والديه وبالحلويات
اللذيذة التي اشتراها بهم، وعلى النقيض الآخر كان يوجد من
يشفق عليّ ويعطيني مما يمتلكه وكأنه يعطي متسوّلاً بعض

النقود، لم أمتلك زمام أمري يوماً، ومع كل هذا لم أكن أريد الكثير، فقط لو يمكنني اللعب مع أطفال الشارع بكرة القدم أو مع أولاد بنائنا بورق اللعب ثم نشترى بعض الحلويات اللذيذة لنأكلها ونرمي الأوساخ على الأرض ونشاكس قليلاً ونزعج الجيران، كان هذا كل ما يطمح له الطفل الصغير الذي يقبع بداخلي، تخيلاً أن أحلامي كانت هكذا والتي بالنسبة لأطفال غيري تعتبر توافه الأمور!...

- حسناً يا عمي ... هل كنتم فقراء مثلاً؟؟ أم ما السبب وراء تلك المعاملة؟؟

- لا يا أسيل لم نكن فقراء قط بل من أغنى أغنياء الحي ... وهذا أدّى إلى إصرار والدي على قمعنا إذ كان يردد دائماً " لقد خلقتكم من أجل الدراسة والتحصيل العلمي فقط، ولا شيء آخر لا لعب لا تبذير، أريد منكم أن تصبحوا كآلات كاتبة ... أوّد أن ترفعوا رأسي فقط لا غير، فهدفي من كل هذا هو السمو باسم عائلتنا إلى القمة "، ولا أخفيكما أنه كان بخيلاً جداً...

- ولماذا لم تصارحوه بأن هذا يؤذيكم؟؟ ألم يكن يستمع لكم؟؟
- لا تذكريني يا بريانا، فلقد حاولت الاعتراض مرّة واحدة، فنظر إليّ نظرة نارِيّة كادت تقتلني ثم صفعني بشدّة وهو يغمغم والشرر يتطاير من عينيه: اخرس ولا تسمعني صوتك أيها الغبي ... وإن اعترضت مرّة أخرى فأعلم أنه لا مكان لك في هذه الدنيا، ثم عاد ليركلني بقدميه ويبيديه وكأنه جنّ، فمع الأسف كان يعتبر أوامره مقدّسة وغير قابلة للنقاش، المهم ظلّ يعنفني إلى أن رقّ قلب أمي علي وبدأت تشدني باتجاهها إلى أن خلّصتني من قبضتيه العنيفتين...

- وماذا عن أخوتك ألم يحاولوا الاعتراض

- لا لم يكن أحد ليجرؤ على هذا ... ومختصر الكلام أنني كبرت وأنهيته الصف الثالث الثانوي فتطوّع والدي بسفري إلى البرازيل لإكمال الجامعة هناك وأقرضني مالاً وفيراً فوعده أنه سألني سألته له بعدما أعمل وأختص بمهنة محترمة تليق به، سافرت إلى البرازيل واستأجرت غرفة في سكن شبابي كان مكوّناً من غرفتان ومطبخ وحمام، والتقيت هناك بشاب يكبرني بثمان سنين، ومع ذلك أصبحنا أصدقاء خلال فترة وجيزة ولا أخفي عليكم أنني تعلّقت به كثيراً وفي ليلة كئناً جالسان نتسامر فيها، قال لي بلهجة مقنعة:

" آه يا صاح إلى متى ستظل رمزاً للابن المدلل؟ أين شخصيتك؟ وأين رجولتك؟، أظن أن النساء أكثر خشونة منك ... هل تريد نصيحة من أخ لأخيه؟؟ "

فقلت سريعاً وبحماس شديد:

" نعم بالطبع ... قل ما شئت فكلّي آذان صاغية "

" ما رأيك أن أعمل لك دورة تأهلك للخوض في هذا المجتمع ... أي بالمختصر المفيد أعلمك قواعد اللعبة؟ "

أومأت برأسي موافقاً فابتسم بمكر ثم تناول علبة فيها سجائر من النوع الثقيل، أخذ منها واحدة ثم أشعلها وسحب نفساً طويلاً منها ثم نفثه وبدأ بإعطائي النصائح والمعلومات المفيدة بالنسبة له والتي أضرت مستقبلي بشدة:

- " آه يا صديقي العزيز ... هناك الكثير من الأمور التي عليك فعلها لتكون شخصاً فاعلاً بالمجتمع ... أولاً سنقوم بتغيير مظهرك وملابسك المملة إلى مظهر عصري ملفت للنظر فستقوم بحلق لحيتك وشعرك بطريقة أنيقة وسترتدي ملابسك وفق ما تمليه عليك صيحات الموضة، ثانياً ستتدخّن وستبدأ فوراً بعبارة ثقيل

لكي تثبت مدى رجولتك، وثالثاً لا أظن أن تطبيقه ممكن ...
 امممم كأن تتعاطى المخدرات أو تشرب الكحول لأنك مسلم
 لكن لا بأس دعنا منه، رابعاً ولكي تصبح أكثر فاعلية بإمكانك ألا
 تتقيد بروتين ومهام معيّنة فيمكنك ترك الصلاة أو الصيام أو أي
 شيء من التعاليم الدينية الصارمة، أنا يا صديقي بالطبع لا أريد
 منك ترك دينك فهذا لا يجوز بالطبع، إلا أنه بإمكانك التخفيف
 من كل تلك الفروض الثقيلة"

نظرت أسيل إلى العم هشام بدهشة ثم قالت وهي تحملق بوجهه:
 - إنه سيء! إنه رقيق سوء!! إنه خطر للغاية!! ... يمثل وكأنه بريء
 وصالح ويحاول تخديرك بكلامه ويتملكه لضمير حي لا يقبل
 الخطأ، آه ما هذا!! لا تقل لي أنك طاوعته بهذه الأمور السيئة!
 - ليته كان هذا كل شيء فقد كان ومع الأسف يريد أن يوصلني
 إلى شيء أفضح ...

جنهان

إنه يوم الأربعاء ويوم العزاء في الوقت ذاته، وقبل أن يبدأ المعزون
 بالقدوم بدأت السيدة وفاء بإعطائنا التعليمات بلهجة شامخة: " صحيح
 أن اليوم يوم عزاء إلا أننا لن نتلخّف بالسواد، بل سنرتدي ملابس ذات
 ألوان زاهية، ولن نذرف الدموع أبداً بل سنرفع رأسنا عالياً وندعو لندی
 بالرحمة، كما أنه سيتم تقديم القهوة العربية المرّة أولاً ثم سننظم مآدبة
 للعشاء وسيكون فيها ما لذ وطاب، ولن نضع سورة "يس" أولاً بل
 سنضع آيات قرآنية اخترتها بعناية، هل فهمتن جيداً"، فقلنا بصوت واحد
 " نعم"، فقالت من جديد " هل القهوة والطعام والصحون وكل ما يتعلّق
 بالأكل جاهز؟" فهزّت أمل رأسها وقالت " نعم يا أمي"، " هل الكراسي

البلاستيكية التي سيجلس عليها المعزون جاهزة؟ " فقلت على الفور " نعم هنالك ما يكفي ويزيد إن شاء الله " فاختمتُ المقابلة وذهبت كل واحدة منا لترتدي ملابسها ذات الألوان الزاهية!...

ارتديتُ ملابسني في إحدى الغرف وبعدهما فرغت طالعت نفسي بالمرآة، وبدأت أحدث نفسي:

" هل كنت ستتركين صديقتك وحببتك ندى تموت وحيدة؟ هل هذه هي الصداقة!، أنا لا أستطيع تحمّل هذا الألم ولا يستطيع أحد تعويض الفراغ العاطفي الذي أصابني بعد فقدانها، لقد كنت أعشقها وأحفظ حركاتها وسكناتها، طريقة كلامها اللامبالية أحياناً، أناقتها المفرطة في ارتداء الملابس حتى بعد أن وضعت الحجاب الإسلامي، صبرها وتسليمها لقضاء الله وقدره، حتى أنني لم ولن أنسى الجولة السياحية التي قمنا بها كلتينا منذ سنين مضت وكيف نمنا داخل خيمة في رحاب الطبيعة الساحرة، آه ... آه رحمك الله يا عزيزتي، لقد ذهبت ومعك جزء كبير مني ولا أظن أنني سأرجع كما كنت ... جيهان المعهودة..."

توافد المعزون إلى داخل المنزل ونحن نتبادل كلمتين يرددوهما في كل عزاء " عظم الله أجركم " و " شكر الله سعيكم "، صحيح أنني رددت إحداهما في أعزية عدّة لكن الكلمة الآن لها وقع مختلف على قلبي ... وكيف لا تكون وأنا أعزّي بصديقتي الحنون ندى؟!...

احتسوا القهوة المرّة وقال معظمهم عبارات للتخفيف عن قلب الأم وقلوبنا جميعاً، ومنهم من أمسك القرآن وأخذ يقرأ على روح ندى، وهناك أيضاً من دعوا واستغفروا لها ... " فليسلموا جميعاً " هكذا كنت أردد في داخلي بعدما رأيت احترامهم وحبّهم الشديد لندى...

وبعد القهوة والجلوس والدعاء وأشياء أخرى تناولوا الطعام وصمت رهيب يلف أرجاء المكان، ثم توارت جميع الوفود عن الأنظار...

- ماذا!! وما الذي حصل بعد ذلك؟؟ أكمل من فضلك

- المهم ... بعدها قام بسحبي وتغيير حلاقة لحيّتي وشعري فبديتُ وسيماً جداً بنظره ثم نزلنا بسيّارته إلى أحد المتاجر الفخمة واشترى لي ثياب مزركشة وذات ألوان فاقعة وكانت حسب رأيه على الموضة وتخيلا أنها كانت على حسابه، وبعدما سعدنا إلى المنزل بدأت أعين المشتريات فقال لي وهو يرمي باتجاهي علبة تحتوي على سجائر كثيرة...

" خذ يا صاح ... هذه كلّها لك وعندما تفرغ قل لي لأمدّك بالمزيد، اتفقنا؟؟

" نعم شكراً لك، والآن ماذا؟؟ "

" والآن ... لديّ عرض مغر يا عزيزي هشام وأودّ تقديمه إليك، إن لدي صديق حميم يقطن في مدريد وأريد منك إذا وافقت طبعاً، أن تسافر إليه لفترة وجيزة وستكون تكاليف السفر على حسابي بالطبع، ثم ستوصل له هدية ستحملها معك من البرازيل إلى مدريد وإن وافقت فستحصل على مبلغ مالي فظيع وراء هذه الخدمة البسيطة وهذا سيمكنك من تسديد المال الذي أعطاه لك والدك والتسجيل في أعلى الجامعات بالإضافة إلى التمتع بكل ما تريد من طعام ولباس أو أي شيء آخر، فكما يقولون دائماً " إذا كنت تمتلك قرش فأنت القرش " المهم هل توافق؟؟ أم لا؟ "

" بالطبع لا مانع عندي ... لكن قل لي ما هي تلك الهدية؟ "

" ليس شيئاً عليه القيمة أو يجذب الانتباه لحجمه أو وزنه ... فقط القليل من مخدّر الـ (.....) "

" ماذا تقول؟؟! مخدّرات!! أنا لا أسد ... لا لا يمكنني فعل هذا!! "

" آه! اهدأ، ما بك يا رجل؟ لم كل هذا الانفعال؟ "

" لأنني يستحيل أن أفعل شيء كهذا ... مستحيل! "

قال بعصبية ونزق:

" بل ستفعل لأنك رجل ... لأنك تأبى أن تظل تحت حكم

والدك المتسلط ... لأنك تستحق أن تعوّض ما فقدته ...

تستحق الحصول على المال بدون عناء وترجّي، تخيّل أنك لم

تجد فرصة عمل كيف ستسدّد النقود لوالدك، أم دعني

أصارك بشيء يا عزيزي ... إن النقود التي معك لا تكفي

للتسجيل بجامعة للمتسولين حتى ... أظن بأن والدك كان

يسخر منك ... وأنت أيها الولد المدلل لم تفهم هذا لأنك كنت

حينها ساذج، أمّا الآن فسيهابك الجميع إن فعلت هذا

سيحترمونك وسيقدّرون مثيل صنعك ... لن تظل منبوذاً بتاتاً

... اسمعني عزيزي لن تجد أحداً في هذه الدنيا يحبك ويخاف

على مصلحتك أكثر منّي وافق لتنال الكثير "

" لكن ... هذا لا يجوز فتتهريب المخدرات رغم كل شيء يعتبر جرم

مشين!، ويعاقب عليه القانون "

" آه يا عزيزي ... لن تكررهما مرة أخرى ... أعدك "

" هل تضمن لي هذا؟ "

" أكيد "

" لكنه أمر في غاية الصعوبة "

" سيكون كل شيء على ما يرام لا تقلق "

وحينها انتابتني جرعة شجاعة فقلت باعتداد مبالغ فيه:

" حسناً سأفعل ... ليس من أجل الأموال فحسب بل لكي أثبت

للجميع وأولهم والدي وإخوتي كم أنني رجل أستحق الثقة

والتقدير والاحترام "

فابتسم بمكر ابتسامة صفراء وكأنه يقول " هذه البداية فحسب ... سأعلمك الكثير أيها الهمجي المدلل حتى تصبح كالخاتم في إصبعي، ولن تقوى على الكلام أو النظر بعينيّ حتى!..."

اقترب موعد زفاف أمل إذ تبقى له يومان فقط لا غير، ولإتمام التجهيزات أجمع قررت الذهاب مع أمها للسوق وشراء ما يلزمها، ولكنها كانت قد قررت شيئاً آخر وأسرته بنفسها لكيلا يصدّها أو يمنعها أحد، المهم ... وبينما كانت تتجول في أرجاء السوق الشعبية مع أمها توقفت فجأة عند محلّ ما ثم نظرت إلى أمها وابتسامة لطيفة تزين ثغرها وما لبثت أن دخلت فاستوقفها صوت أمها المتسائل:

- عزيزتي أمل ... أنت لا تحتاجين شيئاً من هنا! فلماذا توذّين الدخول؟؟

- ستعرفين عندما نرجع إلى المنزل يا أمي ... لا تقلقي سيكون كل شيء على ما يرام

- لا أعلم ... كما تشائين تستطيعين فعل ما يحلو لك
دخلت أمل واشترت ما تريده ثم أكملت إتمام حاجياتها من المتاجر الأخرى وعندما وصلتا إلى المنزل حثّت الخطى نحو غرفتها وأوصدت الباب خلفها ثم جلست على سريرها وبدأت تعاین المشتريات إلى أن وصلت إلى الكيس التي تبغيه فابتسمت من جديد وحملته ثم توّجّهت إلى المرأة، وفي تلك الفترة كان والدها قد أعد القهوة فغيّرت أمها ملابسها على عجل وجلست معه في غرفة المعيشة ليحتسبها سوياً، وبينما كانا يشربانها بهدوء أتى صوت من خلفهما:

- سيداتي وسادتي ... نقدّم لكم أمل الخطيب بإطلالتها الجديدة ... فما رأيكم بها؟؟!

توجّهت الأنظار نحو أمل ففغرت أمها فاها ثم صاحت بدهشة ممزوجة بفرح جلي:

- سترتدين الحجاب يا أمل!! ... أنت رائعة جداً يا حلوتي!!
ابتسمت خجلة لإطراء أمها اللطيف، فابتسم والدها بصفاء مخلفاً كل هموم الدنيا خلفه ثم قال أخيراً:

- آه يا حبيبتي ... لم أكن أتوقع أن ترتديه يوماً ... تبدين أجمل عن ذي قبل بكثير! أنت فعلاً رائعة بل أكثر من رائعة ... بارك الله بكِ وثبتكِ على طريق الحق والصواب

- شكراً جزيلاً لكما ... فلقد تبين لي كم كنت مقصرة بحق ديني ... لم أكن أرتدي الحجاب ولم أكن أواظب على الصلاة وقراءة القرآن ... كما أنني لم أكن أسبح أو أستغفر بتاتاً إلا عفويّاً، والآن سأحافظ على كل ركن من أركان ديني إن شاء الله، فمع أنني كنت غير ملتزمة إلا أن الله كان يسامحني وييسر لي، وقد سلّم أمي لي ودبّ فيها الحياة أفلا يجب علينا أن نشكره؟! ... الحمد والشكر لله!

نظرت إليها أمها بحنو وعينيها مغرورقتين بالدموع ثم هبت وعانقتها بقوة ومن ثم همست:

- أحبك يا أمل ... أحبك كثيراً يا قطتي الوديدة!

فهمست أمل بدورها:

- وأنا أعشقتك يا أجمل أم بالعالم كله!!

- المهم يا ابنتيّ وبعدها أخذت قرار نقل الممنوعات لصديقه من البرازيل إلى مدريد وحزم لي حقيبة فيها ملابس وجزء لا يتجزأ من الممنوعات على حسب قوله، وحدد لي أيضاً موعد سفري إذ كان بعد 24 ساعة من تلك اللحظة...

صعدتُ على الطائرة وجلستُ في الكرسي المخصص لي وانطلقتُ الطائرة وسار كل شيء على ما يرام ومضى الوقت بيسر وسرعة كبيرة فشكرتُ الله وحمدته في سري، وعندما هبطتُ الطائرة في المطار ودلفتُ منها على عجل ... أحسستُ بشعور غريب يسري في عروقي وبدأتُ أتوتر وأتصبب عرقاً لكنني طمأنتُ نفسي وهمستُ: كل شيء سيكون على ما يرام، ورحتُ أمشي وأمشي إلى أن ... إلى أن رأيتُ ضابطة تتقدم نحوِي وتقول بلغة إنجليزية ذات لكنة إسبانية:

" عذراً سيدي ... جواز سفرك من فضلك "

" جواز ... سفري؟! آه طبعاً تفضلي "

ناولتُ الضابطة جواز السفر ويدي ترتجفان بعض الشيء، فأخذته منِّي وهي تحدقُ بي بريئة ... ثم تفحصته وقالت:

" تفضّل معي من فضلك ... نوذُ تفتيش حقيبة سفرك "

" آه لماذا!! لا ... لا يوجد بها شيء "

" لا بأس لن يطول الأمر كثيراً ... حفاظاً على السلامة العامة فقط لا غير "

" حسناً كما تشائين "

نظرتُ أسيل إلى السيد هشام مستفهمة، ثم قالت بامتعاض:

- وما الذي حصل بعد ذلك؟؟!

7

زفاف أسطوري!

- حبيبتي ماما ... هل غدا الوشاح الذي سأرتديه فوق فستان الزفاف عندما أخرج من الصالة جاهزاً؟؟
- نعم يا حبيبتي لقد أصبح جاهزاً تماماً ... كما أنه يغطي شعرك بأكمله بالإضافة إلى أن طوله يصل إلى عند خصرك تقريباً
- جميل جداً يا أمي ... بقي أقل من سبع ساعات على العرس وموعد صالون الحلاقة بعد ساعة ونصف أليس كذلك؟؟
- بلى ... تجهزي لكي نذهب هيا!

إنه اليوم المنتظر بالنسبة للجميع ... يوم زفاف ابنة محمد الخطيب الوحيدة، الجميع متأهبون ومتحمسون وكلهم يسعون إلى أن يكون عرساً لا يعلى عليه تخفيفاً عن أمل، فما حصل معها في الأيام والأشهر الماضية لم يكن هيئاً عليها أبداً، قامت خياطة العائلة نجلاء بحياكة فستان زفاف في غاية الرّوعة لونه أبيض وزين بورود خيّطت باللون الزهري الفاتح والليلكي الفاتح وأحيطت بقطع ناعمة وبرّاقة من الألماس واللؤلؤ، كان له أيضاً ذيل طويل امتدّ من نهايته الخلفية مصنوع من أفخم الأقمشة، وكانت أكمام الفستان قصيرة ومزيّنة بالألماس أيضاً، وعندما قررت أمل ارتداء الحجاب الإسلامي خيّط لها وشاح مماثل جميل لتضعه عندما تهم بالخروج من وإلى الصالة...

أما عن الحلّي فقد اشترت طاقم كامل من المجوهرات المصنوعة من الألماس والذهب الأبيض وكانت رائعة وراقية أيضاً، وأخيراً حصّرت باقة ورد تحتوي أجود أنواع الورود وبعض الورود النادرة، وبعد ساعة ونصف

ذهبت أمل وأمها إلى صالون الحلاقة فصففت شعرها الناعم بطريقة تلفت الأنظار وكانت أنيقة حقاً، ثم وضعت لها "ماكياج" خفيف فمع أن جمالها الطبيعي لا يضاهى إلا أن مستحضرات التجميل زادت بها رونقاً وبهاء!....

وبعد الانتظار الشائق حان موعد الزفاف ووصلت السيارة "الليموزين" الفخمة ذات اللون الأبيض لتقلّ عروستنا إلى الصّالة...

هشام

- كفاكما الآن ... فمنذ أن بدأت بإخباركما قصتي لم تدعني أنم جيداً لن أقولها دفعة واحدة بل سأقسّمها على أيّام مثلما فعلنا سابقاً

- أرجوك يا ... أبي أكمل، فعلى ما أظن لم يبق الكثير هيا أكمل لطفاً

- نعم يا عماه أكمل من فضلك فلقد تشوقنا بما فيه الكفاية ابتسمت وأنا ألوح بيدي باستسلام ثم قلت مداريا الموقف المرحج الذي وضعتني به الفتاتين:

- حسنا لا داعي للترجي ... آه سأكمل فليس بيدي حيلة زفرت بحق مدّعي الغضب فابتسمتا بمكر ممزوج ببعض شقاوة الطفولة التي لم تكن قد فارقتهما، فاستطردت بهدوء ورضا تام عمّا يجري:

- وبينما كانت الضابطة تفتح الحقيبة عاودت سؤالي من جديد: " هل أنت متأكد من أن هذه حقيبتك الخاصة؟"

فأجبتها بتعثر وارتباك حاولت إخفاؤه قدر الإمكان:

" نعم إنها لي ولمن قد تكون!"

"حسناً سنفتشها الآن بحثاً عن مواد ممنوعة"

وراحت تقلب وتفتش إلى أن عثرت على بعض الأكياس التي كتب عليها أنها تحتوي منتجات غذائية، فتمعنت بهم وقلبتهم ثم وضعتهم جانباً وبعد معاينة الأغراض الأخرى فرغت الحقيبة بأكملها ثم أحدثت فتحة في أسفل الحقيبة وأخرجت منه ثلاثة طرود!، فوضعتهم بقرب المنتجات الغذائية ثم جلبت علبة تحوي سائل وردي اللون وعلبة أخرى تحتوي على أعواد قطنية تشبه التي تستخدم لتنظيف الأذن، وبعد ما يقارب العشر ثوان حدقت بوجهي الممتقع من جديد وهي تقول:

" سأخذ عينة من الطرود ومن المنتجات الغذائية أيضاً ثم سأضع من هذا السائل الوردي على العود القطني وإن تحول لونه إلى الأزرق فهذا يعني احتوائها على ممنوعات حسناً "

" حسناً كما تشائين "

وهنا بدأت أفقد صوابي وأحسست كم أنني كنت ساذج، وكدت أصرخ وأبكي عندما رأيتها تتحسس العينة بالعود ليتحول اللون من الوردي إلى...

" لقد تحولت إلى اللون الأزرق وهذا يعني احتوائها على ممنوعات، كما أنها صافية تماماً "

فغرت فمي ونظرت إليها نظرة رجاء لكن ضابطاً آخر جاء من خلفي ووضع الأصفاذ في يدي بخفة وسرعة وهو يقول:

" أنت رهن الاعتقال بتهمة ارتكابك جريمة تضر بالسلامة العامة ستقرأ عليك الضابطة حقوقك الآن، فحافظ على هدوءك من فضلك واعلم أن أي كلمة قد تقولها من الممكن أن تحتسب ضدك "

جلست على المقعد المقابل لمكتب الضابطة باستسلام وأنا أقول بصوت يقظعه نحبي:

" لقد أغراني شاب يسكن معي في سكن شبابي، وقال إن كل شيء سيسير على ما يرام، لقد كذب عليّ كنت أحتاج للمال وهو قدّم لي هذه الفرصة على طبق من ذهب ... سامحوني أتوسل إليكم سامحوني ... أنا فعلاً متأسّف على هذا "

نظرت إليّ الضابطة بحنو ثم جلست بوضع ركبتها على الأرض بقرب مقعدي وبعد أن تأملت تقاسيم وجهي قالت برقة:

" آه لا داعي للاعتذار بني ... فأنت ما زلت صغيراً، ستنقضي سنين السجن بسرعة وستعود لتعمل بجدّ لتكسب المال بسبب تعبك وليس بسبب الجرائم، والآن اسمعني جيداً سأقوم بتحديد وزن الممنوعات من خلال هذا الميزان الإلكتروني وهكذا تحدد السنين التي ستقضيتها داخل الزنزانة ... وبعدها سأملي عليك حقوقك "

" حسناً "

قامت وحددت وزنهم بخفة فتبين أنهم ما بين الخمسة والستة كيلوجرامات وهذا يعني مدة حبس لا تقل عن خمس سنين وقد تستمر لعشر سنين كدرجة قصوى، وبعدها أخرجت ورقة من أحد المصنفات وبدأت تملي عليّ حقوقني بحسب المكتوب فيها:

- " يحق لك التزام الصمت ... يحق لك عدم الإجابة على الأسئلة الموجهة إليك لكيلا تورط نفسك بقضايا أخرى ... يحق لك إجراء مكالمة هاتفية واحدة ولأي شخص كان من عائلتك طبعاً وليس لمن أعطاك الممنوعات وأمرك بنقلها ... كما يحق لك أخيراً توكيل محام إن كنت تعرف واحداً وإن لم تكن تعرف فستوكل لك الحكومة واحداً "

- حسناً أريد الاتصال بوالدي ... تفضلي هذا هو رقمه

ناولتها الرقم فاتصلت به سريعاً وأعطتني السماعه التي تعلن رنين الهاتف عند الطرف الآخر، وبعد الانتظار قليلاً سمعت صوت والدي الخشن ... ربما كنت أريد مشاركته همّي أو ربما تحميله مسؤولية ضياع ابنه، نعم لقد كنت أفكر بأنه المسؤول عما حصل لي...

" أوها ويا صحن مجدّرة ... أوها ومجلل بالكزبرة ... أوها وعروستنا حلوة ... أوها ما بدها غندرة ... وللليليش! "

" أوها وفي بيتنا رمانه ... أوها حامضة ولفانة ... أوها وحلفنا ما نقطفها ... أوها لتتجوز الحلوة أمل بالسلامة ... وللليليش! "

" أوها ويا صحن رز بحليب ... أوها وكل ما برد بطيب ... أوها ونحن أهلية ... أوها وما فينا حدا غريب ... وللليليش! "

كانت الصالة فخمة جداً وكانت تحتوي على درجان يتصلان بالقاعة الأساسية التي تجمع بها المدعويين أحدهما لينزل العريس عليه والآخر لنزول العروس والتي هي أمل، وعندما حان موعد قدوم العريسين بدأت النسوة تطلقن الزغاريد العذبة ووُضعت الأغاني المميزة، ثم بدأت المصورة الفوتوغرافية بالتقاط الصور وتسجيل مقاطع الفيديو ... المهم نزلت أمل وعريستها آدم كل واحد من درج ثم توقفا عند الطاولة التي وضعت عند نهاية الدرجين ليقطعا قالب الحلوى الكبير والذي اتخذ شكل قلب جميل صنّيع من الشوكولاتة البيضاء اللذيذة، وبعدها قدّمت العصائر المنعشة والمثلجات اللذيذة للعروسين والمدعويين أيضاً، كما قامت أم العريس بمساعدة أمل على ارتداء الخاتم الذهبي وبقية الحلى المصنوعة من الذهب الخالص ثم بدأت تتوافد الهدايا على أمل والذي تسمّى باللهجة الشامية " النقوط "، وعندما فرغ الجميع من تناول الضيافة وضعت الأغاني الراقصة من جديد فبدأت أمل ترقص خلف

الكاميرات المتعددة بثوبها الرّائع وحركاتها البريئة وخفّتها التي تلفت الأنظار، إذ تعالت الهتافات وبدأ المدعوون بالصفير والتصفيق الحار... ثم وضعت إحدى المضيفات أغنية راقية وقدمت مكبرين للصوت لكلا العريسين لكي يغنّوا مع الموسيقى وتعالت الأصوات المشجعة من جديد ... وعمّت الفرحة أرجاء الصّالة، وأخيرا وقبل انتهاء الحفل بقليل ورّعت قطع من قالب الحلوى للجميع وعندما فرغوا منها أعلنت الساعة نهاية حفلة الزفاف وحضرت سيارة العروس لتقلها وعريستها إلى منزل العائلة إذ قرر آدم أن يسكن مع أمه وأبيه إلى أن يتمكن من شراء منزل، كما تبعتهم فرقة العراضة الشامية اللذين التفوا حول السيارة التي تقطع الطريق ببطء وأخذوا يمشون معها ويكملون هتافاتهم... ولا ننسى أنه لحق بسيارة العروس موكب من السيّارات التي يطلق سائقوها الزمامير وتطلق النساء المتواجداً فيها الزغاريد...

- وبعدها اتصلت بوالدي وأخبرته بأنني محتجز بسبب تهريب الممنوعات وأنني سأقضي بضعة سنين في السجن ثم سأعود إليهم ... وعندما أنهيت المكالمة قاموا باصطحابي ليزجوني خلف القضبان...
- هكذا إذن لقد احتال عليك ذلك الشاب ... وأظن أنك لم تر وجهه قط بعدما خرجت من السجن، أليس كذلك
- بلى يا بريانا بلى ... لم أراه منذ ذلك اليوم لأن...
- قطع حديثهم الرنين الملحّ لهاتف السيد هشام، فأمسك به سريعاً وفتح الخط لكي يرد فأتاه صوت يتكلم بخبث وبلهجة إنكليزية سليمة:
- مضى وقت طويل ... هشام
- أنت!!؟!!
- نعم أنا لماذا تفاجأت؟؟ هل لأنك فشلت بنقل ممنوعاتي؟!

- ما الذي تريده مني؟؟ ولماذا اتصلت بعد كل هذه المدّة الزمنية؟؟
- لكـي أدهـو_____ورك
- حملق السيد هشام في الفراغ وفغر فاه، بينما كانت بريانا بصحبة أسيل تنظران إليه بتساؤل، فازدرد ريقه بصعوبة، ليستطرد محدّثه بلهجة حازمة:
- هل تذكر الشيء الذي فعلناه قبل ساعة من سفرك في شقتنا المشتركة؟؟
- لا ... لا أظننا فعلنا شيئاً!
- هذا أمر طبيعي ... عزيزي هشام يبدو أنك أصبحت عبارة عن عجوز خرف!، على كل حال لا يهم ... والآن اسمعني جيداً لأنني لن أعيد كلامي
- لم يرد هشام عليه وظل مطرّقاً منصتاً لحديثه، فاستكمل ببرود ولهجة مستفزة غير مبالية:
- لقد كُنّا قد وقعنا عقداً على ورقة بيضاء من أجل نقل الممنوعات ... ويتضمن هذا العقد بندين أحدهم يتكلم عن المال الذي ستأخذه إذا نجحت والآخر خلاف هذا لقد كان ... عن المال الذي سأستلمه أنا منك إن أخفقت، وهذا ما حدث، لكننا في ذلك الوقت لم نكتب أي قيمة بل فضلنا الانتظار إلى أن ترجع وها أنا ذا أستطيع كتابة القيمة التي أريدها وأستطيع أيضاً تحديد أي موعد لاستلامها
- نزلت الكلمات كالصاعقة على السيد هشام فقال مستوضحاً وكان لا يزال تحت تأثير الصدمة:
- وما الذي تريده مني؟ ... هيا قل بسرعة

- آه يا صديقي العزيز تمهل في الحصول على رزقك ... لقد تسامحت معك بشدة إذ دوّنت عليها تسعة آلاف دولار ... فقط لا غير
- ماذا!!! ومن أين سأجلب كل هذا ... يا له من هراء، مستحيل!!!
- حسناً إذاً لا بأس ... فبحسب القانون إن لم تسلّم المال في الوقت المنشود ستتم مصادرة كل الأملاك التي تحتوي اسمك ... وهذا سيكون جيداً أيضاً ... فستصبح بلا مال ومأوى ... والآن سأمهلك مدة 24 ساعة فقط لا غير، ثم سأتصل بك مجدداً لأحصل على جوابك
- ثم أضاف بخبث وهو يضحك:
- وتذكر دائماً أنك لن تجد أحداً في هذه الدنيا يحبك ويخاف على مصلحتك أكثر منّي هههههه إلى اللقاء يا هشام العزيز
- انتظر!!
- أقفل الخط سريعاً، فتهاوى هشام بإعياء على الأرض فركضت بريانا لتجلس بقربه وتمسك بكلتا يديه، بينما سألته أسيل:
- ما الذي حصل يا عمي؟؟ من هذا؟؟ وما الذي يريده منك؟!
- آه ... آه ماذا فعلت في نفسك يا هشام؟؟؟ ما هذا الغباء الذي كنت عليه؟؟! هل ظننت أن الأمر انتهى؟! انظر وتمعّن جيداً لقد وقعت في مصيبة جديدة فكيف ستخرج منها ... آه!!
- رنت إليه بريانا باهتمام ثم قالت بنزق:
- أرجوك يا أبي تكلم بوضوح ... أرجوك!
- كنت قد وقّعت مع خبيث الممنوعات قبل سفري لنقلها على بياض!!، وكان شرطه أنني إذا تمكنت من نقلها سيكتب القيمة التي أريدها فيها ويوقع ثم يعطيني المبلغ، وإن أخفقت فسيحصل العكس ... وها هو الآن قد وقع بقرب توقيعني، ثم زوّر

بصمتي بطريقة أجهلها وبصم بقربها و ... واتصل ليपालبني

ب....

- بماذا؟؟؟ تكلم!

- بمبلغ ... حوالى تسعة آلاف دولار!!

فغررتا فاهما ثم تعلقت عيناها بوجه السيد هشام وملامحه المتغضنة التي تشهد حكايات عديدة ملؤها أسى ... ثم صمت ثلاثتهم وكأن على رؤوسهم الطير!!

الفصل الثاني

رأساً على عقب

8

رؤوس أقلام

استيقظت أمل الخطيب باكراً صفت شعرها بعناية ثم ارتدت "أفرول" سكري اللون قدمه ضيقة من الأعلى وواسعة من الأسفل وأكمامه قصيرة بعض الشيء وأخيراً رشت بعض من العطر، تأملت ملامحها على المرأة فابتسمت في رضا تام ثم خرجت من الغرفة لتعد القهوة الصباحية ولأول مرّة، وبينما كانت منهمكة في تجهيز الفناجين دخلت السيدة حنان - والدة آدم - إلى المطبخ وهي تقول بود:

- صباح الخير عزيزتي أمل ... أراك مستيقظة باكراً! آه أنت تعدّين القهوة، حسناً إذا تريثي قليلاً في صنعها
- صباح النور ماما ... لا بأس سأتريّث لكن هل لي بمعرفة السبب!
- بالطبع حبيبتي ... سيأتينا ضيوف بعد قليل أخوي آدم وزوجتيهما وأولادهما، وسيقيمنا عندنا لشهر ربما ... وممكن أن يكون أكثر أو أقل ... لا أدري بالضبط
- آه نعم بكل سرور ... بالمناسبة سأحاول جاهدة لتكوين صداقة مع زوجتيهما إن شاء الله
- آه من تعنين؟؟ هنادي وهند؟؟! بالطبع حاولي فسيكون هذا جيداً!
- هنادي وهند!! هذا جميل اسمان متشابهان! يا للصدفة!
- ليست صدفة يا ابنتي إنهما أختان ... أخوان تزوجوا أختان لقد كان هذا جيداً في وقتها ... والآن سأذهب لإيقاظ عمك عبد الحميد
- حسناً كما تشائين

تنهدت أمل بخيبة جليّة ثم أطفأت النار تحت ركوة القهوة، وذهبت باتجاه غرفتها لتنتقي الملابس وغطاء الرأس المناسبين، ورسمت برأسها جيداً كيف ستحاول نسخ صورتها في رأس من سيأتي من خلال الانطباع الأول التي ستتركه...

صرخة مدويّة مرّقت سكون الليل ورهبتة، فانتفض كل من السيد هشام وبريانا إلى غرفة أسيل، وعندما دخلها سوياً وجدها جالسة على السرير وهي تتصبب عرقاً فركضت إليها وأمسكت كفيها بحنو ثم همست لها بلطف:

- هل أنت بخير حبيبتي أسيل؟؟!

لم تجيبها بل سحبت كلتا يديها بعصبية وأمسكت رأسها بقوة وهي تتلعثم بعبارات مبتورة، فأسرت بريانا إلى والدها وصاحت:

- أبي!! يبدو أنها بدأت تستعيد ذاكرتها! أرجوك أحضر ورقة وقلم

لأدون عليها ما فهمته من عباراتها

- حسناً يا ابنتي لك هذا

أحضر ورقة وقلم على عجل وأنصتت بتركيز فعاودت أسيل ترديد تلك العبارات ولكن بطريقة مفهومة أكثر بقليل هذه المرّة:

- نانسي إيلين ... المستشفى!!

- أسيل أرجوك هل استعدت ذاكرتك؟؟!

صرخت بقوة أكثر هذه المرّة ثم تهاوت جالسة على الأرض وعبراتها تهطل بسخاء ... ثم أردفت بصراخ هذه المرّة:

- لا لا تمت ... الحادث! ... الحريق

أنهت بريانا تدوين ما قالتة ... ثم فتحت فمها لتنفوه بشيء لكن ردّة فعل أسيل كانت أسرع من كلامها إذ فقدت وعيها وخرّت على الأرض بلا حراك، وهنا صرخت بريانا:

- أبي يجب أن ننقلها إلى المستشفى التي يعمل بها الطبيب
مهند في حالات الطوارئ، فهو الأكثر علماً بحالتها!!

وَفَاءٌ

جلست أمسح الغبار الخفيف المتواجد على بضع قطع من الأثاث، ثم جلبت المكنسة الكهربائية لأكنس الأرض، لكن ... ماذا بعد؟ آه حسناً سأعد طعام الغداء حتى لو كان الوقت مبكراً، لذلك قمت بطهي أرز مع البازلاء الخضراء ثم حضرت لبناً عيراناً، وأخيراً لم يعد يوجد أي شيء لأفعله فزوجي محمد تناول طعام الفطور ثم خرج قاصداً عمله، وأمل الآن في بيت زوجها أما ولديّ الآخرين ندى وأبهم فلا أستطيع رؤيتهما مهما حاولت فلقد ذهبا للقاء المولى، تنهدت بعمق محاولة السيطرة على هدوئي ثم طردت تلك الأفكار السلبية التي كانت تعصف بداخلي فوراً... دخلت إلى المطبخ من جديد لأعد القهوة وعندما فرغت من إعدادها أشعلت التلفاز على إحدى المسرحيات المصرية القديمة ورحت أتابعها مشغولة اللب، إلى أن تداركت نفسي عندما سمعت رنين هاتفني الملح يتصاعد بقربي فأمسكته على الفور وتعرّفت على المتصلة فوراً فهمست بارتياح:

- لقد أتت التسلية إلى عندي بقدميها!
ثم رددت على جيهان التي اعتبرها كابنتي، فأخبرتني أنها تريد زيارتي وبالطبع رحت بها كثيراً وأخبرتها أنني بانتظارها...

طُرق الباب بصخب ورنّ جرسه معلناً وصول الضيوف المنتظرين فسارعت حنان بفتحه، وبينما كانت أمل تعدل غطاء رأسها سمعت أصواتاً عالية وهرج فهمست بسرّها:

- هيا يا أمل لقد حضروا

ثم طالعت هندامها فأعجبها فلقد بدا الثوب ذو اللون الأزرق الفاتح جميلاً عليها ومناسباً جداً، توجهت نحو الباب فوجدت حشداً كبيراً من الناس فتريثت قليلاً ليبادروها هم أو أحدهم بإلقاء التّحية لأنها وجدت أن الدخول فوراً وإلقاء التّحية والاندماج سيعد نوعاً ما تطفلاً، ابتسمت وهي تراهم منسجمين وسرحت قليلاً لتتذكر الأيام الخوالي وتحديدأ عندما اجتمعت عائلتها أجمع تكريماً لعودة ندى، ثم قُطع تفكيرها عندما رأت امرأة شقراء تبدو بالثلاثينيات تتقدم نحوها بخيلاء، كانت بشرتها بيضاء وعيناها عسليتان جميلتان وأيضاً خصلاتها الشقراء القصيرة مجعّدة نوعاً ما، لكنها تفاجأت عندما رأتها ترتدي تنورة ضيقة قصيرة وفوقها قميص تضعه بها!، وأيضاً طلاء وجهها الصارخ ومكياجها الذي كان على آخر طرزا!، فقد كانت تظن أن عائلة زوجها ملتزمة بحثة فأخوات آدم وأمه يرتدون معاطف طويلة وفضفاضة تستر أجسامهم وبعض معارفه أيضاً يرتدون النقاب، وعندما تقلّصت المسافة بينهما سارعت المرأة بمد يدها في شيء من الغرور لتصافح أمل فابتسمت وصافحتها بحرارة لكن المرأة سحبت يدها سريعاً وراحت تتأملها بنظرات ثاقبة أزعتها بعض الشيء، ثم قالت بتهكم:

- آه أظنك أمل التي حدّثنا عنها آدم أليس كذلك؟؟ امممم

لكنك لم تكوني تضعين هذا!

أنهت جملتها وهي تشير إلى غطاء رأس أمل باستهانة خفيفة ... ثم ما لبثت أن استطردت:

- صحيح ... أعرفك بنفسي أنا هند زوجة أخ آدم الأصغر أسامة

الرجل الأكثر انطلاقا ومرحا في عائلة "نجيب"

قالتها وهي تشير إلى زوجها ثم أكملت وهي تشير إلى المرأة الأخرى:

- وهذه أختي هنادي زوجة وائل الأخ الأكبر ... بالمناسبة أنصحك

بألا تزعجها فهي قاسية جداً عند الجد

ابتسمت بسخرية خفيفة، أما أمل اكتفت بإلقاء نظرة فاحصة على هنادي التي بدت رزينة ومتحفظة نوعاً ما، فكانت ترتدي ملابس رسمية عبارة عن تنورة رمادية وقميص أبيض وفوقه سترة رمادية أيضاً، وبعد قليل تابعت هند الثرثرة من جديد:

- والآن أعرفك على ولديّ ... أولاً مليسيا التي تبلغ من العمر ست

سنين ونيف، وليكن بعلمك أن اسمها يطلق على الفتيات

الرقاقات ذوات الشخصية القوية والمسيطرة

ابتسمت مليسيا ببراءة وهي تحيي أمل ... كانت قد ورثت عن أمها الشعر الأشقر وعن أبيها العينان الخضراوان الكبيرتان، ابتسمت لها أمل بدورها وحيثها فأردفت هند:

- وهذا صديقي وابني طارق عمره سبعة عشر سنة وهـ...

قاطعها طارق وهو يتقدم نحو أمل ويمد يده ليصافحها وهو ينظر إلى عينيها بتحدّي، لكنها لم تمدّ يدها وشعرت بخجل خفيف من طريقته التي لا تتناسب مع سنه ... فنظرت إليه أمه وهي تبتسم بخبث ثم همست بسخرية لاذعة وهي تدفعه أمامها بخفة:

- لا ترهق نفسك عبثاً عزيزي ... فهذا النوع من النساء المتمزمتات

لا يصافحن الرجال أمثالك ... هيا تعال لنلقي التحية على جدك

فهذا سيكون أكثر فائدة

وأخيراً مشت أمام أمل بينما ضحكتها الرنانة تجلجل المكان وابنها يتأبط ذراعها، فنظرت إليها بتجهّم وزفرت بحدّة ثم ما لبثت أن همست:

- يبدو أنني لن أتوافق مع تلك المرأة ... لكن لا بأس هذه البداية

فحسب يا أمل سيسير كل شيء على ما يرام إن شاء الله

تراجع الطبيب بكرسيه ذو العجلات، ثم قال وهو يخلع عويناته ويضعها في علبتها المتموضعة على المنضدة التي بقربه:

- لقد استقرت حالتها الآن بفضل العقاقير المهدئة ... كما قمنا بتصوير كامل للججمة والدماغ لمعاينة الإصابات الدماغية التي نتجت سابقاً عن الحادث ... مما بين لنا تعافي طفيف وهذا لا يبشر بالخير بتاتاً فهذا القدر من التعافي بعد كل تلك المدة يوضح لنا شيء واحد ... ألا وهو أن أمر فقدانها لذاكرتها سيطول نظرت بريانا بعينين حزينتين ثم هتفت باحتجاج:

- كيف هذا؟! لقد ... لقد تفوّهت ببعض الأشياء عندما كانت في حالة انهيار شديدة!

- نعم آنستي أنا لا أنفي هذا، وأظن أن سببه تفكيرها الشديد في حادثة أو خاطرة ما والآن سأطرح على كليكما سؤالاً وأودّ منكما التفكير ملياً ثم الإجابة

- تفضل

- هل سبق لها أن تفاعلت أو تأثرت عندما سمعت أحدكما يذكر شيء ما ... ربما قصة أو ما شابه؟

فكر كلاهما ملياً لكنهما لم يذكرنا شيئاً مهماً فاعتذرا بهدوء، وعندما اطمئنا على حالة أسيل وقررا تركها الليلة في المستشفى على أمل لقائها في اليوم التالي بصحة وعافية تقدما نحو الباب فهم السيد هشام بفتحه لكن صوت بريانا وهي تهتف استوقفه:

- لقد تذكّرت! فعندما أخبرتها ذات مرّة بأحداث الطائرة التي صعدا عليها وكادت تتحطم إلى أن قادتها فتاة وهبطت بها بشكل آمن، أصيبت بصداع شديد فور انتهائي من سرد تلك القصة فناولتها دواء مسكناً وبعد أن خفت ألمها قليلاً غطت في نوم عميق

تنهد الطبيب ثم ابتسم بظفر وقال:

- يبدو أن لك الفضل بالتعافي الطفيف الذي حصل فلقد حفّرتها على التذكر، لكن لا يمكنني أن أجزم بأن هذه القصة بالتحديد لها ذكريات معها ... المهم أنك كتبت ما قالته وعندما تستيقظ وترتاح قليلاً أو ذُتوكيلك بمهمة فهل أنت جاهزة؟
- بالطبع! سأفعل ما بوسعي في سبيل استعادتها لذاكرتها
- جميل ... هل بإمكانك تدخيل قصة الطائرة وقصص أخرى رويتها لها مع العبارات التي قالتها بمختلف الطرق فلعلها تتذكر شيئاً جديداً لكن لا تجهدوها فإن الإجهاد قد يسبب مضاعفات عكسية اتفقنا؟!
- بالطبع ... يا حضرة الطبيب!

أمل

احتسينا القهوة سوياً ثم أعددت وأم زوجي السيدة حنان طعام الفطور الشهي، وعندما فرغنا من تحضيره وجلسنا لتناوله بدأ أسامة بالتحدث مما أثبت لي أنه وزوجته شديدي الثثرة ولربما يكون أحدهم أصاب الآخر بعدوى الكلام الزائد، تنهدت وأنا أقلب الفول المدمس المتموضع في صحنى وأنصت للحديث الغير مباشر والصادر عن عدة أطراف، إلى أن صمتوا جميعاً فعاود أسامة ثرثرته مجدداً:

- سلمت يدك يا أمي الطعام لذيذ للغاية ... آه كم اشتقت إلى الجلوس في منزل العائلة والتجمع على سفرة واحدة من أجل تناول طعامك الذي تعديه بإتقان أظن أنك الأروع بالطبخ على الإطلاق ... صحيح تذكرت أن أخبرك بأنه لا داعي للطهي من أجل

- الغداء إذ أنني سأقوم بشراء طعام جاهزا ... ها ماذا تودّين أن أحضر معي؟
- آه يا عزيزي أسامة أولاً عليك أن تشكر زوجة أخيك أمل فهي من أعدت الطعام أما أنا فساعدتها فقط، ثانياً عليك أن تعلم أنني سأرقص في مكاني من الفرح بوجودكم مجتمعين معي، وأخيراً اجلب ما شئت من الطعام أي على ذوقك
- نظر إليّ بعد أن رسم ابتسامة صفراء على وجهه ثم قال:
- شكراً يا أمل أظن أن مهارتك في الطهي وإعداد الطعام تجاري بعض الشيء مهارة أمني ... وهذا يعني الكثير من الطعام اللذيذ بوجود طبختين محترفتين
- أيدته زوجته بحركة خفيفة من رأسها لا تخلو من بعض الاستهزاء ثم قالت لي وهي تهز حاجبيها:
- صحيح يا أمل لم تخبرينا ماذا تفعلين أنت؟
- ما قصدك؟
- آه أقصد ما مهنتك؟ أم أنك من النوع الخجول الذي لا يقوى على العمل مع الناس؟ ... سامحيني على صراحتي إلا أن شكلك الملتزم يوحى بهذا لأن...
- قاطعتها وأنا أقول بنبرة هادئة يتخللها قدر وافر من الثقة:
- أنا ... أمتلك حياء لا يجعلني أسيء إلى أي شخص أثناء حديثي أو تعاملتي معه، لكنني لست خجولة في إطار العمل ... ولا أخفيك أن مهنتي تتطلب الكثير من الثقة بالنفس والجرأة، وأما عن حجابي الذي تمتعضين منه فصحيح أنني وضعته حديثاً إلا أنه لا يعيق عملي البتة فلقد زادني ثباتاً فوق ثباتي
- امممم وما هو عمك هذا الذي يحتاج للثقة؟
- أنا أعمل كمحامية ... عزيزتي

- حمامية؟؟! دفعة واحدة!
 - نعم ... ولم لا!
 - وأين درست الحمامة؟ جلالتك!
 - لقد درستها في فرنسا، وأسست مكتب حمامة سابقا هناك
 - في فرنسا! هل تودين مني أن أصدقك؟
- قال آدم بهدوء مستفز:
- يبدو أنك لا تعلمين أن عزيزتي أمل عملت على قضايا صعبة وتجاوزتها سابقا، وقد أعطيت رخصة للعمل هناك بسبب تميزها في عملها
 - ليس يادياً عليها فهـ...
- قاطعها مرّة أخرى، وكأنه ينهي الحديث:
- أظنكم ستمكثون هنا المدة اللازمة التي ستمكنكم من التعرف على شخصية أمل الرائعة، لكن هل لك أن تكوني أكثر ليناً يا هند عندما تحديثها؟ فهي ما زالت جديدة على الجوّ ومن الأفضل أن تتكلمي معها برقة ... أليس كذلك؟!
- ابتسمت سعيدة لأنه تمكّن من إصماتها بطريقة لطيفة ... فحالما تمتت ببعض عبارات مبتورة ثم صمتت متظاهرة باللامبالاة، وتلطيف الجو الذي غدا مشحوناً قليلاً قالت هنادي بلباقة ونبرة صوتها لا تخلو من مسحة دلال:
- آه كفاكما جدالاً الآن ... فوائل ينتظر انتهائكم لكي يخبركم بشيء هام سيسعدكم ... أما آن الأوان لجعله يتكلّم؟ حسناً عزيزي قل لنا من فضلك، ما هو مرادك؟

جِنَان

كنت قد حسمت قراري قبل الاتصال بالسيدة وفاء والدة ندى وإعلامها بأنني سأكون عندها في غضون ساعة، بعد أن قررت بأنني سأعود كما كنت سابقة وسأسلم زمام الأمور لعقلي لا لعاطفة تقودني إلى المجهول، ففي ذلك الوقت فرضت على نفسي التعايش في الغربة ونسيان عائلتي وسأعيد الكزة مرّة أخرى، لكنني لن أسافر إلى تركيا بل إلى فرنسا، ولوضعكم في الحسبان أنا لم أدرس المجال الفندقي قط لكنني كنت أعمل سابقاً بمطعم في تركيا فلقد كنت ... آه أخرج من قول مهنتي إلّا أنني ... طبيبة جراحة نعم طبيبة جراحة، وأعلم أنني قد أبدو مخبولة وبلهاء في أعين الذين يعلمون أنني بدلاً من العمل كطبيبة مرموقة فضلت العمل في مطعم عادي، لكن كان لديّ عذر ... آه إنها إصابة أخفيتها عن الجميع إلّا تلك المرأة التي تمتلك فراسة لا يستطيع أحد إخفاء شيء عنها ... نعم إنها أُمي، فبعدما بدأت العمل وبدأت شهرتي تتسع شيئاً فشيئاً بسبب إتقاني لعملتي ومهارة يدي اليسرى التي لا مجال للخطأ إن استعملتها، دُمّرت مهنتي وسمعتي في آن معاً بسبب حادثة لعينة جرت عندما كنت في النادي الرياضي، فذات مرّة ذهبت إلى النادي كما أفعل كل يوم وبدأت أتدرب بهمة ونشاط وفق برنامج محدد، وعندما جاء دور التمرين الذي يعتمد على استخدام الأوزان الثقيلة حملتها كالمعتاد وبدأت تمريني، إلّا أنني شردت للحظات ثم استفتقت من شرودي على ألم فظيع سببه لي سقوط أحد الأثقال على يدي اليسرى مما سبب لي إصابة لا أحسد عليها، واكتشفت بعد هذه الحادثة أنني لم أعد قادرة على التحكم بها من أجل إجراء عملية جراحية لأي شخص كان، وهذا أدّى إلى انهيارني الشديد وتركني للمهنة فيدي اليمنى لم تكن ماهرة فأنا عسراء في كل شيء حتى في الأكل والكتابة، ومضت السنون وحدث ما حدث إلّا أن أحداً لم يكن يعلم

جلسات العلاج والتدريب الذي كنت أمارسها في الخفاء من أجل يدي إلا أن تيقنت من جديد أنني الآن قادرة على إتمام ثلاث عمليات متواصلة في تلك اليد من دون كلل أو ملل، وحصلت على فرصة عمل مغرية في باريس وهذا أثار حماستي وجعلني أتخذ قرار الرحيل من جديد، على الرغم من ... أوه! هل أخبركم بسر؟ لقد تحدّث معي منذ فترة طبيب شاب اسمه يزن وكان يود الحصول على موعد لكي يأتي إلى منزلنا ويطلب يدي من أبي على سنة الله ورسوله، وتعلمون ماذا فعلت؟ لقد رفضته رفضاً قاطعاً وأخبرته بأنني سأسافر قريباً، ليس تهوُّراً مني وإنما لأنني بحاجة لاستعادة نفسي أولاً قبل اتخاذ قرار مصيري كهذا، ووفاء لحبيبتني الراحلة ندى ذهبت إلى عند والدتها لإعلامها بقراري وسؤالها إن كانت وزوجها تريد السفر معي تخفيفاً عنهم إلا أنها أجابت بالنفي القطعي وقررت البقاء في وطنها، فعدت أدراجي إلى منزلي وجهّزت حجزاً للطيران...

بعدها استيقظت أسيل وعادت للمنزل بعد أن استقرت حالتها، جلست في غرفة المعيشة ودعت السيد هشام وابنته ليجلسا وبعد صمت قليل قالت بصوت متقطع:

- وماذا الآن؟ علينا تحديد أولوياتنا ... فلا يوجد لعب مع هذا الشخص اللعين فلقد طلب تسعة آلاف دولار أي ما يعادل تقريبا 125 مليون وهذا المبلغ ليس هيباً بتاتاً

قاطعتها بريانا وهي تقول بحنو:

- دعينا من ذاك الرجل الآن واهتمي باستعادتك لذاكرتـ...
- أرجوك بريانا ... سيتم إغلاق هذا الموضوع منذ اللحظة لن تذكره أمامي اتفقنا؟ سأعتبر نفسي شخصاً جديداً وسأبدأ من

الصفرة، وإن كان لدي عائلة ... فالله يصبر قلوبهم ريثما أستعيدها
تلقائياً

- لكن يا ابنتي ... أنت لا دخل لك بهذا فأنا من عليه دفع ثمن
حماقاته، أما أنت وبريانا فمن الأفضل أن لا تتدخلا

- كلا يا عمي هذا غير مقبول ... أنا سأساعدك بما أوتيت من قوة
لأرد جميل صنعك على الأقل فلولاك لما كنت هنا الآن ... والآن
من فضلك استمع إليّ جيداً، أريد منك أن تبحث لي عن فرصة
عمل خارج البلد في دور ترجمة مثلاً أو كمديرة أعمال أو حتى
ربة منزل المهم أريد أن أعمل

- لكن لماذا خارج البلاد؟

- لفارق العملة فعندما نحول من دولار مثلاً إلى ليرة سورية
سيكون أفضل

- حسناً يا ابنتي سأبحث عبر وسائل التواصل الاجتماعي ...
ولتبحثي أنت وبريانا أيضاً
- اتفقنا

نظرت بريانا إليهما ثم قالت:

- أسيل ... أنت تتقنين اللغة الفرنسية أليس كذلك

ترددت أسيل إلا أنها قالت أخيراً:

- بلى

- حسناً من الأفضل لك أن تركزي بحثك عن فرص عمل في إحدى
محاافظات فرنسا مثلاً ... أو في الدول التي تعتمد اللغة الفرنسية
في كلامها، فشكلك ولكنتك الفرنسية سيسهلان عليك العمل

- لم يكن هذا قد خطر على بالي ... حسناً شكراً لك بريانا ... لكن
السؤال الذي يحيرني والذي هو الأهم في ناظري، إن كنا سنسافر
من أجل تحصيل المال فكيف سنحصل على أجور السفر أولاً؟

- أظن أنه يا ابنتي لدينا بعض الطرق ... وقد خطر ببالي ما سنفعله فأولاً علينا حصاد المحاصيل الوفيرة وبيعها وهذا سيعطينا بعض المال كما أننا سنأخذ القطن لنصنع به ملابس قطنية فبريانا ماهرة في هذا العمل بالإضافة إلى أنني كنت قد ادخرت بعض المال سابقاً، وأخيراً وليس آخراً أظن أنه من الأفضل لنا عرض صور للبستان والشقة على أحد مواقع التواصل الاجتماعي في سبيل تأجيرها وسيدفع لنا المستأجر مالا أيضاً وهذا سيزيد من مخزوننا ... كما أننا سنصبر ذلك الرجل اللعين لمدة وسنعطيه دفعة بسيطة من المال لإسكاته
 - حسناً يا عمي لا بأس في كل الذي قلته إلا أمرٌ واحد، فإن كنا سنعرض البستان والشقة للإيجار فأين سنبيت؟
 - لدي بعض الأقارب هنا وسنبيت عند الأفضل إن شاء الله
 - وهل يمكن لأحد أقاربك المتواجدون هنا إقراضك بعض المال؟
 - سأسأل أقاربي وأصدقائي ... لا تقلقي
 - حسناً إذا سأحاول إيجاد فرصة عمل في البلد ريثما تأمين تكاليف السفر
 - وأنا سأحاول أيضاً
- ختمت بريانا اللقاء...

- لدي عدة أشياء أود إخباركم بها يا أعزائي ... لكنني سأطرحها عليكم على حدى، والآن والشيء الأهم واستفتاحاً لجمعتنا الجميلة، سأحجز مزرعة في الزبداني لمدة أسبوع ... وسنجتمع جميعنا بها فما رأيكم؟
- أطلقت هند صافرة قصيرة ثم قالت بحماس:

- والياو سيكون هذا رائعاً ... أنا موافقة وأسامة موافق أيضاً ...
أليس كذلك عزيزي؟
ثم نظرت إلى زوجها فأيدها على الفور:
- آه لا داعي للسؤال فأنا أول الموافقين على هذا!
- وأنا وأبوكم سنأتي
- وأنا وأمل سنحضر أيضاً ... وسنمضي وقتاً ممتعاً إن شاء الله
- إن شاء الله
- فعاد وائل ليستلم دفة الحديث من جديد، فقال بنبرة صوته الجهورية:
- وهناك فكرة لمعت بذهني لكيلا يزعج أو يرحج أحد ... ها ... ما رأيكم أن نقوم بتقسيم ثمن الطعام والشراب إضافة إلى ثمن إيجار المزرعة على الجميع؟ وهكذا نضمن توافق جميع الأطراف
- نعم أظن أن هذا مناسباً!
- فكرة جيدة!
- عمرك أطول من عمري ... فقد كنت أريد طرح الفكرة ذاتها قبل ثواني
- !.....
- !.....
- المهم أتت الموافقة من جميع الأطراف، فتابع وائل شرحه لاحتياجات الرحلة العامة وترك المجال لباقي الأطراف لكي يحددوا احتياجاتهم الخاصة وأعطاهم مهلة يومين ليتموا جميع احتياجاتهم...
- كان الجميع فرحون ومنسجمون إلا شخصاً واحداً، صحيح أنه وافق إلا أنه كان يشعر أن هذه السعادة المؤقتة ستقلب رأساً على عقب، من يعلم ربما يكون محقاً وربما لا، فمع أنه كان يشعر بغصة في قلبه إلا أنه تظاهر بالسعادة ولم يبج بما يقلقه لأحد...

أمسكت جيهان مندو ورقة وقلماً ثم تربعت على سريرها المريح وبدأت تخط عليها مراحل رحلتها وأهدافها القادمة، كان الشعور بالإحباط والحزن يخامرها منذ قررت السفر لكنها أسكتت كل الأصوات السلبية وظلت تفكر في الماضي قدماً...

" وصول الطائرة إلى فرنسا في تمام الساعة (...) من يوم الأحد الموافق — (...)، النزول مؤقتاً في فندق (...) الواقع في باريس، التواصل فوراً مع والدي ليتواصل مع صديقه القديم ميشال الذي سيؤمن لي فرصة عمل مرموقة براتب جيد في إحدى المستشفيات التي يديرها، الاستعانة بالمعلومات المطوّلة التي جمعتها لإقامة جولة سياحية تكون بمثابة استفتاح لهذه الرحلة ثم العمل باجتهاد للتمكن من شراء شقة جميلة أستقرّ بها"

راجعت ما دوّنته وابتسامة واثقة حلت محل التكشيرة السابقة، ثم أضافت أخيراً: " حفظ القرآن والمواظبة على الصلاة والذكر ... فلعلّ هذا يجعل من وقتي مباركاً وعملي صالحاً"....

وضعت الورقة والقلم جانباً ثم همت بالخروج من غرفتها إلا أن أمها فتحت الباب في الوقت التي كانت تحاول هي فتحه فابتسمت سريعاً وهمست:

- أمي الحبيبة ... ماذا تودين أن أشحن لك من فرنسا؟ هل تحتاجين دواءً أجنبيّاً؟ أم ملابس أم مستحضرات تجميل؟ اطلبي وتمني وسيكون كل شيء عند قدميك حال وصولي ... لكن أرجوك اهدئي واستعيدي رباط جأشك ... فهذه ليست المرّة الأولى التي أسافر فيها

تهنّدت السيدة مريم ثم قالت بنبرة يعتربها الحزن:

- ما زلت تصرّين على الذهاب وتركبي ووالدك هنا ... أنا يا ابنتي لا أعارض من أجل الأغراض أو الهدايا، أنا ... أحتاج إليك هنا بقربي

فنحن لا نعلم متى تنتهي أعمارنا وكم أتمنى أن يكون وجهك الجميل هو آخر وجه أراه قبل أن أغلق عينيّ للمرة الأخيرة في هذه الدنيا..

- أطال الله عمرك يا أمي ... لكنني في الحقيقة حجت مقعداً في إحدى الطائرات المتوجهة إلى فرنسا ولم يبق معي إلا أسبوعين تقريباً، والآن إن كنت سألغي الحجز وأنسى موضوع الرجوع إلى عملي القديم في بلد يكرّم مواطنوها كل الاحترام لأصحاب المهن الإنسانية فهذا سيكون..

- لا يا ابنتي فأنا لا أريد أن تقولي إن أمك هي التي منعت عنك فرصة عمل ذهبية بالإضافة إلى حياة كلها رفاهية ... اذهبي يا ابنتي وسافري لكن ... الغربة تبقى غربة

كانت جيهان تصارع برّها لوالدتها ورغبتها في السفر للحصول على عمل، لكن على أحدهم أن يتنازل عن حقه ... مما أدى إلى تقبّل الأم فكرة سفر وحيدتها ومحاولتها السيطرة على أعصابها وتمالك نفسها...

- حسناً يا ابنتي وفقك الله وسدد خطاك
غمغمت الأم بصوت مخنوق بعد صمت ران طويلاً، فتهاوت ابنتها على أحضانها لتعانقها بحرارة متكلفة وهي تقول في نفسها:

- اعذريني يا أمي العزيزة لكنّها باتت فرصة العمر التي كنت أنتظرها منذ سنين مضت ولا أستطيع تجاهلها بعد أن طرقت بابي..

أسيل

إنه اليوم الأخير لنا حالياً في هذه الشقّة، فغداً سيأتي المستأجر ليحصل عليها آه من كان يعلم أن كل هذه الأمور ستطرأ في الأيام القليلة التي

مضت، فأولاً قررنا العيش في منزل أحد أصدقاء العم هشام فعندما كان يبحث عن منزل يؤوينا أخبره صديقه بأنه سيسافر في رحلة عمل قد تستغرق ما بين العشر شهور والسنة، وأنه بإمكانه العيش في منزله الخالي لمدة فهو أعزب ولا يوجد غيره في المنزل كما أنه من أحد الأصدقاء المقربين للعم، كما أن بريانا وجدت فرصة عمل في أحد مراكز الترجمة وأنا قررت العمل كمعلمة لغة فرنسية في إحدى المدارس الخاصة ريثما أجد فرصة عمل خارج البلاد ... لكن تدخل العم هشام قلب قراري رأساً على عقب فبينما كنت أجلس وأخطط دخل مسرعاً إلى الغرفة ورمى مفاتيحه وحقيبته الصغيرة على الطاولة ثم هتف بجديّة لا يختلف عليها اثنان:

- عزيزتي أسيل ... لقد أمّنت لك فرصة عمل خارج البلاد وتحديداً في فرنسا أو بالأحرى في العاصمة " باريس "
- آه فرنسا دفعة واحدة! هذا رائع! لكن لحظة ... ماذا سأعمل؟
- مديرة أو مديرة أعمال الاثنان سيان، فهناك سيدة من أصول عربية تعيش في فرنسا منذ أكثر من ثلاثين سنة، كما أن عمرها الآن اثنان وسبعين سنة ... ولقد تعرفت عليها صدفة ووجدتها تبحث عن فتاة أمينة وصادقة لكي تأمنها على عملها فتواصلت معها حالاً وحدثتها عنك وأخبرتها أيضاً بأنك قد حجزت طائرة وموعد الحجز بعد أسبوعين ... فرحبت بالأمر لكنها أرادت أولاً التواصل معك شخصياً عن طريق مكالمة فيديو...
- حسنا يا عماء هذا جميل لكنني ... لم أحجز كرسياً في الطائرة بعد كما أننا لا نمتلك نقوداً بعد
- آه يا ابنتي! لقد حجزت لك طائرة فعلاً بعد أسبوعين ... ولا تقلقي فلقد أمّنت نقوداً لهذا
- لكن أليس من الأفضل أن تعطي النقود لوحش المخدرات؟

- كـلا يا أسـيل ... لا تعـسري الأمر
- أطـرقتُ مـحاولة ترتيب أفـكاري ثم همـست طـواعية:
- حـسنا ... كـما تـشاء
- صـحيح كـدت أنـسى لـقد حـددت المـقابلة مـساء الغـد في تـمام
- السـاعة السـابعة
- حـسناً ... إن شـاء اللـه لا يـضيع تـعبك سـدى
- إن شـاء اللـه يا ابنتي ... أـملنا باللـه كـبيراً!

9

المضحك المبكي

" يا شوفير دوس دوس ... الله يبعثلك عروس ... بيضة وشقرة ومن
 طرطوس ... ما بتاكل إلا مكدوس ... وما بتشرب إلا عرقسوس..."
 كان الجميع منسجمين في الباص الذي استأجروه ليقّلمهم إلى المزرعة
 التي استأجرها وائل مسبقاً ولمدة أسبوع واحد، الجميع يضحكون
 ويهتفون ويغنون وكأنهم غدوا أطفالاً أشقياء، فهند كانت تطرق بتنغيمة
 شرقية على الدربة أما أسامة فلم يملّ أو يكلّ عن إلقاء النكت
 والدعابات التافهة والسمة نوعاً ما تلطيفاً للجو بالإضافة إلى السيدة
 حنان التي كانت تلقي بضعة زغاريد بين الفينة والأخرى، لكن شخصاً
 واحداً لم يكن يهتم بمثل تلك الأشياء ألا وهو السيد عبد الحميد الذي
 اكتفى باحتسائه لقهوته الموضوعه بزجاجة حافظة للحرارة...

- والآن قولوا بطيخ

هتفت هنادي بصوتها المميز والذي يتخلله كم من الدلال المعهود،
 فاستجاب الجميع ليقولوا بصوت موحد:

- بطيخ!!

التقطت الصورة ووضعها في ألبوم تحت عنوان " العائلة السعيدة "
 ثم دسّت هاتفها في حقيبتها من جديد وبدأت تصفق والجميع يغني
 تشكيلة من الأغاني منها القديم ومنها الحديث، إلا أن وصلوا إلى
 المزرعة ونزلوا تبعاً بعدما أعطى آدم السائق نقوداً على توصيلهم
 وعلى صبره عليهم وتحمله أيضاً...

وبعد دخولهم المزرعة انتشروا فيها ثم قام كل واحد منهم باختيار غرفة له وشرعوا بتغيير ملابسهم فارتدوا ملابس بيتية مريحة، وبعد مضي نصف ساعة تحلّقوا جميعهم حول طاولة واحدة وبدأوا بالتخطيط والتفكير بالطريقة المثلى لقضائهم لهذا الأسبوع...

عَمَر

لم أعد عمر الصغير طالب المدرسة الابتدائية الآن بل صرت شاباً أو بالأحرى رجلاً يمكن الاعتماد عليه، تغيّرت حياتي من كل نواحيها لكنني أصبحت شديد الحساسية وانطوائياً بعض الشيء بعد علمي بخبر وفاة الشخص الذي أسس في شخصيتي المبادئ والقيم وزرع في نفسي الغضة بذور علوم الدين والمعرفة، فلقد كانت الآنسة ندى بمثابة أم وأخت وداعية وصديقة لي لقد كانت مثلاً يحتذى به في نشاطها وحكمتها وحتى في جمالها!، لكنها ذهبت مع الأسف ولن تعود...

- أرجوووووك عمر وافق أنا أنتظر إجابتك منذ ساعتين ... آه هيا أبعده هذا الكتاب من بين يديك وحدثني
- ها! لا لا أستطيع الذهاب ... اذهبي لوحديك ولتستمتعي
- لا لن أذهب وحدي أبداً ... عمر الجميع لديهم مرافقين فكيف تريد مني أن أذهب بمفردي كالقرد الذي تلقى ضرباً من سيّده!!
- إذاً لا تذهبي فانا لن أغيّر رأيي ... ألا ترين أنني منهمك الآن بمراجعة كتاب (...) لتعليم أساسيات تصميم المواقع الإلكترونية، إن أي مهنة فيها تكنولوجيا أصبحت الآن لقمة صعبة لذلك كل دقيقة من وقتي مهمة ولن أضيع وقتي بمثل تلك السهرات السخيفة والحفلات الصاخبة، كما أن جميعهم أصدقاؤك وزملاؤك فما عملي بينهم؟

- دائماً لديك حجة!! في الأمس الدراسة واليوم التحضير للعمل وغداً لديك حلقة دينية في المسجد وبعد غد لديك تمرين لكمال الأجسام إذا ليس لديك وقت ... آه حبيبي لقد وعدت زملائي بأن أعرفهم عليك وأنت تتهرب لما إذا؟؟
- أرجوك فلتغلقي الصفحة الآن
- لا لن أفعل

زفرت عمتي سوزان عيسى بحنق ثم استطرقت بصوت عال:

- عَمْرُ ... أنت تثير حنقي!! لماذا تفعل هذا ها؟؟ ألم يأن الأوان لكي تنساها؟! لقد توفيت هل تعلم ما معنى هذا؟؟ أي ذهبت ولن تعود ... كفاك عزلة عن المجتمع فأنت تهكم نفسك في الدراسة والتحضير لعملك المستقبلي وحضور دروس الدين إضافة إلى التمرينات الشاقّة المنهكة لجسدك ... متى ستنتهي هذه المأساة لا تأكل ولا تنام جيداً، ترفض الذهاب إلى النزاهات والرحل أو حضور السهرات والحفلات آه أرجوك انسها فلترمي ذكراها في سلة المهملات فلتتخلص من طيفها ... لن تعووووود مهما حزنت عليها، لن تعود هل فهمت؟؟!
 - نظرتُ إليها بعينين زائغتين مغرورقتين بالدموع ثم قلت وأنا أشير بإصبعي علامة تدل على التهديد والشر يتطاير من عيني:
 - لا لن أنساها أبداً ... وإياك أن تتكلمي عنها بتلك الطريقة الفظة
- ثانية

ثم دخلت إلى غرفتي وأغلقت بابها بعنف لأتكور على سريري كطفل صغير يحتاج إلى الرّعاية، لكنها دخلت فوراً وجلست بقربي ثم قالت بهدوء هذه المرّة:

- عمر ... أرجوك قل لي ما سبب كل هذا الحزن عليها؟؟ لقد أدت دور المعلمة لك ونجحت بهذا ... فقط لا غير لقد كانت إنسانة عادية مثلنا

نظرت إليها ثم قلت بصوت مزعزع:

- لا لم تكن عادية البتة ... فلقد كانت متواضعة وعطوف عندما حدثتني بالطائرة وخففت عني تعاستي رغم فارق العمر بيننا، كما كانت في غاية الشجاعة عندما قادت الطائرة وهبطت بها بسلام، بالإضافة إلى أنها كانت حليلة حكيمة عندما صبرت على فراق شقيقها الوحيد، وكانت أيضاً قوية عندما قررت تدريس أطفال صغار اللغة الفرنسية بينما كان الجرح الذي سببه فقدان أخيها حديثاً، ولا ... تنسي أنها كانت كريمة عندما علمتني أمور ديني ولم تبخل علي بذرة من جهدها حتى أثناء إصابتها بالمرض الخبيث الذي أنهك قواها، و ... وكانت ذات قلب جسور عندما تغلبت على مرضها ولا ريب أنها كانت رقيقة وصاحبة جميل وهذا بسبب عودتها إلى وطنها وشفقتها على عائلتها التي تحبها لقد كنت أحتاج إلى الففضضة كثيراً لذا بدأت أشعر بالارتياح عندما رحت أتكلم، لكنها لم تستطع التحدث ببنت شفة بل اكتفت بالنظر إلي بحنو وشيء من الإشفاق يتخلل تقاسيم وجهها، فاستغللت فترة صمتها لأردف:

- هل تعلمين شيئاً إضافياً أو لنقل إنه الشيء الجوهرى الذى جعلني أتعلق بها كثيراً سوزى أنت لم تكونى بمثابة الأم لى قط ولا حتى بمثابة الجليسة ... لقد كنت بعيدة عنى تماماً كنت فى عالم آخر فكانت المظاهر والحفلات والسهرات محط اهتمامك ومازالت مع الأسف، أنا ... أنا كنت بحاجة إلى الحب والحنان بعد فقدانى لوالدىّ وجدتي التى احتوتنى لفترة قصيرة ... لكنك لم

تفهمي هذا كنت ومع الأسف غير جديرة بالتربية ولو لم تأت
الآنسة ندى في الوقت المناسب لكنت الآن مثلاً يحتذى به في
الضياع والانحراف

نظرت إلي وعبراتها تبلبل وجنتيها ثم قالت بانكسار وكأن يداً قوية جاءت
ونهرتها بعنف:

- عمر أنا ... أنا جد آسفة، لقد كنت جاهلة عن كيفية الاعتناء بك
أرجووك سامحني فأنا..

قاطعتها متعمداً ذلك وأنا أقول بلامبالاة وكأن جبلا انزاح عن كتفي:

- حسناً الآن فلتتركيني لوحدي قليلا
فاستوت واقفة واتجهت باتجاه الباب من دون تردد وهنا أضفت بمرح
طفيف:

- ما رأيك أن نحضر إحدى السهرات بعد غد؟؟ ها

نظرت إلي بدهشة ثم همست وهي تجاهد دموعها:

- وماذا بشأن تمرين كمال الأجسام؟؟!

لوحث بيدي باستسلام ثم قلت بخفة:

- لا تقلقي حيال هذا

وهنا ابتسمت بمرارة وقالت:

- حسناً ... كما تشاء يا عزيزي

عدلت أسيل جلستها ثم خاطبت محدّثتها باللغة الفرنسية متعمدة ذلك:

- اسمي أسيل ... أنا في العقد الثالث على ما أظن، أجد اللغة

العربية إضافة إلى اللغتين التركية والفرنسية

وضعت محدّثتها عويناتها ثم طالعتها بنظرة فاحصة وهي تقول بذات

اللغة وبنبرة دافئة وقورة:

- سررت بمعرفتك عزيزتي أسيل، لكن ... ألسنت واثقة من عمرك كيف هذا؟؟
- نعم سيدتي ... وهذا هو العائق الوحيد في طريقي لأنني..
- لأنك ماذا؟؟! تكلمي من فضلك
- أنا فاقدة لذاكرتي ... مما أدى إلى عيشي عند أناس آخرين نظرت إليها المرأة مبهوتة ثم تمتمت ببضعة عبارات تدل على إشفاقها الشديد إلا أن الكلمات لم تسعفها، فأردفت أسيل:
- لكن لا تقلقي فقدراتي العقلية ما تزال جيدة بل ممتازة ... ذكرياتي القديمة لن تأثر على جودة عملي ... اطمئني
- حسناً ... فلندخل إذآً بصلب الموضوع، أنا يا ابنتي أحتاج لمن يدير لي أعماله داخل المنزل وخارجه وقد طرحته الفكرة على هشام فدلّني عليك فوراً
- طرحته الفكرة عليه؟؟!! أولم تلتقوا صدفة؟
- لا يا عزيزتي من قال هذا؟! أنا أخته ... ألم يخبرك بهذا!
- تسمّرت أسيل مكانها لبرهة ثم نظرت إلى السيد هشام الذي كان يجلس غير بعيد عنها مستوضحة، فابتسم بخجل ثم حثّها على متابعة المكالمة فاستجابت له بعد التفكير للحظات:
- حسناً إذآً سيدتي لا أظن أن هذا قد يغيّر شيء على قرارك ... أنا في الخدمة
- حسناً إذآً على بركة الله
- أنهت مكالمتها على عجل وأغلقت الحاسوب الذي أمامها ثم خاطبت السيد هشام:
- نعم يا عماه ... هل بإمكانك أن تشرح لي الآن
- هه؟!
- أنا انتظر جواباً

- مرحباً ماما وبابا ... فلتباركا لي!
- هتفت جيهان وهي تمسك هاتفها المحمول وتدور في فناء غرفتها الواسعة والتموضعة في شقة باريسية جميلة، فأجابتها أمها التي كانت تنصت إليها وتراها بواسطة مكالمة الفيديو:
- مبارك يا عزيزتي ... والحمد لله على سلامتك
- سلمك الله يا أمي ... وشكراً للنقود التي حولتها لي يا أبتى العزيز
- هذا واجبي يا روعي ... لا تهتمي، المهم الآن أن تهتمي بنفسك وتعتني بصحتك
- إن شاء الله ... صحيح أوذ أن أسألك، متى سوف تحدث العم ميشال بخصوص عملي في المستشفى
- لقد حدثته بالفعل كما قام بتحديد موعد في تمام الساعة الرابعة عصراً من توقيت بلدكم وفي يوم الاثنين القادم أي بعد ستة أيام، لكي يجري معك مقابلة ولتخضعي لبعض الاختبارات العملية التجريبية أيضا، كما أنه يريد الاطلاع على شهادتك ومسيرتك الشخصية والمهنية
- تمام ... وسأكون قد أتممت أموري هنا من تنظيف للشقة وشراء مستلزمات لها، بالمناسبة هل تعلمين يا أمي من اتصل بي مساء البارحة؟
- لا يا ابنتي فليكن خيراً ... من؟
- صديقتي منذ أيام الجامعة ... ريم، وتصوري ماذا إنها تعمل في المستشفى ذاتها التي يديرها العم ميشال ... هنا في باريس!
- آه حقاً! الحمد لله وجدتي من يؤنسك في غربتك
- نعم ... كما أننا سنقوم بجولة سياحية في معالم باريس المشهورة سوياً

ثم أردفت بنبرة يعترئها الحزن والشوق:

- كما فعلت في الأيام الخوالي مع ... ندى!

- هل أنت بخير؟ أجيني أرجووك

لم يجيبها فبالأصل كان وضعه سيئاً لدرجة أنه لا يستطيع إجابتها، فتابعت وعبراتها تهطل بسخاء على وجنتيها:

- سأتصل بالإسعاف حسناً؟ تمالك نفسك وحاول أن تهدأ

حاول أن يصدها بحركة خفيفة بيده لكنها تجاهلتها واتصلت بالإسعاف فوراً لتعطيهم عنوانها، وبعد ما يقارب الربع ساعة أتت سيارة الإسعاف لتقله إلى المستشفى بسرعة كالبرق...

ثم أدخلوه فوراً إلى غرفة العمليات لإجراء عملية سريعة لمعدته المتقرحة بشدة!

فلقد كان يتقيأ دماً قبل إسعافه...

هَندُ

إنه اليوم الثالث لنا في المزرعة، الجو هادئ وجميل كما أن جميع العائلة منسجمة مع بعضها البعض، لم أكن أعلم أن الأراضي المحيطة بالمزرعة مقفرة وخالية من المجمعات السكنية ... فبعد الحرب التي دامت طويلاً تهدمت بيوت ومتاجر كثيرة مما أدى إلى موت معظم سكان هذه المنطقة وفرار آخرون، آه المهم ... استيقظ الجميع باكراً هذا الصباح احتسا بعضهم القهوة والبعض الآخر النسكافيه أو المتة، وبعدها جهزنا فطوراً ملكياً من فلافل إلى مسبحة كما وضعنا المكدوس والزيتون بأنواعه المختلفة الأخضر والأسود، إضافة إلى بعض الأشياء الأخرى، وبعد انتهائنا من تناول الطعام واحتساء الشاي انقسمنا إلى أقسام

فالرجال ذهبوا في وفد واحد للسباحة رغم الشمس القوية أما النسوة وبينهم أنا بالطبع فجلسن يتسامرن، وأخيراً انقسم الأطفال فمنهم من شارك الرجال بالسباحة ومنهم من لعب بالأراجيح والزحلوقات والألعاب الأخرى الموجودة...

- ما رأيكم أن نسبح نحن أيضاً عندما ينهوا هم من هرجهم وشقاوتهم؟

قالتها حنان والتي هي بدورها تعتبر أم زوجي فردت عليها أمل على الفور:

- نعم ولم لا ... فلن نستطيع مشاركتهم بكل الأحوال فالمسيح لا يتسع لنا جميعاً، كما أنهم سباحون ماهرون ما شاء الله ولن يقبلوا مشاركة مبتدئات أمثالنا

- نعم كلامك صحيح ... إذآ نسبح وبعدها نقلي السمك، فما زال الوقت مبكراً على تناول طعام الغداء

قالت أختي بدلال كعادتها، دائماً ما تستفزني نبرتها فبصراحة شكلها الرزين وطريقتها التقليدية في ارتداء ملابسها لا تناسب نبرتها البتة، إلا أنني رغم هذا هززت رأسي بخفة لتأييدها ... فهي تظل أختي الكبرى...

كان معظم الحضور يحتفلون بمرح جلي، إلا عمر المسكين والذي جلس مطرقاً على كرسيّ محايد بينما يعتريه الشعور بالملل، وبينما كان يتصفح بهاتفه المحمول أتاه صوت غريب من خلفه:

- أظنك تشعر بالملل مثلي ... آه من الأهل يسحبون أولادهم حيثما يشاؤون وحتى لو لم يريدوا ذلك

نظر عمر إلى محدّته بشيء من البرود وقال:

- عفواً ... من أنت؟!

ابتسم الشاب الذي بادره بالحديث ليداري حرجه ثم قال:

- جاد ... اسمي جاد
- سررت بمعرفتك ... وأنا عمر
- تصافحا بود ثم جلسا مقابل بعضهما ... تريث عمر ولم يبدأ أي حديث ففاتحه جاد من جديد:
- مع من أتيت؟
- مع عمتي ... إنها تجلس هناك
- قالها وهو يشير إلى سوزي ثم استطرد:
- توفي والديّ من زمن فاعتنت بي عمتي، وقد أصرت كثيراً لكي أرافقها إلى هذه الحفلة
- آه توفيا! يا للخسارة، أما أنا فأتيت مع أمّي إنها هناك ... آه إنها تجلس بالقرب من عمتك! هذا جميل!
- ابتسم عمر مجاملاً لجاد ثم راح يتأمله وهو يقصّ عليه مغامراته إضافة إلى بعض المواقف التافهة التي حصلت معه بالماضي، فقد كان شاباً يماثله في العمر بشرته ذات لون حنطي بينما تنسدل عليها بضعة خصلات من شعره الناعم ذو اللون البني المائل للشقرة، لكن الشيء الوحيد الذي توقفت عنده عينا عمر هو ... ذاك الصليب متوسط الحجم الذي لقه حول عنقه بواسطة عقد ناعم فضي اللون، نظر إليه بشيء من الحدة والدهشة ثم غمغم:
- أنت ... مسيحي؟!
- تردد جاد إلا أنه قال أخيراً:
- نعم ... أين المشكلة في هذا؟ أنا مسيحي وأنت مسلم لا فرق، ثم لم هذه النظرة التي طالعنتني بها يا صاح؟ ... كلا الديانتان خير وبركة
- فرك عمر شعره بشيء من التوتر ثم قال بشبه اعتذار:
- عفواً ... فأنا لم أكن أقصد الإهانة

- ابتسم جاد على الفور ثم هتف وهو يضع يده على كتف عمر بود:
- لا داعي للأسف ... هل من الممكن أن تعطيني رقم هاتفك؟
-

- بعد اتصال وحش المخدرات وبثه سمومه، حادثت أختي نجوى على الفور وأخبرتها بكل شيء، فأقرضتني بعض المال وساهمت في تأمين فرصة عمل لبريانا، وبعد أن صفت أفكارني واستعدت رباطة جأشي حدّثتها عنك فطلبت أن تسافري إلى عندها وتعملي معها لفترة وجيزة ... مما قد يساعدك على استعادة ذاكرتك، كما ستساعدنا بريانا في ذلك عن بعد ... أسيل أرجوك فلتقول لي
- تردد قليلاً إلا أنه استطرد بعد صمت قليل:
- ما الذي تذكرته قبل أن تأتيك نوبة صداع قوية وتفقدني وعيك؟
- اغرورقت عيناها بالدموع وأطرقت تفكّر، إلا أنها همست أخيراً:
- بصراحة لا أعلم بالضبط ... إلا أن بعض المشاهد المفجعة عصفت في ذهني بقوة ثم تجسد أمامي وكأنني أنا من عشتها
- فلتصفها لي
- لقد رأيت أولاً حريق فظيع لمبنى ثم سيارتان تصطدمان ببعضهما البعض، وبعدها رأيت فتاة تشبهني ولربما أكون أنا وهي تقود طائرة ثم شخص ممدد على فراش والعديد من الأجهزة موصولة به...
- صمت الجميع لبرهة فقطعت بريانا الصمت وهي تقول بحماس:
- هذا رائع! لقد دوّنت كل ما قلته لنا إضافة إلى الكلمات التي تفوهت بها في تلك الليلة، والآن لن نثقل عليك، لقد بقي

أسبوع تقريباً لسفرك ... فلتسافري يا عزيزتي وإن شاء الله
تستعيدي ذاكرتك كلها وترجعي إلى عائلتك وأحبائك
- إن شاء الله بريانا ... أتمنى ذلك من كل قلبي

10

أحداث غير متوقعة

- حسناً إذا كما اتفقنا يا أمي ستبقين مع أمل وهند وهنادي وبقية الأطفال بينما نذهب أنا وأخوي إضافة إلى ابني طارق لكي نبتاع بعض الحاجيات ثم نرجع، لكنني سأكرر عليكم مرّة أخرى إياكم والخروج من المزرعة أو التجوال في الأرجاء فالمكان ما يزال غير آمن ... حسناً؟
- لا توصي حريص يا بني ... لن يخرج أي أحد إن شاء الله
- حسناً إذا مع السلامة
- خرج الإخوان الثلاثة صحبة طارق ليبتاعوا بعض الحاجيات اللازمة من المدينة إضافة إلى دولابين للسباحة عوضاً عن الذين ثقبوا وأخيراً بعض الفواكه والمقرمشات...
- والآن يا فتيات وبما أنهم خرجوا ... فلننظف الأرض ونجهّز كل شيء
- حالاً اض
- انتهين من تنظيف الأرض وسقاية المزروعات فصنعت هنادي قهوة ساخنة ليتربعن حول طاولة مستديرة ويبدأن باحتسائها، وبينما كنّ يتسامرن سمعن صوت شيء يتحطم بقوة فركضن بوفدٍ واحد لتحسس الذي حصل، وعندها!!!...
- وعندها رأين مجموعة من الأشخاص الملتحفين بالسواد بحيث لا تظهر إلا عيونهم الماكرة، وهنا صرخ أحدهم بصوت وحشيّ:

- ارفعن أيديكن ولا تتحركن ... فإن تحركتن سأطلق النار، هل فهمتن؟؟

ثم استطرد بلهجة أكثر إرعاباً:

- إن تفوهتن ببنت شقة سأقتلكن دون النظر إلى دموعكن، سنأخذ كل شيء ذي قيمة هنا ثم سنخرج بسلام

جيهان

ضغطت على زر التقاط الفيديو في كاميرتي الرقمية ثم هتفت:

- نحن الآن متواجدتان داخل برج إيفل وتحديداً في الطابق الأول،
وها هي ريم

نظرت إلى صديقتي ريم فابتسمت بخفة وحركت رأسها بطريقة
استعراضية ثم ألقيت التحية فواصلت تسجيلي وشرحي:

- أنظروا إلى هذه اللوحات هنا! يمكننا من خلالها التعرّف على
تاريخه، ها ما رأيكم؟

صفقت ريم بحرارة وهي تقول:

- واهاهاه!! هذا الزجاج الذي يغطّي الأرضية يشعرنني وكأنني أطيّر
فوق مدينة باريس هيا نصعد إلى الطابق الثاني عزيزتي

جيهان!!!...

وبالفعل سعدنا إلى الطابق الثاني فكان لا يقل روعة، إذ تمكّنا من رؤية
" متحف اللوفر " و" القصر الكبير " من خلال التلسكوبات المثبتة هنا
وهناك، ولم أنسى التقاط العديد من الصور وكل هذا لغاية واحدة وهي
إسعاد والديّ برؤيتهما لابنتهم الوحيدة وهي مسرورة، المهم ... شعرنا
بجوع شديد لذلك قررت أن أطلب " شوربة سمك فرنسية " فأنا وبكل
صراحة أعشق تناول السمك، أما صديقتي ذات الذوق الراقى والأناقة

الزائدة عن الحد في تناول الطعام قررت طلب " يخنة دجاج شاسير " عوضاً عن الأسماك والطعام الذي يحتوي مرقة، وبعد حوالي العشر دقائق كنا نتناول غدائنا في واحد من المطاعم المتواجدة في الطابق الثاني، وبعدها صعدنا إلى الطابق الثالث واحتسينا قهوة باريسية فاخرة ثم عدنا أدراجنا إلى نقطة البداية ألا وهي سيارة ريم المتواجدة قرب برج إيفل...

- والآن قبل مغادرة البرج فلنتمشى في " حقول مارس المعشوشبة "

قالت ريم فسارعت بالردّ عليها:

- وأين هي؟؟ هل هي قريبة من هنا؟
- آه يا عزيزتي ... إنها أمامنا أي بين " برج إيفل " و" المدرسة العسكرية "

- امممم هيا بنا إذا!

اشترينا بعض المقرمشات وتمشينا بين الأعشاب الخضراء بهدوء فقالت ريم من جديد:

- انظري إلى نظافة المكان! وإياك أن ترمي شيئاً على الأرض فهذا مكان مهم باعتبار أنه شهد أحداث الثورة الفرنسية واحتفالات التحرير

حركت رأسي إيجاباً، ومن غير وعي رحت أقارن حال الشوارع والحدائق في سوريا وحالها في باريس آه يا له من فرق شاسع!...

وبعدها تسلقنا هضبة " مونمارتر " والتي هي عبارة عن حي سياحي يقع في أعلى نقطة للتضاريس الطبيعية، ثم زرنا كاتدرائيتان الأولى " كاتدرائية القلب المقدس " والثانية " كاتدرائية نوتردام باريس ... "

وختاما ... تمشينا في شارع " الشانزليزيه " والتقطنا العديد من الصور أمام "قوس النصر" ثم اشترينا بعض القطع التذكارية وعدداً لا بأس به من الشوكولاتة الفاخرة...

وبعد هذه الجولة اللذيذة عدت إلى شقتي وكانت الساعة تقارب الواحدة بعد منتصف الليل، فأرسلت الصور ومقاطع الفيديو إلى والديّ وغبوت من فرط التعب وأنا أحلم بنهار جديد وإنجازات أكثر...

تنحنح عمر في جلسته ثم فتح بريده الإلكتروني ففوجئ بكم الرسائل المرسلة من قبل جاد والذي أصبح صديقه بوقت ليس بطويل، ضغط على الرسائل وبدأ يقرأها بلهفة:

- مرحبا ... كيف حالك عزيزي عمر؟
- لقد أحببت أن أرسل لك هذه الرسائل لتتعرّف على بعضنا البعض عن كُتب ومن الصفر، فما رأيك؟
- وإن كان هناك أي حرج أو تحفظ فلتقل لي فحسب
- حسناً سأبدأ أنا الآن وأتمنى أن يصلني جوابك في أقرب وقت؛ اسمي جاد حداد، عمري حوالي الـ 18 سنة، أصولي من لبنان وتحديداً من العاصمة بيروت، لكنني أعيش في دبي منذ كان عمري 10 سنوات، أمارس رياضة السباحة بين الفينة والأخرى ولكنني لست ملتزماً بها تماماً فكما تعلم يشعر الإنسان بالملل إن لم يكن هناك من يشاركه
- آه لا أعلم ماذا أقول أيضاً ... امممم لدي أخت توأم اسمها جودي أقضي معها معظم وقتي رغم كوننا مختلفين في كل شيء تقريبا، كما أحلم بأن أصبح مصمم صور فوتوغرافية وأيضاً أحب المونتاج وكل ما يتعلّق به، أكلتي المفضلة هي الشاورما

- ولوني المفضل هو الأحمر ... وأما عن فريق كرة القدم الذي أشجعه فهو فريق " ريال مدريد "
- أه صحيح كدت أنسى ... إياك وأن تغضب مني إن كانت ديانتني مختلفة عن ديانتك، فأنا مسيحي بالهوية فقط إذ أنني وبكل صراحة لا أهتم باعتناق ديانة ما ... فأنا أفضل أن أعيش كما أشاء دون قواعد دينية تتحكم بي خلاف أختي جودي فهي متمسكة بدينها بشدة أي كما يقولون " متزمتة " وتذهب مع أمي كل أحد إلى الكنيسة وتقرأ من الإنجيل بانتظام!
- لكن لا تقلق فأنا لا أتعاطى المخدرات أو أشرب الكحول، إلا أنني أدخل منذ ثلاث سنوات
- طابت أوقاتك يا صاح ... أنتظر ردك على أحرّ من الجمر تنفس عمر الصعداء وراح يكتب إجابات شافية لصديقه، إلا أنه كان مشغول اللب بعدة أفكار تؤرقه فإن هذا الصديق غير مؤمن البتة كما أنه يدخل وحياته خاوية إذ أنه لا يمتلك أهداف ليعمل على تحقيقها... وبعد انتهائه بالتعريف على نفسه دون جملة أخيرة كرسالة:
- أي الأمكنة تفضل أن نلتقي بها؟ حدد المكان والزمان ثم أخبرني ... إلى اللقاء

- كانت أسيل تجلس على أحد مقاعد الطائرة المتوجهة إلى فرنسا، بينما كانت مشغولة عن الجو العام بمطالعة إحدى الروايات، إلى أن جاءها صوت امرأة تتكلم بلغة إنجليزية رقيقة:
- هذا لا يصدّق! أنت هنا؟!
- ظننت أن المرأة تخاطب أحداً غيرها فتابعت القراءة بغير اكتراث، لكنها سمعت السؤال يتكرر مرّة أخرى فنظرت بقربها لترى السيدة ذاتها التي كانت تهتف منذ لحظات:

- آنسة! ... أذكر أن اسمك كان ندى أليس كذلك؟ وكيف لي أن أنساه
- حدجتها أسيل بنظرة صارمة ثم قالت باستنكار:
- عفواً من أنت؟ أظنك تتحدثين مع الشخص الخطأ فأنا لا أعرفك
- زمت محدثتها شفيتها مفكرة ثم قالت بعد قليل من الصمت:
- ألم تعرفيني حقاً! أنا لورا
- لا أظن أنني سمعت عنك حتى
- لكن كيف هذا فأنا من جلست بقربك وساعدتك عندما... فركت أسيل شعرها بعصبية ثم قالت:
- لقد ضقت بك ذراعاً يا آنسة ... إن كنت تبحثين عن التسلية أو تودين المزاح فابحثي عن شخص آخر
- تأملت لورا وجه أسيل ثم قالت والإحباط جلي عليها:
- عذراً لم أقصد إزعاجك ... أظن أنني مخطئة
- حسنا لا بأس
- عادت لورا لتجلس بمقعدها القريب من مقعد أسيل ثم فتتشت عن إحدى الصور في هاتفها وعندما وجدتها عادت إلى عند أسيل وقالت بلهجة حانية:
- يا آنسة لن أزجك أكثر فقط أريد منك قراءة هذا المقال
- تنفست أسيل الصعداء ثم أخذت هاتف لورا لتقرأ:
- " الفتاة السورية المسلمة ندى الخطيب تنقذ طائرة محملة بالركاب "
- أليس هذه التي في الصورة الموجودة أسفل المقال
- تجمعت العبرات في عيني أسيل ثم أمسكت رأسها وبدأت ترتجف
- فحاولت لورا تهدئتها لكنها قالت بصرامة:
- أعطني هاتفك من فضلك سألتقط صورة لهذا المقال

- هند هيا فلتحافظي على رباطة جأشك ... هنادي أحضري بعض الأشياء

نظرت إلي هنادي بعينين زائعتين فصرخت فيها:

- استعجلي قبل أن يلحقوك ... إنهم أربعة أشخاص ونحن أربعة سيدات لا بأس بهذا الكفتان متعادلتان
ثم استجمعت قوّتي وهتفت مجدداً وأنا أحمل حجرة متوسطة الحجم كانت بقرب قدمي:

- وكم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة ياذن الله ... الله أكبر

ورميته فأصابت رأس أحدهم فوق حاجبه الأيسر تماما، فبدأ يصرخ ورمى مسدسه جانباً ثم هجم لكي يقتلني فحاولت أن أقاوم لكنّه وضع كلتا يديه على رقبتي وبدأ يحاول خنقي وهنا كدت أختنق فعلاً لولا أن أتت هند من خلفه وركلته بقدمها بقوة ثم صرخت به بعد أن أفلنتني من عزم الضربة:

- أولاً تصفعني ثم تحاول قتل أمي ليس كذلك ... تعال وواجهني إذا

كبلته بكلتا يديها ثم ثبتته بوضع ركبته على ظهره وبعدها همست:

- لم تكن تعلم أنني رياضية أليس كذلك؟! لقد أوقعت نفسك بالمصيدة أيها الفأر القذر

آه الحمد لله انتهينا من الأول وماذا الآن؟ ... نظرت حولي فرأيت هنادي ممسكة بعصا رق العجين ثم رأيتها تضرب أحدهم بقوّة فأوقعته بالمسبح فبدأ يحاول السباحة جاهداً مما تبين لي أنه لا يجيد السباحة، أما أمل فقد ضربت رأس أحدهم بأنبوب حديدي مما جعله يفقد وعيه، بحثت عن الرابع فلم أجده فأخبرتني هنادي بأنه لَدَّ بالفرار وهنا قلت بجديّة:

- أمل اتصلي بالشرطة سريعاً
- لا تقلقي يا أمي فلقد اتصلت بهم عندما وضعت الأولاد في
الغرفة

- جيداً ما فعلت

وما هي إلى لحظات ووصلت الشرطة لتقلّمهم إلى ما وراء القضبان،
وبعد أن عاد أولادي وعلموا بكل شيء حوّنا على المغادرة بسرعة رغم
أن حجزنا مازال يتبقى له يوم...

المهم عدنا إلى البيت واسترحنا ثم تناولنا طعام الغداء ونحن نتحدث عن
بطولتنا، وبعد انتهائنا جلسنا لكي نحتسي الشاي المخمر، فاستأذنت أمل
لكي تذهب لغرفتها لكثّها عادت بعض دقائق فحدقنا بها جميعاً فإذا
بعينها مغرورتين بالدموع ونظراتها زائغة فسألها آدم عن حالها فأجابت
بصوت متقطّع:

- آدم ... أسرع هيا ... أـــــــــــــــــــــبي بالمستشفى وبحالة يرثى لها
.... اتصلت بي أُمي منذ لحظات وقالت إن علينا اللحاق به ... هيا
أرجوووووك!

11

هلوسة

- دخلت أمل بصحبة آدم إلى الغرفة التي تواجد بها والديها، فهرعت أمها للقائهما سريعاً وقالت وهي تذرف الدموع:
- أمــــل الحمد لله أنك أتيت فأنا لم أعد أعني ما الذي علي تصرّفه ... أرجوكم ساعدوني
 - أمي ما الذي حدث؟ وما به والدي؟! لماذا يصرخ؟!
 - لا أعلم مع أنهم أعطوه دواءً مهدئاً لكنه يريد مغادرة المشفى ... إنه يصرخ منذ أكثر من ساعة...
- قاطعها آدم بتقدّمه المفاجئ لعند عمّه ثم بقوله:
- إيــــه حسناً اهدأ يا عمي أرجوك اهدأ قليلاً!
 - دعــــني أقوم دعني أذهب ... ابتعد
 - حسناً ستذهب أعدك لكن قل لي أولاً إلى أين تود الذهاب
- لم يرد عليه بل استمر بالصراخ وهو يضربه على صدره ثم خطرت على بال آدم فكرة فأمسك كلتا يديه وقال بصوت عال:
- تريــــد الذهاب أليس كذلك؟ مع أن جرحك لم يلتئم بعد، حسناً هيا فلتمشي وتذهب
- حاول السيد محمد التقدم والمشي لكنه صرخ بقوة من شدة ألمه وهدأ فساعده آدم سريعاً لكي يسترخي ويستلقي على سريره وبعد عدة دقائق قال بصوت لا يشبه صوته المعتاد مخاطباً أمل:
- من أنت؟؟ هل ... أنت ... ممرضة؟!

- انصدمت أمل لم يعرفها إذن! كـــــــيف؟؟!! يبدو أن هناك خطأ
 ما!!، صممت لبرهة ثم قالت بحنو لتتدارك الموقف:
- أنا ابنتك أمل يا أبي الحبيب ... جئت لكي أطمئنّ عليك يا قلبي
 ابتسم بمرارة ثم قال:
- أمل ... تعالي اقتربي فلتجلسي بجانبني أود أن أحدثك بشيء
 رنت إليه باهتمام ونظرت إليه تحته على الكلام فقال بصوت متقطّع:
- البارحة زرت أبيهم في بيته ... ففي هذه المستشفى رأيت نفقاً
 يصل بين منزلي ومنزله ... قبلته وعانقته بشدة ثم رجعت إلى
 المنزل وكانت ندى تنتظرنني على العشاء فتناولنا سويا الطعام
 ثم عدت إلى المستشفى
 تجمعت العبرات في عينيها ثم قالت:
- وهل كانا بخير؟
 - نعم
 ثم صمت فجأة وعقد حجييه وقال:
- وفاء ... هل نزلت أسماء من لبنان لكي تزورني؟ وابنتها رغد
 أيضا؟؟
- لا لم يحدث شيء كهذا
 نظر إلى أمل باستنكار ثم قال متسائلا:
- ألا تستطيعين رؤيتهما يا ابنتي؟ إنهما على يسارك ... وها هو
 والدي قد دخل إلى الغرفة الآن ... آه أهلا بك يا أبي!
 لم تجبه ... ثم نظرت لآدم باستعطاف وقالت:
- إنه يهلوس يا آدم!!
 طالعها بجدية ثم قال بلهجة صارمة:
- سأستدعي الطبيب الأحمق الذي أعطاه الدواء المهدئ حالاً!

- أهلاً بك يا ابنتي أسيل ... نورتي الشقة
 أسيل! لا تعلم هل تخبرها أن اسمها ليس أسيل؟! هل تحدثها عما
 اكتشفته؟! هل تبوح لها بالذكريات القليلة التي تسرّبت لعقلها؟، لا لا
 تستطيع عليها أن تتم مهمتها وتجمع المال من أجل العم هشام، صحيح
 أنها أخته إلا أنها لن تعطه من مالها كحسنة فزوجها توفي وترك لها
 نصيب وافر من الإرث إضافة إلى راتبه الذي كان يكتنزه ... لا لن تحدّث
 أحداً... ستحتفظ بسرّها الصغير لنفسها فحسب ... وداعاً يا ندى هكذا
 ظلت تردد...

- أسيل ... أسيل
 هتفت نجوى وهي تفرقع بأصابعها أمام وجه أسيل فتداركت نفسها
 وقالت:

- هه! آه عفواً أظن أنني شردت قليلاً ... يبدو أنه بسبب التعب
 الذي سببته الرحلة لي

- لا بأس يبدو أنك متعبة بالفعل هيا تعالي لتتناول طعام العشاء
 وتحدث قليلاً

جلستا سويا لتتناولا العشاء كانت نجوى تثرثر كثيراً بينما أسيل مطرقة
 فحسب، نظرت إليها نجوى بدهشة ثم هتفت من جديد:

- أسيل ابنتي ما بك! لست على طبيعتك البتة!، قل لي ما هو
 الأمر الجلل الذي يشغل بالك؟؟

- لا شيء يا سيدتي قلت لك مسبقاً أنني متعبة
 - لا هذا ليس بسبب التعب ... هناك شيء يقلقك ويسبب لك الألم

هنا

قالتها بحنو وهي تشير بسبابتها لقلب أسيل:
 - حسناً سأنظف الأواني وأستريح قليلاً وسأبدأ العمل من الغد إن

سمحت لي

- جذبتها من يدها وهي تقول بحدة:
- لن تذهبي لأي مكان قبل إخباري
 - بم؟
 - بالذي يشغل عقلك ... لا تضحكي علي يا ابنتي فأنا أستطيع قراءة الأفكار نوعاً ما
 - لكن يا سيدتي
 - لا تقولي لكن ... لا داعي للتردد هل هو أمر خاص للغاية؟!
 - نوعاً ما
 - متوترة بشأنه؟
 - كثيراً!
 - استعدتي ذاكرتك؟
- حملقت بوجهها، كيف علمت هذا!، ازدردت ريقها بسرعة ثم غمغمت:
- شيء من هذا القبيل ... لم استعدها كاملة إلا أنني استعدت جزءاً ضئيلاً منها وبإمكاني التعرف على نفسي وعائلي أيضاً فهو بمثابة المفتاح الذي سيوصلني إلى عائلي
 - لم أفهم تماماً ... ماذا تذكرت بالضبط؟
 - اسمي ... لقد تيقنت من أنه اسمي ولا مجال للشك أنا لست أسيل وإنما ندى الخطيب
 - ندى الخطيب؟ هه إذا عرفت اسمك الأصلي واسم عائلتك أيضاً هذا رائع! ولم التوتر إذا فلتبחי إذا
 - أنا خائفة ... خائفة من التعرف عليهم من جديد ... خائفة من ذكرياتي المجهولة خائفة من مصيري ومصيرهم بعد أن يعلموا أنني على قيد الحياة ... أنا مشتتة للغاية يا سيدتي ... لا أعلم ماذا سأفعل!

- إياك يا ابنتي أن تفعلي هذا بأهلك ... إياك أن تهجريهم وتبقيهم على نار ... يجب أن تعثري عليهم وتفرحي قلوبهم بوجودك ... هذا واجب عليك، لا تهجري أهلك مثلما تركني ابني الذي قاسيت وعانيت من أجله ... إِيـاك
- لكن...
- حسناً ... اسمعي يا ابنتي
- عدلت جلستها فتيقنت أسيل أنها مقبلة على سرد قصة طويلة، وليست هينة بتاتاً...

- كان عمر يتمشى في إحدى الحدائق العامة بصحبة صديقه جاد، توقفا ليشتريا بعض الثلجات ثم جلسا على أحد المقاعد الخشبية، وبعد صمت لطيف دام قصيراً سأل جاد عمر:
- هل أنت مقتنع بدينك يا عمر؟ ألا تتمنى أن تكون على ديانة أخرى أو ملحد مثلاً؟
- كلا يا عزيزي أنا وبكل صراحة مقتنع أتم الاقتناع وبإمكانك التيقن بأنني أعشق ديني
- وكيف هذا؟! الصلاة والصيام وقراءة الكتاب المقدس والحج والأشياء الأخرى كلها ثقيلة ... بل ولنقل مضبعة للوقت وجهد إضافي
- آه يا صاح ... من الطبيعي أن تقول هذا، فإن كنت لا تعرف سبب الصلاة وفوائدها وأجرها فستراها ثقيلة، كما أظن أنك لا تعلم فائدة الصيام لجسدك، حسناً أنا لا أريد التبحر في أمور الدين لكن ثق بي ... إن تعلمت أمور الدين عن كذب ستعشقه
- حقا ... وهل للقرآن فائدة؟ وهل للدين فائدة؟

- لن أجيب عن أسئلتك الآن يا جاد ... لكن إن كنت تريد التعرف على ديانات أخرى حقاً فلن أبخل عليك بأي معلومة قد تفيدك كما أنني سأحاول جاهداً لكي أمدك بالروابط والكتب المناسبة
- شكرا لك يا صديقي سأنظر في الأمر ... أتعلم؟ تغيرت حياتي كثيرا بعد معاشرتك، صرت أذهب معك إلى نادي كمال الأجسام إضافة إلى دروس السباحة، ندرس سوياً نقرأ بعض الكتب العلمية وبتناقش بها، نلعب بالشطرنج وبأوراق اللعب، كما أنني غديت أنظم وقتي فأكل في أوقات محددة وأنام باكراً إلا أنني ومع ذلك أشعر بضيق في صدري ... فعندما أفكر بسبب قدومي إلى هذه الدنيا أعجز عن إيجاد إجابة فأنا لا أعترف بوجود إله أو ما شابه وبالتالي لا وجود لمن أعبده وهذا يسبب لي ضيق وغم بين الفينة والأخرى، عمر ... يجب أن أتعرف على ديانات أخرى غير المسيحية لكنني خائف بشدة من ردة فعل أهلي وأقراني
- لا تخف ... أظن أنه من الأفضل الآن ألا تطلع بنفسك على دين الإسلام
- لم أفهم
- حسنا، ما رأيك أن نكتفي عند كل لقاء لنا بشيء يسمى السؤال والجواب، أنت تسأل عن الأمور التي تقلقك وتشكك بها حيال الدين وأنا أجيبك وأعرفك ببطء عليه مما سيجعل طريقك واضحاً بعض الشيء وبعدها أمدك ببعض الكتب البسيطة ثم تبدأ بالتعرف على دين الإسلام تدريجياً
- اسمعني جيداً ... لا تظن أنني لقمة سائغة ولا تظن نفسك داعياً سأتعرف على دينك من باب الاطلاع ليس إلا
- ولماذا تصرخ؟! أنا أطرح فكرة فقط لا غير
- هااا يا لك من مبشر فطين!

صمت لبرهة ثم تنفس الصعداء وقال بلين لينهي الحوار الذي غدا مشحونا:

- حسنا ... يكفي اليوم نتقابل فيما بعد إن شاء الله
- هل أنت غاضب مني؟ عمر أنا آسف إن رفعت صوتي أو تكلمت بطريقة غير لبقة
- لا داعي للاعتذار ... لم أغضب لكنني أشعر ببعض التعب
- كما تشاء ... نلتقي في وقت لاحق إذا

نجوى

اسمي نجوى السالم 1954 للميلاد، ولدت وترعرعت في دمشق بين زوايا منزل عائلتي المتفككة التي بإمكانك وصف أفرادها بأنهم يكرهون بعضهم البعض كحد أدنى، فوالدي كان عنيفاً لا يمتلك إلا وسيلة الضرب بسبب أو بلا، مما صار بالنسبة لأمي التي لا تستطيع التفوه ببنت شفة ومخالفته سيان، المهم ... كنت منذ صغري أهوى الرسم الهندسي المنظور وتصميم الديكور لذلك جمعت علامات جيدة مكنتني من دخول تخصصي الذي أحبّه، وبعد سنتين من تخرجي تزوّجت برجل اسمه حسام كانت أحواله المادية عادية حينها مما جعله يعقد العزم لكي يسافر إلى دبي إذ كانت فرصة عمله كتاجر أفضل هناك، لكن ومع الأسف حدث عكس هذا فتدهورت ميزانيتنا بسبب احتراق شحنة بضائعه كلها فترتبت مجموعة من الديون الطائلة فوق رأسنا، وبعد ما يقارب السنة والنصف من الكد والتعب علمت أنني حامل بطفل ذكر فبدأت بالترتيب لحياته المستقبلية بحيث أتمكن من تأمين حياة رغيدة طيبة له...

ولضيق حالتنا المادية في تلك الفترة لم تتمكن من شراء الملابس الأولية والألعاب والسرير له مما سبب لي حالة ذعر شديدة لكنني حالما تغلبت عليها عندما جاءني فكرة صنع ملابسه وتجهيز كل ما يحتاجه بنفسه... والله الحمد من قبل ومن بعد ... تمكنت حينها من تجهيز بعض الملابس الأولية له من خلال أقمشة كانت لدي مسبقاً وملابس خاصة بي أعدت تهيئتها من جديد لتصبح بشكل مناسب لرضيع حديث الولادة، ثم استطعت تدبير الأمور الأخرى له بعد جهد كبير...

أتى إلى الدنيا وغمر قلبي بسعادة لم تدم طويلاً...

وبعد ما يقارب السنة والنصف...

- سيدة نجوى ... يؤسفني أن أقول هذا ولكن ابنك ورغم صغر سنّه يعاني من فشل كلوي حاد مما يجعلنا نفقد أمل بقاءه على قيد الحياة ... فمع أننا نقوم له بعملية غسيل لكلتا كليتيه يومياً ونزوده بالأدوية والعقاقير الطبية التي يجب أن تفيده إلا أن علامة واحدة دالة على التحسن لم تظهر عليه!

كان هذا ما علمته من طبيب العائلة السيد جون، مما أدخلني بدوامة لا متناهية فرغم صعوبة الأمر إلا أنني تبرعت لفلذة كبدي بإحدى كليتي بعد إجراء العديد من التحاليل والاختبارات الطبية المضنية والمستهلكة للكثير من المال، فتحسنت حالته والحمد لله، وبعد مضي سنين أخرى سجلت اسمه في إحدى المدارس العامة وبدأ يداوم، فأصبح عملي مضاعف فمن أعمال المنزل والطهي إلى عملي الأساسي في تصميم الديكور إضافة إلى السهر على راحة ابني " قيس " ودراسته، وفي يوم عاصف شديد البرودة كانت تمطر به المطر كالسيل أعلمتنا إدارة مدرسته بأن حادثاً مروّعاً حصل للحافلة التي كانت تقلّه وأصدقائه إلى منازلهم فهرعت كالمجنونة إلى المستشفى التي تُقَلّ الطلاب إليها

وبدأت أبحث عن قيس إلى أن وجدته راقداً على إحدى الأسرّة البيضاء
بلا حراك!

- هل ماات؟! هل أصيب؟! هل حدث له مكروه؟ إنه ابني إنه
فلذة كبدي!!! لا.. لا تتركوه هكذا!!! أرجوكم أخبروني! أرجوكم
طمئنوا قلبي!

ثم أجهشت بالبكاء قبل حصولي على إجابة شافية فأتت إحدى
الممرضات وأخبرتني بلهجة آلية خالية من أية تعابير:

- هل تقصدين هذا الطفل "قيس حمد"؟
- نعم هو بالذات ... أخبريني من فضلك ماذا حصل له؟
- لقد ... تحطم عظم الظنوب في كلتا ساقيه بسبب التصادم
الشديد مما سوف يجعله غير قادر على المشي مرة ثانية، إضافة
إلى حدوث شق واضح تحت شفته السفلى بسبب عضه بقوة
على المنطقة المصابة مما تتطلب منا إخطته خمس عشرة
قطبة، وهناك أيضاً بعض الكدمات والرضوض والخدوش في
مختلف أنحاء جسمه

لم أعد أعني ماذا سأفعل! ولدي الوحيد الصغير تعرض لكل هذا؟!؟!
ألم يكفي ما عاناه من ألم بسبب الفشل الكلوي! كيف سنتحمل كلانا
كل هذا! رحمتك يارب!!

كتمت آهاتي وعبراتي ثم سقطت مغماً علي من أثر الصدمة!

حدّقت بكلتا يديها بنظرة تخللتها دموع حانقة ... كتمت صرخاتها
العاجزة وراحت تغسلهما، عليها أن ترضخ لقدر الله لكنها كانت تتمنى
بحق أن تستطيع تقديم المساعدة ومع هذا لم تستطع ... نظرت
لداخل حوض المياه فرأت المياه المصبغة باللون الأحمر الداكن

فصرفت نظرها عنها سريعاً ... ستحاول ألا يتكرر هذا ثانية، لكنها ما تزال غير متيقنة من هذا!!

- جيهان!! الحقيني بسرعة

نظرت نظرة رجاء لرئيس الأطباء ثم قالت بتفهم:

- حاضر

تبعته بخطى متعثرة باتجاه غرفة الأطباء في المستشفى التي باتت تعمل بها منذ مدة، وعندما دخلت تعرفت على الوجوه سريعاً الطبيبة التي عاوتتها في إجراء تلك العملية " سيلين " ... الطبيبة الموقرة التي يناديها الجميع بـ " مدام ماري "، وأخيراً الطبيبتان "إيميلي" و"راندا"، واللتان بدأتا بمضايقتها منذ يومها الأول...

- آنسة جيهان مندو ... آنسة سيلين كلوب، فلتحدثانا الآن كيف حدث هذا؟

قالتها مدام ماري بصوتها الوقور، وهنا طالعت جيهان معاوتتها بنظرة تعي الكثير وبدأت تقص على مسامع الحضور كل ما جرى بالتفصيل الممل...

12

دماء ... من دون قصد

- بداية أود إعلامكم بأني وسيلين كنا متوترتان كفاية قبل وفي أثناء إجراء تلك العملية بسبب حالة المريضة الحرجة ... ولا أستطيع لوم سيلين على الخطأ الفادح الذي تم ارتكابه، وبالوقت ذاته أنا أومن بأنني توخيت الحذر أثناء إجراء العملية وبالتالي أنفي كوني المسؤولة عما حدث أوه!! لا أعلم أشعر بالتشتت والضياع!!

عم سكون مخيف في أرجاء الغرفة فقالت مدام ماري بعد أن سعلت بخفة:

- حسنا يا آنسة جيهان أتفهمك ... لكن كلامك هذا لم يفدنا بأي شيء ... على كل حال آنسة سيلين كلوب فلتدلي بدلوك احتقن وجه سيلين وتجمعت العبرات بمقلتيها ثم قالت بصوت تخله قدر وافر من الثقة والحدق!:

- أنا أكره الظلم والظالمين ... ولا أحب أن أظلم أيضاً سأعترف بكل شيء وحتى لو كلّف هذا حياتك يا جيهان نظرت جيهان مبهوتة ... ما الذي يحدث؟! ماذا فعلت لتخاطب بالطريقة تلك؟؟؟!

آدم

ما بال أطباء هذه الأيام!! يرون شخصا كبيرا في السن فيهرعون لإسكاته، لا أعني الإسكات المعنوي هنا إنما أقصد جعلهم لأوجاعه صماء عن

طريق جرع المسكنات الكبيرة التي يعطونه إياها، وليست المشكلة هنا فحسب بل هي أعظم فعندما تذهب لزيارة الطبيب بغض النظر عن تخصصه فإن وسيلته الأولى أن يعطي هذا العجوز مختلف المهدئات ولا سيما "مضاداً للاكتئاب" وهذا تماماً ما حدث مع عمي إذ تم إعطاءه جرعة لا بأس بها من المهدئات إضافة إلى أدوية ما بعد العملية... خرجنا من تلك المشفى المشؤومة يعد أن هدأ طبعاً وتوجهنا إلى منزله أتممنا جميع احتياجاته وبتنا عنده رغبة من أمل العزيزة والتي كانت في أشد خوفها عليه...

- مرحبا أنا عمر ... عذراً من المتكلم؟
- عمر الحق بي أرجوك ... ساعدني!!
- جاد!!؟! ما بك!
- والديّ وأختي جودي يا عمر! لقد تعرضوا لحادث فظيع أرجوك ساعدني
- حملك عمر بالفراغ ثم قال بتشتت:
- جاد عزيزي ... انتظرنني سآتي حالاً، فقط أعطني عنوان مكان تواجدك
-
- طالع نافذة غرفته ليرى ماهية الطقس فلاحظ أن المطر يهطل بغزارة، ارتدى سترته الجلدية سريعاً وخرج مسرعاً ليلحق بصديقه...
- عمر! إلى أين؟
- صديقي يحتاج للمساعدة لن أتأخر
- شبكت سوزان ذراعها أمام صدرها وزمّت شفيتها ... يفعل كل شيء من أجل من يحبهم! وقد يستغني عمّا يملك من أجلهم! عجيب أمر هذا الشاب إن أقل شيء قد يقال عنه أنه؛ عاطفي بحتة!!

استقل عمر سيارة أجرى سريعاً ثم نزل أمام المستشفى المنشودة، عبر الأروقة بسرعة ووصل إلى غرفة الانتظار ليجد جاد متهاكاً على أحد الكراسي يكاد يغمى عليه من الحزن!

- جاد ... قل لي ماذا حدث؟

نظر إليه بحزن جليّ ثم بدأ يقص عليه ما حصل رغم فظاعته بالتفصيل...

قبل خمس ساعات...

جاد

- جورج ... هل تجهزت؟

- نعم ... فلتخبري الأولاد بأننا سننطلق بعد خمس دقائق

- حسنا

سمعت صوت هتاف أمي فأسرعت كي أرتدي حذائي وأخبر جودي لكي ترتدي حذاءها، فلقد انتظرنا هذا المشوار شهراً كاملاً فنحن اليوم سنذهب إلى أحد المنتزهات وهناك سنجد جدّي وأقاربنا ثم سنتناول معهم طعام الغداء! ونتفاهم لنصلح المشاكل التي كانت بيننا... مشينا بعض الكيلومترات بسيارتنا المتواضعة فتذكرت أمي أنها نسيت أن تحضر الطعام الذي سنتناوله هناك...

- جورج ... لقد نسيت الطعام في البراد ماذا أفعل؟؟

- ألم تقولي إنكم جهزتم؟؟ ما هذا الإهمال ... لن أعود إلى المنزل ثانية فلتتديرو أمركم

- نحن الآن في نزهة ... ويفترض عليك أن تتقبل أي شيء بصدر رحب! فلتنسى العصبية الآن

- لست أنت من تفرضي علي هذا يا مؤدبة ... قلت لك لن أعود

دائماً نفس الموال ... أتفه الأشياء تصبح عندهما أموراً محفزة للشجار!
حتى في المناسبات السعيدة! نظرت إليهما ثم قلت وأنا أضع كفي
على مقود فتح باب السيارة الخلفي:

- سأنزل وأحضرهم جرياً ... اسبقوني فأنا أعرف المكان جيداً

- لكن جاد ... لا تتعب نفسك!!!

تجاهلت كلام أمي آسفاً، ونزلت من السيارة لأبدأ الركض.....

كان يركض بأنفاس متقطعة يقطع بعض الأمتار ثم يقف ليمسح العرق
الذي تصيب من جبهته، سيحضر الطعام سريعاً ثم سيعود ... وصل إلى
المنزل ... أحضر الطعام ثم نزل على الدرج بخطوات مرتبكة وفجأة! ...
أحس بألم يتوسط صدره وبدأت دقات قلبه تتسارع بشكل جنوني، لا لا
يستطيع إكمال مسيرته عليه أن يعود لكي يرتاح!...

عاد أدراجه سريعاً واستلقى على سريره، إنه يشعر بخدر يعتري كامل
جسده!! ... سيتصل بوالده أو بوالده لا يدري أمسك هاتفه وضغط على
رقم والده بأنامل مرتعشة، وعلى الطرف الآخر رد جورج بصرامة لكنه
بدأ يرتجف عندما سمع صوت ابنه، إنه في خطر!...

- جورج! ما بك؟؟ من المتصل؟؟؟

- جاد! أجيني بني ... قل لي هل أنت بخير؟

- ما به ابني؟؟ ما به؟؟؟؟

- ألو ... ألو

- جورج انتبه!!!!!! سنصطدم!! آه كلا

-

إن الذنب يعتريه، إنه السبب! لولا تلك الوعكة المفاجئة لما حصل كل
هذا، لما تأذى أحد...

- ماذا أحضر لك سيدتي؟
 - فنجان قهوة وبعض قطع الحلوى من فضلك
 - سيكون طلبك عندك بعد دقائق
 - شكرا لك!
- جميلة الحياة في فرنسا ... هادئة ورتيبة دون وجود أي منغصات، أرادت الابتعاد عن السيدة نجوى لتخلو بفكرها قليلا ... عليها ترتيب أفكارها لاتخاذ القرار الصائب والذي ستبني عليه حياتها ... أمسكت ورقة وقلم كانت قد أحضرتها معها وبدأت تكتب..
- " لا أظن أن بإمكانني فعل أي شيء آخر ... سأبحث عن نفسي لأجد تلك الأنا الضائعة، إنني بحالة يرثى لها فالماضي خاصتي مفقود والمستقبل مجهول ... أحاول التأقلم مع الحاضر لكنني أخفق ... بتُّ أكره حياتي ... أنا مشوشة وضائعة كما أنني حزينة، لقد أصبحت أبغض كوني أسيل المزيفة شخص لا يرى منه إلا شكله الخارجي فداخله فارغ!، كما أنني أخشى أن أرجع ندى فكل شيء حولها مجهول، آه! لكنها كانت مليئة بالمشاعر والأحاسيس فلقد أنقذت الكثير من الناس وتركت بصمة لها في الحياة أسيــــــــــــل أم نــــــــــــدى علي الاختيار الآن، إنني شخص واحد يمثل شخصيتين ... فعلا يا له من أمر فظيع..."
- يا آنسة ... يا آنسة القهوة خاصتك أصبحت جاهزة
 - ها ... آه شكرا لك تفضل ثمنها
 - سلمت

بدأت تحتسي قهوتها ببطء ... إلى أن رأت ما أفزعها!، كانت تلك السيارة تقترب بسرعة، تلك الشابة التي بداخلها إنها تعرفها! أو تعتقد ذلك تسارعت دقات قلبها وبدأت ترتجف، تلك العينان الرماديتان والشعر الأسود الناعم تحاول تذكر اسمها لكنها تفشل ... وهناك على الطرف الآخر كانت الفتاة تنظر إليها نظرة تشي بالكثير كانت مزيج من الدهشة

والحنين والألم تعانقت نظراتهما لبرهة إلى أن ابتعدت السيارة عن
ناظري أسيل

الفصل الثالث

دُنُومِهم

13

هل يمكن؟؟!

- توقف من فضلك قليلاً! قلت لك توقف أيها السائـق!!
توقف أرجوووك
- آنسة جيهان مندو ... فلتلتزمي الصمت من فضلك
- لكنني رأيتها ... أظنني رأيت أحداً ما أعرفه!!
- عندما تثبتين براءتك ستريه مجدداً
- لكن.....
- انتهى

كيف وصلت بها الأمور إلى هنا؟؟ ما الذي تفعله سيلين بالضبط؟، هل حقاً لديها دليل لإدانة جيهان! وكيف هذا وهي لم تخطئ قط ... إن جيهان بريئة لكن سيلين أصرت على اتهامها وأخبرت الجميع أيضاً بأنّ لديها أدلة على هذا في منزلها، وهذا ما دفعهم إلى التوجّه إليه، فإن ثبتت تهمة جيهان ستحاكم بقسوة وقد يكون السجن حليفها في نهاية المطاف!...

- وصلنا ... انزلوا

اصطحبتهم سيلين وعلى وجهها علامات الحزن والتعب، أدخلتهم غرفتها الخاصة ثم فتحت أحد الأدراج الموصدة بإحكام وأخرجت منه عدّة وريقات ثم رصفتهم على الطاولة أمام الجميع وقالت بحزن:

- لم أكن أود فعل هذا لكنني ومن أجل ألا تقع حادثة وفاة أخرى سأخبركم بكل ما أعرفه

قالت ماري:

- تفضلي نحن نسمعك
- حسناً ... سأخبركم وباختصار شديد الأمور التي قد تدفع جيهان لارتكاب أخطاء متعمدة قد تؤدي بحياة الكثيرين من المرضى؛ أولاً كونها تعيش لوحدها هنا في فرنسا بينما عائلتها بعيدة عنها ثانياً كونها مسلمة والمريضة تتبع ديانة أخرى فربما تكون قد ظنّت أنها بهذا ستؤدي خدمة جليلة لدينها، ثالثاً كونها ما زالت جديدة في هذه المستشفى أي أنها لا تمتلك الخبرة الكافية لإجراء عمليات معقدة وأخيراً وليس آخراً هذا...
- ماذا يوجد في هذه الورقة؟؟
- دليل إدانتها ... إن جيهان يا عزيزتي قد أصيبت سابقاً بجرح في يدها التي تستخدمها في الجراحة مما جعلها لا تقوى على تحريكها، وفي أثناء إجرائها العملية لاحظت أن أعراض إصابتها قد ظهرت من جديد إذ أنها أحست بألم شديد لكن ولشدة كبرها أبت أن تتخلى عن إجراء العملية وقد حدث معها خطأ في أثنائها وها هي المريضة ترقد على فراشها من دون حراك نظرت جيهان مبهوتة ثم تجمعت الدموع في مقلتيها منذرة بالهطول فتابعت سيلين:
- هل تبكين يا جيهان لأنك كشفت؟ رأيت كيف أنني لم آبه بتهديدك لي وأخبرتكم، والآن هيا فلتقتليني أنا أيضاً
- كفى يا سيلين فلتلتزمي الصمت، جيهان نحن نستمع إليك ما رأيك بالكلام الذي سمعناه وسمعته؟
- كذب!! هراء!! محض ادعاء، ليس هناك حقيقة لكل هذا أقسم لكم، أنا بريئة صدقوني...
- قطع كلامها تصاعد زنين هاتف مدام ماري فردت سريعاً:
- نعم ... من المتصل

- مدام ماري ... لقد راجعنا تسجيلات الكاميرا في غرفة العمليات
ولقد اكتشفنا شيئاً قد يفيدك
- قل لي ما هو؟
- لقد كانت الآنسة جيهان مندو متوترة جداً ... ملامحها متشنجة
ويبدو عليها الاضطراب
- حسناً وماذا بعد؟
- ولقد أظهرت لنا الكاميرات التي في الممر الآنسة جيهان أيضاً
وهي تبكي وتغسل يديها من الدماء، كما كانت تأنب نفسها على
الأغلب
- حسناً شكراً لك
- أغلقت هاتفها سريعاً ثم قالت:
- جيهان ... أخبرينا بم تفسرين توترك الشديد قبل إجراءك للعملية
وبكائك بعد موت المريضة؟؟
- لقد كنت متوترة لأنها العملية الأولى لي في تلك المشفى كما
أنني بكيت من التأثر فقط لا غير
- دخل ضابط شرطة فخاطبته مدام ماري بصوت مرعب:
- حسناً فلتحتجزها ريثما ننهي التحقيقات
- *****
- أخبريني يا أمل هل تحسن والدك؟
- نعم لقد تحسن وهذا من فضل الله
- أود أن أسألك سؤالاً ... إن لم يكن هذا جارحاً طبعاً
- تفضلي
- هل فقدت الأمل بكل تلك السهولة؟ هل سلمتي بأمر موت
أختك ندى؟

- وهل بيدي حيلة ... إن غابت كل تلك الشهور ولم تظهر البتة فماذا سيكون غير ذلك؟
- نعم أعلم ... لكنكم لم تعثروا على جثتها بل عثرتم على وشاحها أو ما شابه مما يضعف فرضية كونها متوفاة أي أن أمامكم فرصة أخرى وهي إما أن تكون قد خطفت حينها أو أن أحدهم رآها وأسعفها سريعا إلى أحد المستشفيات
- هذا محال! فلقد بحثنا عنها في معظم مستشفيات البلد ولم نجدها كما أنها ولو كانت قد خطفت لكان الخاطف قد اتصل منذ زمن طويل طالبا فدية أو ما شابه
- صممت السيدة حنان لبرهة ثم قالت بحيرة:
- لا أعلم يا ابنتي ... لكن شيئا ما في داخلي يخبرني بأن ندى ما زالت على قيد الحياة
- آه يا أمي إنني كلما أتذكر طيفها أشعر وكأن قلبي يتمزق من شدة الحزن إن...
- وفجأة قطع حديثهما صوت هاتف أمل الذي بدأ يرن بإلحاح فأمسكته سريعا لكي ترد:
- جيهان ... أهلاً بك
- اسمعيني يا أمل ليس لدي الكثير من الوقت لأتكلم معك فمكالمتي محدودة
- حسنا ما الأمر؟
- أولاً أنا الآن محتجزة بتهمة لم أقترفها لكنها لم تثبت علي بعد ... ثانيا والأهم من هذا كله أنني
- أنك ماذا؟؟؟

- أمل ... لقد رأيت ندى، إنها ما زالت على قيد الحياة!!، أقسم بهذا لكنها كانت بهيئة مختلفة ... والآن عليّ إنهاء الاتصال لكنني سأحاول الاتصال بك مجدداً إلى اللقاء
- جيهــــــــــــــــان ... جــــــــيهان، آه لقد أقفلت الخط نظرت إليها السيدة حنان بدهشة ثم قالت بتلعثم:
- ما بك يا ابنتي؟ لماذا كل هذا الاضطراب؟
- ردت عليها وهي تبكي بنشيج متقطع:
- إنها جيهان صديقة ندى ... لقد قالت لي أنها رأتها لقد ... أخبرتني بأن ندى ما زالت على قيد الحياة!!!!!!!
- ماذا!!!!
- وأنا متفاجئة أيضاً فهل هذا معقول!!!!
- ألم أقل لك فلتخبري أمك سريعاً
- لــــــــــــــــا ... انتظري لا يمكنني هذا فمن الممكن أن تكون جيهان قد رأت فتاة تشبهها فقد قالت لي أن هيتها كانت مختلفة تماما ... لا لا أدري دعينا نقطع الشك باليقين ولكل حادث حديث
- حسناً يا ابنتي حسناً ... أتمنى من كل قلبي أن تكون أختك هي تلك الفتاة

عَمَز

صحيح أنني بلا والدين لكنني لم أذق ألم فقدانهما فلقد توفيا منذ كنت صغيرا لكنني الآن وبكل صراحة أشفق على جاد...
جلسنا سويا ننتظر أي خبر شافي عن حياتهما وحياة أخته التوأم جودي،
لم أعد أعرف ماذا عليّ أن أقول لكي أخفف عنه لكنني قلت أخيرا:

- لا تقلق يا صديقي ... سيخرجون جميعهم سالمين وستجتمع بهم مرة أخرى إن شاء الله
- نظر إليّ بأسى وحزن شديدين ثم قال:
- آه يا عمر ... أتمنى هذا من كل قلبي فأنا لا أستطيع العيش من دونهم لا أستطيع
- تفوه بتلك العبارات ثم أجهش بالبكاء من جديد، فحدثته بصرامة متعمدة:
- إيــــــــه! ما بك يا رجل؟؟ كن قويا واصمد، أنا أعلم أن مصابك كبير لكن عليك أن تصبر وتتحدى بالشجاعة والقوة الآن، فما بعد الصبر إلا الفرج...
- وهنا قطعت حديثي إحدى الطبيبات وهي تقول بحزن:
- عزيزي جاد
- نعم أيتها الطبيبة
- إن والدك السيد جورج وعلى الرغم من كل محاولاتنا من أجل إسعافه
- ها!! أكملني أنا ... أسمعك
- لكن أرجووووك ابق هادئاً ... مهما تفوهت نفذ صبره سريعاً فبدأ يصرخ بهستيرية:
- إياك وأن تقولي أنه... إيــــــــاك!!!
- مع الأسف لقد ... توفي
- لـــــــــا مستحيل ... لـــــــــا لـــــــــا هذا غير ممكن لا ... أرجوكم لا أرجوكم
- أمسكته بقوة وألصقت جبيني بجبينه لكي يهدأ ثم قلت له بهدوء وعينايا مغرورقتان بالدموع:
- أرجوك اهدأ يا جاد ... أرجوك يا أخي تمالك نفسك واستجمع قواك ... لا تهدر قواك عبثاً فمهما بكيت لن يعود والدك

- اتركني ... اتركني ... تنحى جانباً!
- لن أتركك ... بل سأظل معك ... جاد لست الوحيد الذي فقد والده
- فها أنا ذا أمامك بلا أم وأب بلا عائلة وحتى مربيتي التي كنت أحبها كأمي ماتت، لم يبق لي في هذه الدنيا سوى أخت أبي بالرضاعة ... فقط
- لكنني أحبه ... لقد كان أبي يا عمر أبي
- وأنا أيضاً كنت أحب والدي لكنه ذهب ... ماذا أفعل هل أقتل نفسي هل أنتحر؟ لا بالطبع فمهما فعلت لن يرجع لن يعود
- قلت تلك العبارات ثم عانقته بقوة غير آبه لما سيحصل حولي وبعد قليل من الوقت تابعت الطيبية:
- إن أختك جودي قد تجاوزت مرحلة الخطر ولله الحمد لكنها الآن غائبة عن الوعي، أما أمك فما زالت تحت العناية المشددة فحالتها خطيرة لكننا نرجو من الله أن تتعافى وتتجاوز هذه المرحلة والآن عن إذنك
- ذهبت الطيبية فجلست وجاد على كراسي الانتظار من جديد إلى أن قال لي مقاوماً عبراته:
- أريد أن أرى أختي ... عمر أريد أن أرى جودي
- حسناً يا عزيزي ... فلنذهب حالاً لرؤيتها
- لم أستطع منعه فهي أخته ومن حقه أن يراها، لكنني كنت خائفاً من ردة فعلها عندما تستيقظ وتعلم بالذي آلت إليه هذه النزهة لتعيسه...
- *****
- دخل جاد بصحبة عمر إلى غرفة جودي بهدوء تام ... جلسا على الأريكة المقابلة لسريرها بهدوء أيضاً، وبعد قليل من الوقت فتحت جودي عينيها بهدوء طالعت الغرفة بشيء من التوتر إلى أن لاحظت وجود جاد بالقرب منها فتهللت أساريرها وابتسمت بصعوبة ثم همست:

- جاد

انتفض جاد من مقعده وجلس بالقرب منها ثم أمسك بكلتا يديها وقال:

- حبيبتى جودي ... هل أنت بخير؟؟؟

حركت رأسها حركة خفيفة ثم غمغمت:

- بابا وماما!، أين هما الآن؟؟

- لا لا تقلقي سيكونان بخير ... المهم الآن أن تتعافي وسنتكلم فيما

بعد

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول:

- لم يموتا أليس كذلك؟ هما الآن على قيد الحياة

نظر مستغيثاً بعمر فحرك رأسه بتفهم ثم قال:

- هيا يا جاد أسرع فالطبيب المشرف على معالجة جودي ينتظرنا

في الخارج ولا يجوز أن ندعه ينتظر أكثر

- حسنا يا عمر سآتي ... حبيبتى جودي سآتي بعد وقت ليس

بطويل للاطمئنان عليك، اتفقنا؟

أمسكت ذراعه بما أوتيت من قوة ثم قالت بشبه صراخ:

- لن تذهب قبل أن تطمأنني على والدينا ... هيا قل لي هل هما

بخير ... أصدق معي أرجووك

- لكن!

- أريد أن أعلم الحقيقة

- حسناً يا جودي ... أنت تعلمين كم أحبك وكم أخاف عليك صحيح؟

- نعم

- وتعلمين أيضاً أنني سأبقى بقربك لأرعاك وأهتم بك مهما حصل

أليس كذلك؟؟

- بلى

- حسنا ... إن ... والدنا في الجنة الآن يا حبيبتي ... لقد توفي وارتاح من آلامه
 - لا لا تقل هذا ... أنت تمزح أليس كذلك؟؟؟؟!! جــــــــــــاد! إن بابا لم يمت، لقد وعدني بأنه سيظل معي مهما حصل، بابا لم يتركني ... لا لا هذا مستحيل!!
 - وهنا بدأت تبكي بصوت عال رغم آلام جسدها فحاول أن يحتضنها لكنها أبعدته بقوة وبدأت تصرخ:
 - اذهب ... أنا لا أريدك بل أريد أبي، أريده أن يعود ... ابتعد عني بسرعة!
 - لكن جــــــــــــودي!
 - قلت لك اذهب
- دخلت إحدى الممرضات مسرعة بسبب سماعها لتلك الضجة التي أحدثتها جودي وطلبت منهما مغادرة الغرفة، فخرجا طواعية بينما كان قلب جاد يحترق من شدة الحزن...

أَسِيْلُ

هل أعرفها حقا؟!، ربما نعم وربما لا ... لكنها بدت مألوفة لي نوعاً ما، آه ما زلت أشعر بالضياع رغم كل هذا!!، بعثرت خصلات شعري على وسادتي ورحت أتأمل القمر من نافذة غرفتي، إنه وحيد مثلي تماماً! ليتني أعود كما كنت ... آه كم أتمنى هذا...

نظرت بعيداً عن النافذة فوجدت الهاتف المحمول الذي أهدتني إياه السيدة نجوى قمت والتقطه بخفة ثم بدأت أتصفح أحد مواقع التواصل الاجتماعي والذي يعرف باسم "الفيسبوك"، لا أعرف لماذا أبحث من جديد عن نفسي؟ ربما ما يزال هناك القليل من الأمل يقبع داخلي ... ندى

الخطيب، الخطيب ندى، ندى، الخطيب، غيرت اللغة ورحت أبحث من جديد باللغة الإنجليزية، الفرنسية، آه لا نتائج مرضية إلى حد الآن، حسناً سأجرب شيئاً آخر نقرت على الأزرار بعصبية ورحت أبحث من جديد وفجأة!! تجمد الدم الذي بعروقي وتشنجت يداي بشدة مما رأيته! ... آه إن رأســــي يؤلمني بشدة!! ما الذي يحصل حولي الدنيا تدور بقوة كما يعصف رأسي بمئات الأحداث!! أسمع أصوات العديد من الناس!! لم أعد أقوى على التحمل!!!!

14

بين عالم ... وآخر

المكان مصطبغ بالبياض والهدوء يلف أرجاءه وصمْتٌ مطبق مخيف كصمت الموت! ... لا أحد هنا أو هكذا افترضت، إلى أن سمعت نحيب أحدهم كان يبكي بحرقة ويرتجف، تقدمت نحوه ببطء فتبين لها أنها امرأة وليست رجل اقتربت أكثر فتملكها خوف فظيع، فلقد كانت...

- سيدتي نجوى!!! أتبكين

لم تجبها أو بالأحرى لم ترها لتجيبها، حدقت بها أسيل محاولة معرفة سبب نحيبها بهذا الشكل فانتبهت إلى صورة فوتوغرافية تمسكها بيدها تأملت الصورة وإذا بها شاب مقعد ينظر نظرة ملؤها الغرور والأنانية، أرادت التخفيف عنها لكن صوتاً ما فاجأها فالتفتت إليه وراحت تتتبع مصدره فوجدت شابان يبدوان بنفس العمر أحدهما تبدو على ملامحه الحيرة والتشتت والآخر يحاول أن يواسيه بكل ما أوتي من قوة أشفقت عليه فسارت باتجاهه بتؤدة لكنها توقفت من فورها عندما رأت شابة جميلة تجلس بينهما بانكسار والألم يعتصر قلبها كأنها فقدت عزيزاً أو ما شابه...

- أيتها الفتاة ... ما بك؟؟

لم تسمعها هي الأخرى وواصلت بكائها ... آه ما الذي يجري هنا بالضبط ما بهم هؤلاء ما حالتهم تلك؟؟؟! غمغمت بحنق وتساؤل.... سمعت صوتاً آخر من بعيد فركضت باتجاهه فوراً وهناك رأت ذات الفتاة التي صادفتها جالسة في السيارة لكنها الآن متواجدة في شبه محكمة يحيطها العديد من الناس ويشيرون بأصابع الاتهام بينما يرددون الكلمة ذاتها:

كاذبة ... كاذبة ... كاذبة، أما هي فكانت تقول بياس: أنا بريئة صدقوني أقسم لكم بهذا...

لم تجرب أسيل هذه المرة التحدث معها بل تابعت مسيرها وعلى جوانب مكان سيرها؛ امرأة ورجل مسنان يتحدثان عن ذكريات الماضي بلوعة، فتاة رقيقة تمسك هاتفها بيدها وتنتظر أي اتصال يثبت لها صحة شيء يدور في خلدتها بينما يحوم حولها الحاسدون والمبغضون، وأيضاً العديد من الأشخاص ولكلّ مشاكله وهمومه...

جلست على الأرض ونظرت إليهم بحيرة، ما الذي عليها فعله؟؟؟ كيف ستغيّر من حالهم؟ كيف؟!... وهنا، سمعت صوت يختلف عن سابقه صوت وقور وعال كان يخاطبها هي من دون أدنى شك...

لقد كنت وما زلت ندى الخطيب، فقدت ذكرياتك لكنك لم ولن تفقدي مشاعرك الرقيقة وإحساسك المرهف وشفقتك على الآخرين، انظري إلى كل هؤلاء الناس، إنهم ينتظرونك ... ينتظرون مساعدتك التي ستكون شفاءً لهم ... إياك وأن تفقدي الأمل لأنك ستعودين إلى سابق عهدك وستكونين المعينة الكبرى لكل من يحتاجك، هيا كفاك ياساً وتشتتا الآن، استيقظي ... استيقظي

15

صدمة كبيرة

- استيقظي ... استيقظي

استيقظت أسيل على تلك الصيحات، طالعت الغرفة من حولها فوجدت السيدة نجوى غافية على كرسي بقربها وعلى وجهها تبدو ملامح التعب والإرهاق... تتنحنت في سريرها فأحست عليها فوراً فهبت إليها مسرعة وعلى ثغرها ابتسامة صافية محت كل آثار التعب...

- أسيل ... أسيل حبيبتي هل أنت بخير؟

- ما الذي حصل لي؟؟ ولماذا أنا هنا؟؟

- آه إذاً لقد نسيت الذي حصل ... سأخبرك!

عدلت جلستها وفرقعت أصابعها ثم سحبت نفساً عميقاً وبدأت:

قبل ست ساعات...

نجوى

دخلت إلى منزلي بهدوئي المعتاد ... ناديت على أسيل لتساعدني في حمل الأغراض التي اشتريتها لكنها لم تستجب ناديتها مرة أخرى فكانت النتيجة مماثلة، وضعت الأغراض وحدي في المطبخ وبدأت أبحث عنها غرفة تلو الأخرى وأسيل "غير موجودة"، تنفست الصعداء ودخلت غرفتها فرأيت ما أفزعني...

أسيل بوجه محتقن وشعر مشعث مستلقية على الأرض ومن دون حراك!!!، اقتربت منها وبدأت أناديها بصوت عالٍ:

- أسيل! أجيبيني يا ابنتي، أسيل ما بك؟! هل أنت

على ما يرام؟

لم تنطق ببنت شفة ولم تبدِ أية حركة، اقتربت منها أكثر وبدأت أهرز كتفها وأحركها لكنها لم تستجب أيضاً، خطرت لي فكرة فتلمست إحدى عروقها سريعاً لأتبين نبضها...

- إنها على قيد الحياة!!!

أمسكت هاتفني سريعاً واتصلت بالإسعاف فحضرت سيارة إسعاف سريعاً وتم نقلها للمشفى...

أنهت نجوى حديثها المقتضب ثم نظرت إلى أسيل وخاطبتها:

- لكن كل ما حصل ما زال مبهماً بالنسبة لي لذلك حان دورك الآن يا أسيل فلتخبريني ... ما الذي حصل ولماذا وجدتك على تلك الحالة؟؟؟

تجمعت العبرات في مقلتي أسيل ثم ابتلعت ريقها بصعوبة بالغة وقالت مغالبة بكائها:

- سيدتي، أنا لست أسيل أنا ... ندى الخطيب

داخل غرفة الاحتجاز...

جيهان

لا أعلم ما الذي عليّ فعله الآن ... أنا! جيهان مندو ابنة الحسب والنسب، أصبحت حبيسة بين جدران غرفة مظلمة إلى أجل غير مسمى، دموعي لا تجف بينما أنتظر مصيري المجهول ... آه! لا أعلم ما الذي يتوجب عليّ فعله الآن ليتني أستطيع أن أصرخ بكل ما أوتيت من قوة وأقول: أنا بريئة أنا لست الفاعلة ... لكن مهما فعلت ومهما انفعلت سيطبق القانون بما يتوافق مع الأدلة ومع أنها غير مقنعة فلو لم تكن كذلك لكنت الآن في أحد زنازين هذه المدينة!

فتح باب الغرفة فجأة ودخل منه شخص فارغ الطول ذو بشرة لونها
أشعة الشمس وقال لي بصوت غليظ:
- لقد حضرت حمامية لتمثلك أمام المحكمة ... والآن ستدخل لكي
تقابلك
حركت رأسي مؤيدة فلم يضيف أي جملة وخرج فوراً ثم دخلت الحمامية
... والتي شكّل دخولها الصفعة الكبرى لي!!

16

مزج

جاد ... عمر
بداية حياة مشتركة...

يتفق الجميع على أن الأهل هم أجنحة الشخص وسنده في هذه الدنيا، ولا يتبلور هذه المعنى للشخص إلا عند فقدانهم غالباً لأننا حينما نفقد أشخاصاً اعتبرنا وجودهم في الحياة نوعاً من الروتين نشعر بذلك الفراغ القاتل الذي قد يؤدي بنا إلى المهالك ... لكنه القدر، فنحن نؤمن بأن الله وحده من اختار هذا لغاية ما وفي النهاية ومهما طالت حياتنا نحن جميعاً فانون، ولكن ... ما بالكم لو فقد شخص لا يؤمن بكل هذا أحبته؟ ما الذي سيحل به؟ وبالأخص كيف سيتحمل هذا؟؟؟

هناك ... على شاطئ البحر شاب وسيم يبكي بحرقة، يحاول أن يتناسى آلامه لكنه يخفق يحاول أن يعتاد هذا الواقع لكنه ومع الأسف يفشل...
- أنت هنا إذا! ... لقد وجدتك أخيراً
قالها عمر وهو يلهث بقوة من شدة ما ركض، لكنه لم يتلق أي إجابة فأقبل إلى عند صديقه ثم تتمم بدهشة:
- جاد! أتبكي؟؟ أرجوك تماسك يا صديقي أرجوك
سرحت نظرات جاد في الفراغ ثم قال بألم وتلعثم:
- لقد فقدت جميع أحبتي يا عمر جميعهم، أبي توفي وأمي لم تنجو هي الأخرى وتوفيت بعده بعد محاولات عقيمة لعلاجها،

عمر أنا لا أبكي من أجل نفسي فقط، إن قلبي يحترق
على جودي إن قلبي يكاد يتمزق على أختي يا عمر
وراح يبكي مجدداً، معه حق ففقدان أمه بعد أبيه سبب له صدمة
كبيرة وما حلّ بأخته جودي سبب له صدمة أكبر...

- وماذا عن جودي الآن هل ستخرجها من المستشفى؟

- آه ... ما زلت لا أدري صحيح أن جسدها قد تعافى إلا أن علّتها
الجديدة أفضح

لم يكن عمر يدري مستجدات الأمور فقال بدهشة محاولاً إخفاء قلقه:

- وما الذي حل بجودي يا جاد؟ أهنالك جديد لا أعرفه؟

تنهد بخيبة ثم قال والعبرات تبلل وجنتيه:

- بعدما علمت بأمر وفاة والدتي بعد والدي، لا أعلم ما الذي
حلّ بعقلها فقد صارت تصرفاتها جنونية وهيستيرية إلى حد
فظيع لقد أصبحت ... لا أعرف كيف أصف حالتها، إن جودي يا
عمر فقدت عقلها ... أختي فقدت عقلها!!!!

شهق عمر بلوعة وتسمر بمكانه للحظات، ثم جلس القرفصاء بقرب جاد
وضم كتفي جاد بيده وعاود مواساته...

نظرت جيهان إلى محاميتها والدهشة تكسو ملامحها ثم قالت بصوت
مززع:

- أمل؟؟؟؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟ وكيف وظفتي؟

- صه! اخفضي صوتك، لم يكن هيناً علي بتاتاً إتمام الإجراءات التي تمكّني من أن أكون محامية هنا، فكما تعلمين أتهم يضعون الحجاب الإسلامي عائقا في كل شيء وبالأخص العمل

ازدردت ريقها ثم تابعت:

- والآن ... أظن أنه بإمكاننا إذا عملنا سوياً أن نحل مشكلتك فالأدلة التي قدمت إلى حد الآن ما زالت غير كافية

- معك حق

بدأت بالنقاش الجاد فقد كانت أمل توجه الأسئلة لجيهان والأخرى ترد بصبر إلا أن دخل أحد الضباط إلى المكان وقال بلهجة فرنسية غليظة..

- آنسة أمل ... لقد انتهى الوقت المخصص للجلسة ... يمكنك الخروج الآن

شكرت ندى بسرّها على تعليمها الفرنسية لها مذ تخصصت بمجال الأدب الفرنسي لأنها ستحتاجها كثيراً الآن..

- حسنا سأخرج ... شكراً لك

طالعت جيهان بنظرة تحمل كماً هائلاً من الثقة وابتسامة لطيفة تزين ثغرها، ثم خرجت...

- ما معنى هذا؟؟ ابنتي ... ما الذي حل بك فجأة؟

- أظن أنني استعدت جزءاً من ذكرياتي، لذلك سأحاول أن أعاود عيش السابق لعلّي أتذكر كل شيء وأكمل تلك الأحجية الناقصة

- لا ... لا أعرف ماذا أقول ... نـ...دى ندى الخطيب، مبارك لك والآن ماذا؟ هل ستعودين إلى عائلتك؟؟ أم ستبقين هنا؟ أخبريني
- لا أستطيع العودة لأنني لا أعرف مكان منزلي بعد إلا أنني سأفعل شيئاً ما بكل تأكيد
- وما هو يا ابنتي؟؟
- هناك شخص ... قد يعينني على استرجاع ذكرياتي كاملة أو لنقل بشكل أوضح ... إن وجدته فسأكون قد أكملت تلك الأحجية بلا شك
- حقا؟!
- نعم ... فيبدو أنني كنت متعلقة به بشدة فيما مضى ... وأستطيع تذكر كل ما يخصه بوضوح
- وما اسمه؟؟
- عمر ... عمر موفق

17

خلف الكواليس

ندی

كل شيء في هذه الحياة بسبب ولسبب...

أقول وبكل صراحة أنني لم أكن أتوقع أن أستعيد جزءاً من ذاكرتي لسبب كهذا، لا يمكنني تسمية ما حدث بالصدفة أبداً... بل هذا ما قدّر لي فلقد حصل هذا بمشيئة الله دون أدنى شك...

بحثت كثيراً عن صفحتي على الفيسبوك فباءت كل محاولاتي بالفشل وبعد أن يئست وتوقفت عن البحث تصفحت فيه قليلاً محاولة التخفيف عن نفسي، إلى أن تبيست أصابعي وتشنجت ملامحي وأحسست أن الدم قد جف بعروقي عندما رأيت صورته، عندما رأيت اسمه، عندما سمعت صوته، لقد ظهر لي فيديو له في إحدى المقترحات، بينما كان يتحدث عن أمور دينية شتى، لقد كان صديقي الصغير ذاته "عمر موفق"...

وهنا بعد أن تأملت شكله وأنصت لحديثه المقنع بدأت الأحداث المشتركة معه تتوالى في رأسي تبعاً...

- مسلم؟! بصراحة لا أدري، بابا وماما كانوا مسلمين وجدتي أيضاً، لكنهم عندما سافروا بعيداً وتركوني لأعيش في كندا مع سوزي وهي لم تكن مثلهم أبداً فلقد وضعتني جدتي عندها قبل أن تسافر..

- هل ستستطيعين فعلها؟!
- آنسة ندى أحسنت! لقد وثقت بك ... أنت فعلاً رائعة!!
- أمسكت رأسي وبدأت أضغط عليه بشدة، لأنني كنت وقتها أشعر بضياع شديد إلا أن الأحداث ظلّت تعصف بذهني بشدة...
- آنسة ندى البطلة الخارقة!!
- يا له من شيء جميل أن تكوني معلمتي!
- آنسة ندى ... كم عمرك؟؟

وعندها لم أستطع تمالك نفسي وتهاويت على الأرض...

آه! إنني أشكرك يا عمر من أعماق قلبي أينما كنت ... لكن لحظة، لماذا لا أحادثه قبل سفري وتصرفي بتهور لعله لم يعد يعيش الآن في دبي أو لعل شيئاً ما حصل له ... آه لا لا طردت تلك الفكرة من رأسي سريعاً وأمسكت هاتفني من جديد وبحثت عن اسمه مجدداً إلى أن وجدته وعندها قررت مراسلته على "الماسنجر"...

- رجال آخر زمن! وهل ستعيش لوحدك الآن هنا بينما زوجتك تسرح وتمرح كيفما تشاء في بلاد الغرب والفساد
- على رسلك يا أبي ... لم هذا الغضب والتوتر، أنا من حثها على السفر، كما أمنت لها جميع تكاليفه، إن حياة الفتاة التي تعتبرها كأختها على المحك ... إن فتاة من فتيات المسلمين محتجزة الآن يا أبي بلا أي ذنب بسبب تهمة باطلة اتهمت بها، كما أن هذه هي مهنة أمل ومن واجبها المساعدة

- وهل فرغت الدنيا من المحاميين؟؟؟ ثم ... من قال إنني أسمح لفتاة من العائلة بالسفر ألا تذكر عندما أصرت أختك على السفر ومنعتها، كيف تسمح لها وتساعدها دون الرجوع إلي كيف؟؟
- أبي أرجوك ... أنا أثق بأمل وكفى، إن أمل مختلفة ... إنها لا تشبه أحد ولا حتى أختي منال كما أنها زوجتي أنا ومع شدة احترامي لك يا أبتى إلا أنه ليس من حقك أبداً التدخل في هذا حسناً وعلى كل حال إن أمل صارت بفرنسا منذ مدة
- هكذا إذا يا آدم!! أخرج الآن ... لا أريد أن أكلّمك أكثر هيا اغرب عن وجهي
- لكن يا أبتى!
- قلت لك اخرج لا تدع قلبي يثقل عليك أكثر ... هيا

بريانا

- لم أعد أعلم الخطأ من الصواب ... فهل ما فعلناه مع أسيل كان جيداً وهل سيجدي نفعاً؟؟! أتمنى هذا من كل قلبي فهكذا سنكون قد أوصلنا ابناً إلى حضن والديه...
- ما رأيك بريانا العزيزة؟؟ ألا أصلح لأن أكون ممثلاً؟
- بلى وبدون شك يا أبتى ... لقد كانت تمثيلية رائعة وأتمنى أن تنجح وتستعيد أسيل ذاكرتها وترجع إلى عائلتها ... إن كانت تمتلك عائلة
- تفاءلي يا ابنتي ستعود إلى ما كانت عليه إن شاء الله، آه لم يكن هيناً عليّ بتاتاً أن أؤمن الظروف التي بدينا بها فقيرين ومحتاجين

- للمال، كما أن موضوع سفرها كان صعباً إلا أنه غداً سهلاً
بمساعدة نجوى
- إذا أنت بالفعل دخلت السجن بتهمة تهريب الممنوعات؟ أم أنها
قصة اختلقتها أيضاً؟
- زفر هشام زفرة قصيرة ثم قال:
- لكل ذنب عقاب وقد عوقبت على ذنبي، نعم أنا بالفعل قمت
بتهريب المخدرات وهذه القصة حقيقية تماماً إلا أن تلك
الإضافات التي تلت المكالمة هي التي لا أساس لها من الصحة
وضعت بريانا يدها على كتفه بحنو ثم قالت بترؤي:
- من منا لا يخطأ؟ المهم أنك اعترفت بخطئك ودفعت سنيانا من
حياتك مقابل ذلك، فلا تبتئس وارمي كل هموم الماضي خلفك
أوماً برأسه وهو ينظر إليها بود ثم تنهد بارتياح وقال:
- وفي النهاية أشعر بالرضا عما فعلناه ... الحمد لله
- نعم وأنا كذلك ألم تخبر الطبيب الذي عاينها عدة مرات عما
فعلناه؟
- بالطبع أخبرته ولقد أطرى عليه كثيراً ... بصراحة هو من ألهمني
الفكرة
- حقاً؟!؟
- بدأ رنين هاتف هشام يتصاعد فقال بمرح:
- إنها نجوى فلنرى ما الذي تريده!
- فلتجيب حالاً لعل بحوزتها أخباراً جديدة عن أسيل

18

على قيد الجنون!!

منذ وفاة والديّ جاد أصبح عمر يمضي معظم وقته معه محاولا إخراجها من تلك الحالة الصعبة التي أصابته بعد فراقهما، مما مئّن صداقتهما وزاد من انسجامهما...

- هيا يا جاد فلتستمع لكلامي أرجوك ... اترك جودي عند سوزي وتعال معي إلى النادي الرياضي فكلتاهما فتيات وتفهمان بعضهما بعضا

- لا يا عمر ... فلربما تعاود أختي تلك "الحالة"، لذلك من الأفضل أن ألزمها

أصبح شديد الخوف على أخته بعد الذي بات يحدث معها، فبين الفينة والأخرى تفقد عقلها فجأة وتتصرف تصرفات غريبة؛ تصرخ بشدة وبشكل مستمر ... تتلف أي شيء تراه حولها وأحيانا أخرى تهرب من المنزل، فللأسف الشديد موت والديها سبب لها صدمة نفسية هائلة فاستبدلت الحزن والبكاء بالتمرد على واقعها المؤلم بتلك الطرق...

- أنت تعلم أنك لا تستطيع فعل أي شيء لها عندما تكون بتلك الحالة، لذلك وجودك معها لا فائدة له الآن

- على الأقل سأحاول أن أحميها حينها فأنا ... لن أتحمّل فقدانها هي الأخرى

- إن حدث لها هذا ستحتويها سوزي وتهدأ من روعها ... هيا بنا يا صاح

- أرجوك يا عمر ... نذهب في وقت لاحق، أعدك

مط شفتيه معلنا عن انزعاجه ثم قال وهو يهز كتفيه بلامبالاة مصطنعة:

- كما تشاء ... فأنا لا أستطيع إجبارك لكن إن غيرت رأيك فستجدني على تلك الأريكة هناك

أشار بيده لموقعها ثم توجه إليها وجلس ... وضع ساقا فوق أخرى وبدأ يعبث بهاتفه لكنه شعر بالملل مع مرور الوقت فوضعه جانباً وأغمض عينيه محاولاً الاسترخاء إلى أن فتحتها مجدداً عند سماعه نغمة تعلن عن وصول رسالة جديدة، ففتح الرسالة والتي كانت من رقم مجهول ثم قرأها بهدوء...

" مرحبا يا عمر ... ما رأيك أن ندردش قليلا؟؟ ... إن كنت متفرغ طبعاً"

من هذا الشخص الذي يعرفه ويود التحدث معه؟؟ حدث نفسه لكنه أرسل ردّه على الفور:

" لا مشكلة ... لكن قل لي أولاً من أنت؟؟"

- نجوتـي!! ها ... فلتخبريني كيف الحال؟

- آه يا عزيزي ... إن حالنا ما زال مستقراً والحمد لله

- وهل أسيل بخير؟

- من أسيل؟؟؟ لا أعرف أحد يدعى أسيل

- أختي! هل هذا وقت المزاح؟ أم ماذا؟
- أقسم لك أنني لا أمزح
- ها! وكيف هذا؟
- هل تعلم لماذا اتصلت بك؟
- لا
- لكي أبشرك
- بماذا؟
- لقد استعادت أسيل ذاكرتها يا أخي ... لم تعد أسيل الآن بل صارت "ندى الخطيب"
- أفلت الهاتف المحمول من يده من شدة الصدمة واغرورقت عيناه بالدموع، نظرت إليه بريانا بفزع ثم همست:
- هل أصاب أسيل أي مكروه؟ أبي لماذا لا ترد علي؟ قل لي ما الذي حصل؟
- نظر إليها ببلاهة ثم أطلق صيحة عالية وصار يرقص بحركات مرتجلة مضحكة في آن معاً...
- بابا! إن تصرفاتك غريبة جداً!! ماذا حصل؟؟
- نظر إليها وكأنه قد تفتن لوجودها للتو انحنى ليجلس بالقرب منها ثم قال بسعادة:
- لقد استعادت أسيل ذاكرتها! ولقد تبين أيضاً أن اسمها ندى الخطيب!

- حقاً؟؟!!!

أطلقت زغرودة طويلة ثم صفقت بجذل وسعادة وقالت:

- إذا لقد استطعنا تحفيز ذاكرتها! آه هذا رائع!

هبت من فورها وعانقته بشدة وهي تهمس:

- إنني أعشق ذكائك يا أبتى العجوز! أحسنت

نظر إليها بغضب مصطنع، ثم ضحكا سويا...

ندى

لم أكن أتوقع أن يرسل رده بهذه السرعة، أو لأقل بشكل أدق أنني لم أكن أتوقع أن يرد علي لكنه لم يخيب ظني وأرسل رداً...
والآن ماذا؟ هل أقول له أنني ندى الخطيب؟ لا لن أفعل فأنا ما زلت مترددة حتى هذه اللحظة...

حسنا لقد اتخذت قراري...

"أنا آسفة فأنا لا أستطيع أن أخبرك بهويتي"

"أنا أبحث عن شخص يستطيع أن يعرفني على نفسي"

"إن كنت تستطيع مساعدتي سوف أكون ممتنة لك"

"أنتظر ردك على أحر من الجمر"

لنرى هل سيرد علي أم لا، أتمنى ألا يلح أكثر ليعرف هويتي لأن معرفته لها في هذا الوقت قد يسبب له ولي بعض الإشكاليات...

19

بحث

كانت أمل قد اتفقت مع جيهان قبل أن تتعاوننا لتبرئتها بأنها لن تدخل مشاعرها أبداً وستحسب أنها لا تعرفها لكنها ستبذل جهد كبير في الوقت ذاته، لكنها تشعر الآن بحزن شديد وبرغبة ملحة في البكاء فهي لم تكن تتوقع أن تأول الأمور إلى هذه الدرجة، معقول!! جيهان مندو الصديقة المقربة للعائلة أصبحت الآن متهمة بجريمة قتل لسيدة فرنسية قديرة!!، إنها تؤمن أن جيهان بريئة لكن عليها أن تجد الطريقة المناسبة لتبرئتها أمام قاضي المحكمة والجميع، مع أن هذا بدا لها شبه مستحيل في ظل هذه الظروف إلا أنها لن تيأس مهما حصل ... لن تترك مجالاً لليأس أبداً...

لقد كانت مثل أختها تماماً، فعندما تستعصي الأمور عليها تلجئ إلى الورقة والقلم ملاذها الوحيد والخاص، أمسكتها وبدأت ترسم خارطة مفاهيم دونت في الأعلى " ما تُهمت به جيهان "، ثم رسمت تفرع ودونت في نهايته " قتل المريضة عمداً أثناء العملية "، تأملته جيداً ثم تابعت الكتابة:

لا يوجد دليل إدانة فعلي، التوتر والتصرف بغرابة يمكن توضيحهم بأنهما رهاب للعملية الأولى في المشفى الجديدة، كونها مغتربة لا يمكن أن يشكل دافع لارتكاب جريمة، لكن كونها مسلمة قد يعتبرونه دافعاً فهم يحسبون أن كل مسلم لا بد وأن يقوم بعمل إرهابي، أخيراً عليّ التدقيق بوثائق إصابتها القديمة بعد حصولي على نسخة منها، كما يجب عليّ

إجراء محادثات مع الشهود ومحاولة استشفاء دليل منهم وسأتصل أولاً
بوالدتها...

أنهت التدوين ووضعت قلمها جانباً ثم دسّت الورقة في مغلف عملها
جيداً، أمسكت هاتفها تأملته قليلاً وكأنها تحاول أن تحافظ على تركيزها،
ثم بدأت المحادثة الأولى وكانت مع السيدة مريم والدة جيهان...
انتظرت على الخط قليلاً حتى سمعت صوت الأم فقالت بحنو على
الفور:

- أسعد الله صباحك يا خالتي، أرجوك سأطرح عليك بعض الأسئلة
وأود منك الإجابة عليها دون تذمر أو استفسار، فوقتي يكاد ينفذ
- حسناً يا أمل ... تفضلي فأنا مستعدة لكل شيء من أجل حياة
ابنتي

لم تكن مريم تعلم بصعوبة تبرئة ابنتها لكنها ومع ذلك امتثلت لأمر أمل
ولم تستفسر...

- بدايةً ... هل أصيبت جيهان سابقاً بإصابة في يدها اليسرى والتي
تجري بها العمليات الجراحية؟
- نعم لقد كان هذا قبل مدة طويلة ... مما جعلها تترك المهنة كلها
- أولم تتعافى؟
- بلى ... فقد أجرت عمليتان لها ثم صارت تدرّبها لكي ترجع إلى
سابق عهدها، وعندما علمت أن يدها تماثلت للشفاء ووجدت
فرصة عمل في مشفى قد تعتبر لصديق زوجي التحقت بها على
الفور

- قلت صديق زوجك؟؟ أخبريني ما اسمه؟
- ميشال ... ميشال حداد
- هذا جيد! هل تمتلكين رقمه فباستطاعتي إن حادثته أن أقنعه
لكي يشهد بحسن سلوك جيهان وانضباطها

- نعم زوجي يمتلكه دقيقة وأعطيك إياه

- أنتظر

أعطتها مريم الرقم فشكرتها وأنها المحادثة بشكل عاجل، ابتسمت
بظفر فقد بدأت تحرز تقدماً حتى ولو كان بسيطاً، أحضرت مغلفها
ووضعت الرقم به بعناية شديدة ثم همست لنفسها برقة:

- والآن يا أمل علينا الاتصال بماري

كانت قد شعرت ببعض التعب من المجهود الذهني الذي بذلته، حضرت
لنفسها كوب شراب ساخن ثم دونت رقم ماري وانتظرت ردها بصبر
وتروي

آدم

آه ما الذي يحدث بالضبط؟! لم يكن أبي حساساً لتلك الدرجة من قبل
حتى أنه لم يكن يتدخل بأشياء غير عمله وبالتحديد بخصوصيات أفراد
العائلة، فمع أنه كان يوجه التعليمات من حين لآخر لنا إلى أنني لم أكن
أتوقع منه أن ينزعج بشدة من سفر أمل، والآن ما الذي عليّ فعله
بالضبط؟ فأنا لا أستطيع أن أطلب من أمل أن تعود قبل أن تنهي عملها
كما أنني لا أقبل أن يظل والدي بهذه الحالة، فهو لم يعد يتكلم معي إلا
لضرورة قصوى، كما أنه لا ينفك عن التلميح لي حول عودتها بشكل
عاجل...

كنت أجلس على الأريكة في غرفة الجلوس وأتأمل الشارع بحزن بينما
كانت الساعة تقترب من الثانية بعد منتصف الليل، وفجأة أحسست بيد
رقيقة تربت على كتفي بحنو نظرت إلى جانبي فوجدت أمي بالقرب
مني...

- حبيبتي! ما الذي تفعليه في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل؟
ألا يفترض أن تكوني نائمة الآن؟
- آه... وكيف يغمض لي جفن وابني الحبيب يجلس وحده حزينا
- أمي ... تعلمين سبب حزني بالطبع
- نعم يا حبيبي، فليس من الحكمة أن تطلب من أمل العودة الآن،
كما أن غضب الأب يدخل النار، أليس كذلك!
- نعم يا أمي نعم ... أنا محتار ولا أعلم كيف يمكنني أن أصلح
الموقف
- سحبت أمي نفسا عميقاً ثم زفرته بهدوء وهمست:
- سنجد حلاً بالتأكيد ... فلتذهب إلى فراشك الآن وفي الصباح
هاتف أمل واطمأن عليها وعلى سير عملها لكن لا تخبرها عما
يحدث لأن هذا سيقلقها ولن تستطع فعل شيء حياله، وأنا
سأحاول أن أحدث والدك وأتفاهم معه
- لكنه لن يقبل التحدث يا أمي إن والدي عصبي جدا
- لا أظنه عصبي إلى هذا الحد
- ابتسمت ثم قالت مشاكسة لي وهي تلكنني على كتفي بمرفقها:
- هيا يا ولدا! ... لا تتدخل بعمل الكبار ... نل قسطا من الراحة ولكل
حادث حديث
- بادلتها الابتسامة ثم أمسكت يدها لأقبلها وبعدها همست:
- أمرك يا غالية

عَمْرُ

لماذا لا تفصح لي بهويتها يا ترى؟؟، هل من المعقول أنني قد أكون
أعرفها لا لا هذا غير وارد بتاتا فإن معارفي محدودين كثيراً...

إنها تطلب مساعدتي لكي أعرفها بنفسها! بصراحة لم أفهم قصدها، ولكي أفهم بعثت لها ردي على الفور والذي كان باباً لفتح حوار لطيف بيننا...

- "عذراً لكنني لم أفهم قصدك ... كيف أستطيع أن أعرفك بنفسك؟"

- "أنا سأسألك بعض الأسئلة عنك ... وإذا استطعت إجابتي ستكون قد ساعدتني"

- "مع أنني ما زلت لا أفهم ما ترمين إليه لكنني سأجيبك إن لم تكن الأسئلة خاصة"

- "حسناً ... فلتقل لي أولاً أين تعيش؟"

- "دبي أعيش في دبي"

- " هذا جيد إذا ما زلت تعيش هناك!"

بدأ بعض الشك يتسرب إلى أعماقي ... تلك الطريقة في صياغة الكلام لم تكن غريبة عليّ لكن لمن كانت؟

- "من أنت؟ وهل كنت تعرفين أنني أسكن في دبي من قبل؟"

- "آه! ... لا تهتم، السؤال الثاني مع من تعيش الآن؟"

- "بدأت تسألين أسئلة خاصة!"

- "فلتجيني من فضلك يا عمر"

- "آه حسنا ... مع عمتي سوزان"

- "والآن السؤال الثالث"

- "لماذا تسأليني أنا؟؟ لماذا؟ أنت تعرفيني أليس كذلك وأنا بالطبع أعرفك! من أنت قولي؟"

- "هل تعرف أحداً اسمه ندى الخطيب؟؟"

تجمدت أصابعي عن الكتابة فجأة، ندى الخطيب؟؟ الأنسة ندى؟ طريقة صياغة الكلام! تريدني أن أعرفها على نفسها! بدأت أشعر بدوار، إنها

تتجاهل سؤالي عن شخصها لأنني إن عرفت اسمها سأعرفها على الفور هذا مؤكداً، وأنا معارفي قلة، هل من المحتمل أن تكون ذات صلة بندقى؟؟

- "نعم بلا شك أعرفها"

- "ما الذي كانت تمثله لك؟"

- "لقد كانت أساس لكل شيء بحياتي... لكنها ومع الأسف توفيت"

تأخر ردها هذه المرة إلى أن قالت:

- "حسناً يكفي لهذا اليوم ... إلى اللقاء"

لماذا أنهت الحديث فوراً بعد قراءتها لاسم الأنسة ندى؟ هل ذعرت لأنها علمت بموتها أم ماذا؟ يا إلهي أريد إجابات شافية وهي لا ترد ماذا أفعل!؟

- "فلتخبريني من أنت قبل أن تغلقي المحادثة"

- "لماذا لا تجيبين على هذا السؤال بالضبط؟"

- "أنا انتظر جوابك"

شعرت بغضب عارم عندما تجاهلتني مجدداً فأرسلت لها رسالة أخيرة قبل أن أغلق هاتفي...

- "إن تجاهلت هذا السؤال مرة أخرى ... فلن أرد على أي من

أسئلتك بعد الآن"

ومع هذا لم تجبيني!!!!!!

انتقلت إلى الخطوة التالية من فورها، ألا وهي الحديث مع ماري، انتظرت كثيراً على الخط لكنها لم ترد عليها، وضعت هاتفي جانبا وتمطت، ثم أمسكت به وعاودت الاتصال والنتيجة نفسها، وبعد محاولات عديدة أخرى لم تختلف النتيجة!، شعرت بغضب فلماذا لا ترد عليها تلك الماري!؟!

استلقت على الأريكة، أغمضت عينيها، وبدأت تفكر إلى أن وصلتها رسالة جديدة طالعت هاتفها فربما تكون هي لكن كان آدم...
 "حبيبتى ... كيف حالك؟ هل تسير كل الأمور على ما يرام؟ إن احتجت أي شيء أخبريني من دون تردد"

ابتسمت رغم غضبها السابق، وأرسلت له رسالة سريعاً:
 "لا داعي للقلق ... فكل شيء على ما يرام ما زلت أحاول بكل قوتي لتبرئة جيهان، فلتدعوا لي بالخير"

"هل أنت والعائلة بخير؟؟ لقد اشتقت لكم جميعاً!"
 أنهت رسالتها سريعاً عندما تصاعد رنين هاتفها، آه إنها ماري!!
 سحبت نفساً عميقاً ثم ردت بزرانة:

- مرحبا ... أمل الخطيب تتكلم
- آه أنت المحامية أمل أليس كذلك؟! لقد اتصلت بي سابقاً، هل تريدني أي شيء؟
- نعم ... فلدي بعض الأسئلة بصفتي محامية الأنسة جيهان مندو
- بشأن جيهان!! ألم تقتنعي بعد أنها مجرمة بكل ما تحمل الكلمة من معنى؟ إنها صفقة خاسرة بالتأكيد، فلتتركها وتتنحي جانبا ... أنا أنصحك!

- عذرا سيدتي ... فأنا لا أترك أي عمل لي في منتصفه
 بدا صوتها حازماً تشوبه لهجة قساوة خفيفة، فهذا النوع من الناس لا يعامل بلطف البتة!...

- وهل تتوقعين مني أن أجيبك؟ لماذا لا أدافع عمّن هو من طائفتي وجنسياتي وأترك تلك الإرهابية جانبا؟!
 بدأ الغضب يبلغ حده عند أمل، فتلك اللهجة الساخرة المستفزة تثير حنقها!!، لذلك صرخت بلهجة مرعبة:

- ألا تمتلكين أي ضمير!! هل ترفضين الإجابة عن الأسئلة التي هي من حقي أن أطرحها عليك ومن واجبك الإجابة؟؟
قالت بسخرية لاذعة:

- حَقِّقْ! وواجبي! عزيزتي إن ضميري يأبى بأن أَدافع عن إرهابية ... هل تفهمين؟

وانتهى الحديث هنا، فقد أغلقت ماري الخط سريعاَ قبل أن تسمع ردها حتى!، لكنها بهذه المكالمة السخيفة جرحت كبرياءها وآذت مشاعرها للغاية، فشعرت أنه لم يعد بمقدورها الحفاظ على رباطة جأشها أكثر، فاستسلمت لبكاء مرير، كانت تبكي الجميع أخوها وأختها وعائلتها التي اغتربت عنها والذكرى الأخيرة المتبقية من أختها والتي لا تسير الأمور على ما يرام للحفاظ عليها...

وصلتها رسالة من آدم مجدداً...

" جميعنا بخير عزيزتي ... وسندعو لك من كل بدّ ... ثقي بالله أولاً ثم ثقي بقدرتك على تبرئتها وسيحصل ما تريدينه من دون شك "

قرأت الرسالة بعيون دامعة، ثم همست بسرّها...

آه أين أنت يا آدم؟ ... لقد كنت أعتد عليك كثيراً في مثل تلك المواقف، لماذا لا تأتي وتدافع عني أمام ماري والجميع وتوقف كلامهم السيء تجاهي؟؟ مثل ما فعلت سابقا عندما حاولت هند إهانتني ... آه أنا أحتاج من يعطيني الثقة، فيجب عليّ ألا أبأس فجيهان وضعت عليّ آمالا عريضة...

يا إلهي ساعدني أرجوك!! ألهمني طريق الصواب والحق، لكيلا تظلم فتاة بريئة مسلمة أرجوك يا الله ساعدني...

- غير موجودة في أي مكان!

تمتم جاد بخفوت ثم أعادها وهو يصرخ وكأنه فهم ما يجري حوله الآن، أخته جودي! مختفية عن المكان! لقد ظل يبحث عنها لوقت ليس بقصير داخل البيت وخارجه لكنها غير موجودة!!...

- ماذا هنالك يا جاد ... ما الذي تعنيه بـ"غير موجودة"؟
- لقد اختفت جودي يا عمر! فأنا لم أجدها مع أنني بحثت بجد في الأمكنة المحيطة في البيت وفي داخله حتى
- حسناً ... دقائق وأكون عندك لكن دعني أسألك قبل
- ماذا؟؟
- هل هناك أمكنة معينة تعرفها بعيداً عن المنزل ومن الممكن أن تقصدها؟
- لا ... لا أظن هذا

عمر ... المنقذ الأول لجاد! ... فهو صار يطلب منه الإعانة في أي شيء وكل شيء، يجده أشجع منه في مواجه أي خطر يحوم حوله وحول عائلته المصغرة!، وكأنه فقد كل توازنه بعد موت والديه!، والآن ... أخته والتي أصبحت محور حياته من بعد الحادثة، يبدي أمورها على أهم أولوياته ويحاول حمايتها بما استطاع من قوة ويحاول أن يبقيها بقربه مهما تدمرت وغضبت وتجاهلته، لكنه ومع كل هذا لم يستطع الحفاظ عليها!... بدأ يحدث نفسه؛ لماذا تجري الأمور عكس ما يريد دائماً؟! هل من الممكن أن يكون لإلحاده علاقة بهذا؟

لا هذا غير وارد البتة! فهي عمر قد فقد والديه منذ نعومة أظفاره مع أنه مسلم وتقي للغاية!، لكن هناك فرق شاسع بينهما فعمر يسلم الأمور لربه حتى لو كان مصابه كبير ويؤمن بالقضاء والقدر أي باختصار إيمانه يشكل درع له، بينما هو! لا يؤمن بشيء! وها هو قد خارت قواه عند أول منعطف في الحياة، وماذا لو تتابعت الأمور السيئة؟ هل من الممكن أي تودي بحياته بسبب عدم امتلاكه القدرة على التحمل؟؟

قطع تفكيره رنين جرس المنزل معلناً عن قدوم رجل المواقف الصعبة،
عمر...

بدأ بالبحث من دون مقدمات حول المنزل في الحقائق العامة المحيطة
به حول المتاجر ودخلها ومع هذا غير موجودة، بحثاً في دور العبادة ولم
يجدها، عادا إلى البيت بخفي خُنين بعد المزيد من البحث، عاودا البحث
داخل البيت وجودي لم تظهر لهما بعد...

بدأ جاد يفقد توازنه الذي حاول إبدأؤه أمام صديقه وبدأت عبراته تهطل،
نظر إليه عمر وحاول ترتيب أفكاره المشتتة داخل ذهنه، أين من الممكن
أن تكون؟ ... جودي أين بمقدورها الذهاب؟ ... مكان تحبه وتتذكر فيه
الأيام الخوالي ... تستطيع أن تيكّي والديها دون أن يراها أحد ... مكان
تحبه داخل المنزل!!!...

وفجأة عاوده موقف كان قد عاشه وإياها سابقاً، فبينما كان يجلس في
غرفة الجلوس بانتظار جاد لمحها تحمل حاسبها الشخصي ووسادة
إضافة إلى غطاء شتوي!...

- إلى أين أنت ذاهبة بكل هذه الأشياء يا جودي!؟!
- زمتّ عينها وابتسمت ثم قالت بطريقة طفولية رغم كبر سنّها:
- إلى مكاني ... السري
- أطلق ضحكة خفيفة متعجباً من طريقة كلامها ثم عاود سؤالها:
- وأين هو هذا المكان!؟
- تلقت حولها بحذر وبعد أن تأكّدت من خلو المكان اقتربت منه وهمست:
- حسنا سأخبرك ... لكن عدني أولاً بالأّ تخبر جاد والبقية
- حاضر
- همست متضحكة:

- أترى هذا الدرج الدوار هناك!؟ الذي يؤدي إلى الطابق العلوي
من المنزل، أسفله هناك ممر ضيق يتسع لي ولحاسبي فقط

ولا يعرف أحد أنه موجود أصلاً، وهناك أستطيع أن أجلس وأكتب على الحاسب مذكراتي والأشياء الأخرى التي تحصل معي في حياتي دون إزعاج أحد
 نعم لقد تذكر الآن!، فمن الممكن أن تكون مختبئة في مكانها السري!، قام من فورهِ ليتوجه إليه رغم دهشة جاد اقترب منه وحاول البحث ثم بدأ ينادي:

- جودي ... جودي هل أنت هنا؟؟

لم تصله أية إجابة فزاد من ارتفاع صوته وعاود النداء:

- جودي أنت هنا؟ جودي

أحس بحركة خفيفة ثم سمع صوتها مبوحاً:

- عمر! ما الذي تفعله هنا؟

طالعتها وهو يتنهد بارتياح ثم قال بحنو:

- تعالي يا جودي ... فأخوك مذعور ويبحث عنك في كل مكان

خرجت من مكانها طواعية نظراً إليها فدهشا من احمرار وجهها الشديد وانتفاخ عيونها وأنفها من شدة البكاء!...

ركض جاد نحوها وعانقها بشدة فتابعت بكاءها ... كم هو حزين منظرها وهي تبكي اقترب عمر منهما ثم همس لجاد:

- أظن أنني أملك الحل لتهدئتها، هل تسمح؟

قالها وهو يشير إلى تسجيل سورة قرآنية على هاتفه المحمول، نظر إليه باستسلام ثم قال:

- افعل ما تشاء ... الأمور صارت تحت تصرفك من بعد الآن

- حسناً فلتدعها تجلس على تلك الأريكة هناك

حصل ما أرادهُ على الفور، وبعد أن جلست شغل التسجيل الخاص بسورة البقرة وضع الهاتف بالقرب منها، فصار ما قاله فعلاً فمع مرور الوقت بدأت تهدأ ثم غطت في نوم عميق...

حتى جادا! شعر بارتياح أثناء استماعه!!، وبعد أن غفت أخته سألت عمر بتردد:

- ما اسمها؟

- من هي؟؟

- تلك السورة من كتابكم المقدس؟

- آه! ... إنها سورة البقرة

صمت جاد ولم يعد يتكلم وبعد تفكير إضافي قال:

- أنا أحسدك يا عمر ... فأنت مؤمن بشدة ولديك قدرة تحمل كبيرة،

ليتني كنت مثلك

اندهش عمر من كلامه لكنه سرعان ما ابتسم وهمس:

- يمكنك أن تكون مثلي يا جاد ... وبكل بساطة

نظر إليه ببلاهة مما وسّع ابتسامته لتملأ وجهه...

جِنَّانُ

أظن أنها ستكون اللحظات الهادئة الوحيدة المتبقية في هذه الفترة من حياتي، فبعد أسبوعين ستبدأ المحاكمة وسيتم إصدار قرار بحقي فإما سأجزم وسيكون السجن حليفي، وإما ستتم تبرئتي مع أن هذا توقع بعيد المنال حسب هذه الظروف...

لقد علمت ما كان الجميع يرمي إليه أخيراً، إنهم يحاولون التخلص مني بشتى السبل وحتى لو كلف هذا أي شيء!!، لكن ليتني لم أسافر إلى فرنسا قط، ليتني لم ألتحق بتلك المشفى المشؤومة، إلا أنه قدر الله وعلي أن أَرْضخ له وأتقبله مهما كان هذا مؤلماً!!!

فتح الباب فجأة ودخلت أمل بصحبة ضابط من ضباط الشرطة والذي باتت رؤيتي لهم تشعرنني بالتقزز والنفور!

- كيف حالك؟ دعينا نبدأ النقاش من دون تضييع للوقت
- حسنا
- هل جاء أحد ليأخذ اعترافاتك؟
- نعم لقد جاءوا قبل قليل إلا أنني نفيت عني التهمة مرارا وتكرارا
- حسناً، أود أن أطرح عليك سؤال؛ هل لاحظت سيلين كلوب وهي تقوم بالخطأ المتعمد أثناء إجراء العملية؟
- ليتني فعلت، إلا أنني كنت منهمكة بعملية كثيرة، ولم أفكر للحظة واحدة بأنها قد تقدم على شيء كهذا
- هل تتوقعين أن يكون قد ظهر أي شيء على الكاميرات؟
- لا أظن فقد كنا قد ولينا ظهرنا لها، إلا أنك لن تخسري شيئاً إن عاودت تدقيق ما سجلته
- بالتأكيد سأفعل ... والآن يجب أن أذهب لأتمم عملي
- حسنا
- همت لتفتح الباب وتخرج إلا أنني أوقفته من جديد، بقولي:
- أمل ... أنت أُملي الوحيد من بعد الآن، أرجوك لا تخذليني
- ابتسمت بحماس ثم قالت بحنان:
- لا تقلقي يا حبيبتى ... فأنا معك حتى الرمق الأخير
- ثم توارت عن ناظري....
- يا الله ساعدني لكي أنجو من هذه الدوامة الكاذبة، يا إلهي نجني من أيدي الكفار وخلصني من هذا العذاب الذي يطاردني منذ مجيئي لتلك البلاد ... آمــــين

- بماذا أخدمك؟؟
- نظرت إليه وكأن صاعقة أصابت كامل جسدها، ونسيت عندها ما طلبته منها نجوى فقد كانت قد طلبت منها الاستفسار عن عقار تريد أن

تشتريه، لكنها تراه الآن أمامها وتتمنى لو كانت نجوى هي من أتت بنفسها للاستفسار من هذا الشخص بالذات...

- قيس؟؟؟!

تذكرت الصورة التي رأت نجوى تحملها أثناء غيبوبتها وعلمت أنه ابن نجوى عندما سألتها عنه، إنه ولدها الذي تخلى عنها بعد أن عملت كل ما استطاعت من أجله!

- من أنت؟ وما بك؟

لم تعد تعلم كيف عليها أن تداري الموقف المرحج الذي وضعت نفسها به، هل تسمح الظروف والوقت لها الآن للمواجهة؟ أم أنها تسرّعت؟ طالعه مرّة أخرى بنظرة أقل حدّة من سابقتها ثم قالت بهدوء:

- ألسنت السيد قيس حمد؟

نظر إليها بشك ثم قال:

- نعم ... هل تريدني أي شيء؟

لا ... لا ليس الآن الوقت المناسب للمواجهة، ستصبر لكنها بنفس الوقت لا تستطيع أن تدعه يفلت من يدها بعد أن وجدته...

- هناك موضوع هام ... وعليّ أن أحدثك خصيصاً به

- تحدثيني أنا!! وما هو؟

نظرت حولها فوجدت في المكان حشود غفيرة لذلك قالت:

- لا أظنه المكان المناسب سيدي

- يا سيادة ... لا تضيعي وقتي رجاء، قل لي الذي تريدني قوله

واذهبي من هنا فوقتي أؤمن من أن أضيعه مع أي شخص

تفحصته ندى من رأسه لأخمص قدميه بامتعاض ثم قالت بنبرة محايدة:

- اسمي ندى الخطيب

نظر بسخرية وقال متضحكاً:

- تشررفنا ... أظنك انتهيت، التــــالي

- يا لوقاحتة!!، ابتلعت السخرية بصعوبة وقالت بهدوء كهدوئها السابق:
- آه! لا أظنه الوقت المناسب للسخرية، هل تعلم لماذا أنا هنـ...
- لم يحصل لي الشرف بعد
 - قاطعها مرة أخرى لكنها أردفت متجاهلة تصرفه
 - أنا هنا لكي أتكلم معك بخصوص والدتك، السيدة نجوى والتي تركتها بلامبالاة بعد معاناتها وجهدها في تربيتك، وبعد تبرعها لك بجزء من جسدها
 - تجلت الصدمة في ملامحه، لكنه قال مشيحاً وجهه عنها:
 - هذا ليس من شأنك! أساساً من أنت لتتدخلني بمثل تلك الأمور الخاصة؟؟
 - ابتسمت بلطف ثم قالت بنبرة متعالية لم تتوافق مع جملتها:
 - مساعدتها المخلصة والمطيعة
 - لم تعد تعني لي شيء، فلتنسي موضوعها
 - نظرت بدهشة ثم غمغمت:
 - لا تكن قاسياً ... فهي تظل أمك
 - لا لم تعد كذلك منذ أن جعلتني أصبح هكذا
 - قالها وهو يشير إلى كرسي المقعدين الذي يجلس عليه، كان يصرخ غير آبه لكل الغرباء الحاضرين، ولهذا السبب بالتحديد أخرجت ندى قصاصة ورق من حقيبة يدها ودونت عليها رقمها ثم وضعتها أمامه وقالت:
 - إن غيرت رأيك وأردت النقاش، هذا هو رقمي فلتتواصل معي عليه
 - لم تمهله ليعلق وانسحبت خارجة من المكان بأكمله وعندما أصبحت خارجاً تذكرت فجأة:
 - يا إلهي لقد نسيت أن أسأله عن العقار!!

فكرت بحجة تخلقها لنجوى فهي بالتأكيد لن تخبرها بمقابلتها له
وبتصرفه السيء معها، وبعد تفكير قليل وجدتها!

20

جهود رائعة!

- أريد أن أرى تسجيل الكاميرا رقم 5 الموجود في غرفة العمليات والذي سجل قرابة الساعة الثالثة وعشرين دقيقة عصرا
- قالت أمل بجدية وحزم فرد المسؤول بلهجة جافة:
- لست مخلواً بأن أريه لأحد فلتعذريني
- أخرجت بطاقتها ووضعتها نصب عينيه ثم استطردت بثقة:
- أنا محامية الأنسة جيهان مندو ولدي الإذن بهذا
- عرضت عليه بطاقتها الرسمية وهويتها الشخصية فسمح لها من دون أي كلمة إضافية...
- شاهدت التسجيل بشكل كامل لعدة مرات، زادت من سرعته وأبطأته إلا أنها لم تجد أي دليل قد يبرأ جيهان فسيلين كلوب بدت طبيعية بل طبيعية جدا، ولم تبد أي حركة مشبوهة، أما جيهان فقد كان التوتر باديا في حركاتها وسكناتها!!
- يا أستاذة لقد انتهى وقتك
- انتهى وقتي؟ ألم تفهم أنني محاميها ومن حقي أخذ ما أشاء من الوقت
- نعم أنا لا أخالف هذا لكنني أتبع التعليمات فحسب
- تعليمات ماذا؟ أو لنقل بشكل أوضح تعليمات من؟
- لا أستطيع أن أخبرك
- ابتسمت بسخرية، لا يستطيع إذا! يا له من شخص كتوم، لكن لحظة ... لماذا يحاولون تغطية هذا الأمر فماري لا ترد على أي سؤال ولا أحد يوّد

منها أن ترى التسجيل بشكل مطول، هل لأنها ستكتشف شيئاً جديداً، أحست بالإثارة تجتاحها للحظات فقالت لنفسها بحماس:

- إذا عليّ استجواب الجميع وحتى لو لم يكن هذا بشكل مباشر، سأحل الأمر بلساني الرقيق لا ... لا ليس لساني أنا! أظن أنني أحتاج إلى ريم الرقيقة في هذا فإن شكلي قد يجعلهم يشكون بي كما أنني المحامية ... آه!! يا للسخرية!!!

كان يقطع الغرفة جيئةً وذهاباً بتوتر ما الذي عليه فعله؟ كيف يجعله يرضى عليه، إنه والده الحبيب لذا عليه أن يبذل قصارى جهده، ما أكثر شيء قد يضيفي السعادة إلى قلبه؟؟؟ اهه نعم لقد وجدها، لكنه يحتاج مساعداً لإقناع والده من أجل تنفيذ خطته، من قد يكون؟؟ آه نعم بالتأكيد وكيف أغفلهما؟!

أجرى اتصالاً سريعاً مع أخوه الأصغر أسامة وبعد استشارة أمه طبعاً، انتظر قليلاً إلى أن سمع صوته يهتف بهرجه المعتاد:

- آدم باشاشا!! لم أتوقع أبداً أن تتفضل علي وتتصل بي إنها لفتة كريمة جداً منك يا أخي العزيز!

أفلتت من آدم ضحكة خفيفة، لكنه قال ببعض الجدية:

- إن لدي هدف بالطبع من اتصالي هذا، ألا تعرف أخاك؟

- بالطبع أعرفك من المستحيل أن تتصل بي من أجل الاطمئنان عليّ، آه لديك مصلحة إذا

حسم نتيجة المباراة لصالحه، ابتسمت إيميلي برقة ثم هتفت باحتجاج مصطنع بعدما لم يلمح ابتسامتها:

- لا هذا لا يجوز ... لقد جعلتني أخسر أيها البطل!!
- كان إطرء أكثر من احتجاج مما جعله يقف بفخر وهو يقول:
- لن يهزمني أحد في هذه الحياة أبداً ... لن يتغلب عليّ أي شخص كان وفي أي مجال من المجالات
- طالعته بنظرة إعجاب ثم قالت بعد لحظات:
- هيا يا ريان ... سأشتري لك العصير على حسابي كحلوان لفوزك علي
- نعم هيا هيا

كانا سعيدان معاً، ويتشاركان في كل شيء!، اشترت إيميلي زجاجتا عصير برتقال بارد ثم جلسا على أحد الكراسي الخشبية وبدأ يشربانها بهدوء، نظرت إليه وتجمعت العبرات في مقلتيها منذرة بالهطول عندما تذكرت الشيء الجوهرى الذي يقلقها فمع أنها حاولت نسيانه إلا أنه أمر فظيع للغاية!...

نظر إليها ريان بدهشة عندما رأى دموعها ثم همس:

- ما بك يا إيميلي ... لم صرت حزينة فجأة؟؟
- لا شيء يا حبيبي لا شيء، أظن أن بضع ذرات غبار دخلت مقلتي صمت ولم يعلق لكنه قال بلهجة غريبة بعد صمت ران لوقت ليس بقصير:

- إيميلي ... لو كان هناك مكروه يحوم حولي فهل ستدافعين عني؟ انصدمت من هذا السؤال المفاجئ والذي لا يناسب المكان أو الزمان المتواجدان فيه، لكنها أجابت بعد أن استطاعت استعادة رباطة جأشها:

- آه!!! لقد فعلت كل ما استطعت من أجل حمايتك يا صغيري

الرائع

قال مندهشاً:

- فعلت؟!

لاحظت أن لسانها قد زل في الوقت الغلط فقالت متضاحكة لتداري الموقف:

- يعني ... أقصد أنني أفعل ... كل ما بوسعي من أجلك ... وإن اضطر الأمر للتخلي عن حياتي ابتسم بامتنان ثم عانقها بحرارة...

عمر ... جاد ... جودي

وجود قيم وقوانين وأنظمة يمشي عليها الإنسان في الحياة، يجعله أكثر اقتناعاً بالأحداث المفجعة التي تحدث ويسميها بالقضاء والقدر والذي عليه أن يخضع له تحت أي ظرف كان...

كان كل ذلك درع لعمر يستمد منه قوته التي يمد بها الكثير من الناس، فالإسلام يجعل المرء قوياً ويجعله قادراً على مواجهة المصاعب والفاجعات بقلب صابر، كما أنه لا يحل في شريعته أيضاً أن يستمر حداد المرء على مصيبة أكثر من ثلاثة أيام، مما سيجعله يواجه أحزانه ويتخلص منها بأسرع ما أمكنه...

ولحسن الحظ لاحظ جاد هذا أخيراً بعد أن أثبتته المواقف له، فها هو قد أيقن أن صديقه عمر قوي بفضل دينه وإيمانه ويقينه بأن أي شيء وكل شيء يحصل يكون لحكمة إلهية ما ويكون الأفضل بلا منازع...

نظر جاد لصديقه بشك ثم قال للمرة الثالثة على التوالي:

- هل أنت واثق بأنك ستجيب على أي سؤال كان؟

- نعم ... نعم

- زم عينيه ورفع حاجبه الأيسر ثم قال مجدداً:
- لكنني قد لا أستطيع صياغة السؤال بطريقة مناسبة تماماً، وقد أتكلم بطريقة جارحة
 - استطرد عندما لاحظ نظرة عمر الغريبة:
 - من دون قصد مني طبعاً
 - ابتسم عمر وهمس له فوراً:
 - أنا موافق بلا شك لكن لدي شرط واحد فقط
 - ما هو؟
 - فلتحضر جودي لكي تنضم إلى جلستنا
 - حاضر
- اجتمع ثلاثتهم في غرفة الجلوس، وانضمت إليهم سوزي على مضض، فرقع جاد أصابعه ثم بدأ يسأل بحماس شديد:
- لماذا أشعر أن داخلي خاو، وأنني قابل للكسر عند أي محنة صغيرة كانت أم كبيرة؟ هل لهذا علاقة بعدم اتباعي لأي ديانة أي أنني لست متدين؟
 - ابتسم عمر واتخذ وضعية مناسبة ثم بدأ حديثه:
 - آه يا عزيزي بالطبع، فالتدين فطرة ذاتية في النفس الإنسانية ولا يمكن لها العيش السعيد والراحة والطمأنينة والسعادة إلا تحت ظله، فالدين استمر يرافق البشرية في أطوار حياتها، ولم تقم حضارة ولا أسست مدينة ولا نهضت أمة إلا من وراء عقيدة دينية
 - حسناً يا عمر ... لماذا تعتقد أنك الأفضل؟ فهناك العديد من الدعوات الإلحادية والتي نجح بعضها في استلام السلطة وإقامة الدول على أساس الإلحاد والعلمانية، وكانت تتجلى بالتقدم العلمي ومعطيات الحضارة والإنتاج الصناعي الحديث والتقنية

الفنية والمكتشفات العظيمة والاختراعات المتلاحقة، والوسائل المتعددة التي يسخرها الإنسان في حياته ومواصلاته، وتزِيل عنه متاعب الماضي في مختلف اتجاهات الحياة

- إن هذه الدعوات أخذت على نفسها محاربة الأديان بدون تمييز بين دين ودين، وكونت عن الأديان فكرة سوداوية قاتمة وأصدرت عنها شبهات داكنة في مبادئها وأحكامها واستغلت التاريخ الأسود عن بعض حقب التاريخ للأديان وأظهرته للناس، كما نشرت الجانب المظلم للأديان الفاسدة الباطلة الوضعية، وحملت وزره إلى الدين بشكل عام ورسمت للدين صورة مصطنعة اصطناعاً تعلوها الرتوش الشيطانية والهندسة الخيالية وتحمل شارة الاستيراد من الخارج، مع كونها صورة بتراء لبعض الأفكار الدينية المحرّفة أو العصور المظلمة وقرنت بهذا صورة لماعة براءة تتجلى بالتقدم العلمي وكل ما ذكرته أنت قبل قليل

- لكنهم استندوا على أدلة، فصحيح انهم قالوا إن الدين والتدين ظاهرة سيئة وعلامة على التخلف وهو سبب البلاء والتأخر والجمود في كثير من البلدان، فهم استدلوا على ذلك بأنهم أصبحوا في عصر المدنية والحضارة، وأن العلم أساس كل شيء ويحقق للإنسانية كل شيء ويحل - بل يجب أن يحل - محل الدين

- إن هذه يا صاح بعض مظاهر الدين المرضية عبر التاريخ وكانت النتائج المترتبة عليها متفاوتة فقد قضت على كثير من الأديان الباطلة، والأفكار السخيفة والطقوس الفارغة كما قوضت دعائم رجال الدين في الظلم والاستغلال والاستبداد باسم الدين، ووضعت حداً للشذوذ والانحراف الذي وصل إليه بعض رجال الدين، بينما كانت هذه الظاهرة المرضية دواء ناجعاً للصحة

الدينية في أماكن أخرى ودفعت للتفتيش والبحث عن الدين الحق، والقيم الدينية الصحيحة وظل الدين الحق عند الأفراد والشعوب كوكباً درياً ومصباحاً مضيئاً وأملاً ساطعاً وبقيت وظيفة الدين ناجحة ومحقة للسعادة ومؤمنة لمصالح الفرد والمجتمع بمقدار صحة الدين وبنسبة سلامة عقائده وقيمه ومبادئه، وتدرجت النتائج في أنحاء الأرض بين هذا وذاك سحب جاد نفس عميقاً وأخرجه بترو ثم تابع:

- وما قولك عن تلك الجماعات والمنظمات والتي تتبع إحدى الديانات أشد اتباع لكنها تقتل وتظلم وتنهب وتعيث فساداً في الأرض؟

- معك حق في هذا ... فقد ظهرت بالفعل جماعات كثيرة تؤمن بالدين لكنها تأخذ بعضه وتهمل بعضه الآخر فتطبق بعض أحكامه وتتخلى عن بعضها، تسلخ من الدين ما تشاء من الفروع بما يتوافق مع أهوائها وميولها فتلتزم به، وتدير ظهرها لما تشاء منه، فتمزق الدين شر ممزق ثم تلجأ إلى أديان أخرى أو فلسفات فكرية أو قوانين وضعية لتستورد منها ما تشاء وترقع بها التمزيق والتغرات بدون تنسيق ولا انسجام ليصبح المنظر مقرفاً والثوب مرقعاً والصورة مخزية والهيكل غريب عن أهله وعن غير أهله، ويصدق على هذا قول الله تعالى في القرآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ((أَقْتُوْمِنُوْنَ يَبْغِضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُوْنَ يَبْغِضُ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُرَدُّوْنَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَفْعَلُوْنَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)) صدق الله العظيم

وبعد كل هذا النقاش اصطبغت وجنتي جاد ببعض الحمرة ثم قال بنبرة محايد:

- وما دليلك على وجود الله؟

تجلت صدمة حقيقة ملامح عمر، فصمت قليلاً إلا أنه استطرد بعد قليل بالنبرة المقنعة ذاتها:

- للاعتراف والإقرار بالألوهية والربوبية (للتأكد من وجود الله) عليك التفكير بهذه البواعث العلمية الخمسة؛ أولاً: التطلع إلى الغيب، فلتعود بالتأمل في المسائل الأزلية: لم خلق الإنسان؟ من خلقه؟ لم خلق الكون؟ من خلقه؟ وما هو مبدأ الإنسان؟ وما هي غايته وأهدافه؟ وإلى أين يسير؟ وما هي نهاية الكون؟ وما هو مصير الإنسان؟ وماذا بعد الموت؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تدفع بالإيمان بالله، وهذا التطلع والتأمل في القضايا الغيبية كان ولا زال الشغل الشاغل للإنسان فمهما تقدمت الاكتشافات وترقى العلم يبقى العلم عاجز قطعاً عن الإجابة عن هذه الأسئلة وأنه مقيد بكشف نواميس الكون دون أن يغير منها شيئاً، وأن مجاله محدد في النواحي المادية التي وضعت تحت حواسه.

ثانياً: العجز في الإنسان وحاجته إلى قوة جبارة تنقذه من المهالك وتخرجه من المآزق وتقدم له العون عند الحاجة، وهذا العجز موجود في كل نفس ويلمسه الإنسان في نفسه ويسمعه من غيره، فهذا الإحساس النفسي الباطني في عجز الإنسان فهناك أمور دقيقة لا مهرب منها لكل فرد من إقراره بالعجز والتجائه إلى القوى الغيبية الخالقة المبدعة التي تتصرف في الكون، فيلجأ إليها لتنقذه من المهالك ويستنجد بها في أحلك الظروف للنجاة.

ابتسم جاد ابتسامة متعبة كثيبة، ثم حرك رأسه حائثاً عمر على المتابعة:
 - ثالثاً: الإحساس بالرهبة أمام هذا الكون العظيم وما يجري فيه مما يحرك أحاسيس الإنسان ويوقظ مداركه ويدفع عقله لبحث عن خالق الكون فيأنس به ويطمئن قلبه عنده ويهدأ روعه وخوفه ويأمن جانبه ويعقد أواصر التقرب له، ثم يقدم له الطاعة والعبادة لعظمته وهذا هو الدين
 قطب جاد حاجبيه ثم قال بينما يقلب الفكرة برأسه:

- لكن هذه الرهبة كانت في القديم، فأثارت نفس الإنسان البدائي فاندفع إلى التدين ليأمن من خوف الطبيعة والكون، واليوم لا نحس بذلك ولا نلمسه في النفس الإنسانية وبالتالي لا حاجة للدين اليوم

لوى عمر شفثيه باستياء ثم قال بغیظ:

- إن هذا الإحساس بالرهبة كان ولا يزال وسيبقى، لأنه نتيجة حتمية للعجز الذي يتركب منه الإنسان بفطرته وملكاته وإمكانياته، ولكن هذه الرغبة تغيرت بواعثها؛ ففي القديم خاف الإنسان من خسوف القمر وكسوف الشمس وأصابته الرهبة من الرياح والأعاصير والعواصف ووقف يرتجف من بعض الحيوانات المفترسة والوحوش الكاسرة، وخشي من القحط والجذب وقلة المطر وجفاف الأنهار... أما بواعث الرهبة اليوم فلم تقتصر على ما سبق، وإنما تتحقق في نفوس العلماء الذين وصلوا الليل بالنهار، كل في اختصاصه ثم وصلوا إلى الطريق المسدود ووقفت الوسائل وعجز العلم أمام اللغز المحير، وأدرك كل عالم أن وراء كل هذا قوة كاملة وإرادة منظمة وعقلا واعيا وعظمة مطلقة، مثل تفجير الذرة ومرض السرطان وبقيّة الأمراض المستعصية ومعرفة تركيب العين والسر في انسجام أعضاء

الإنسان ولفظ الأعضاء الأجنبية عند نقل الكلية أو القلب،
والصبغيات في تكوين الجنين، والخلايا في المخ والدماغ
وعصب العين ... وكل هذا يقودنا إلى أن الكائن المخلوق يسير
على نسق لا يستطيع العلم تغييره ولا تبديله، مثل تكوين
الأمطار وهطولها، مع العجز عن تغيير نظامها، وتبديل الأمطار
الشتوية إلى صيفية، والموسمية إلى فصلية، ونقل الأمطار
والطوفان من آسيا لأوروبا لتخفيف الجفاف فيها، وأنا لا أجزم أن
العلم اكتشف تركيب الماء والهواء لكن هل غير من تركيبهما؟
وهل أوجد شيئاً من العدم؟، كما بذل البشر ملايين الملايين
للوصول إلى القمر والمريخ ولكن هل غيروا من نظامهما؟ وهل
عدلوا من سرهما ولو مثقال ذرة؟؟؟

تنحج جاد في جلسته ثم همس:

- لا بالطبع ... أكمل من فضلك، ما هما الدليلان الرابع والخامس؟
- ابتسم عمر بعد أن زال عنه الغضب والغيط ثم أردف بهدوء أكثر:
- رابعاً: الموت الذي يردع الأحياء ويهزههم إلى الأعماق، وينبه فيهم
القوى المعطلة والأجهزة المتجمدة والإحساس المخدر، ويزيل
من أمامهم الحجب ويكشف لهم الطريق ويذهب الغبش عن
العين فيصحوا الإنسان لنفسه ويتفكر في حياته ويبحث عن
الهدف من الحياة، ويستطلع ما بعد الموت ويدرك تماماً قيمة
الحياة الآخرة وتفاهة الدنيا، وأنها متاع قليل وأن الكمال الحقيقي
الذي يتفق مع تكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات
أن تكون نفسه وروحه باقية بعد الموت، وأن لها حياة أخرى بعد
هذه الحياة يلتقي فيها الأحبة والخلائن، وفيها يحاسب الإنسان
على عمله، لتحقق العدالة المطلقة.

صمت عمر، ثم شرب قليلا من الماء وانحنى على الوراء ليرتاح قليلا على الأريكة الوثيرة، فأعطاه جاد بعض الحرية إلا أنه هتف بعد نفاذ صبره القليل المتبقي:

- إيـه! وخامسا؟! ألن تتابع ما بدأت به؟

ضحك عمر باستمتاع ثم أيده برأسه بخفة وتابع:

- وخامسا وأخيرا يا جاد العزيز هو التأمل في نظام الكون وأجزائه والتفكر في المخلوقات بدء من الإنسان وتكوينه وأعضائه وأجهزته، وانتهاء بالنجوم والمجرات وطبقات الأرض ... وكلما تقدم العلم ووقف العلماء مبهورين ومبهوتين من عظمة هذا الكون ونظامه الدقيق، ليقفوا بكل خشوع وإجلال وتذلل أمام القدرة الخالقة المكونة، وهذا انتقال من المخلوق إلى الخالق، ومن المصنوع إلى الصانع، ومن الطبيعة إلى مكوناتها وبنائها، مما يقتضيه العقل ويسوق إلى التفكير في أدق الأمور وأجلها، وفي أحقر الأشياء وأعظمها، وكما قال الإعرابي: أثر الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج، ألا تدل على العليم الخبير؟

ختم عمر كلامه هنا ... فتنهد بقوة ثم تجرّع كأس الماء التي كانت على الطاولة أمامه بأكملها وأخيراً نظر إلى صديقه مبتسماً وهو يقول:

- هل اقتنعت أخيرا يا صديقي؟

ابتسم جاد بدوره وقال:

- أظن هذا ... لكن دعني أفكر ملياً قبل اتخاذي الخطوة التالية

هرش عمر مقدمة رأسه ثم قال:

- حسنا، لكنني أتمنى ألا يطول تفكيرك مثلما طال في المرات

الماضية وتغافلت عن الموضوع

شعر جاد بالحرص فضحك بتثاقل ثم همس لينهي الحوار بطريقة ودية:

- هـيـا ... أنا أدعوكم جميعاً إلى الغداء في مطعم صديق والدي، فهو ليس بعيد عن المنزل البتة، ولا أخفيكم أن الجوع بدأ بفتك بي بعد هذا النقاش الطويل لكز عمر كتفه بمرفقه بخفة، ثم قال مداعباً:
- يبدو أنك استعملت ذهنك بطريقة رائعة أثناء نقاشنا! ... وهذا يفسر جوعك!

الفصل الرابع

تشابك الخيوط

21

الأحداث تتصاعد!

ندى

أنا شخصيا لا أحب المماطلة في أي عمل، لكنني وبعد كل الذي حصل لي أصبحت مترددة قليلا وأخشى المواجهة، فأنا الآن لا أعلم ما الذي أريده حقا! ففي ذهني الكثير من الأشياء التي أنوي القيام بها إلا أنني لا أعلم من أين أبدأ وكيف أحلها جميعا...

آه ما بك يا ندى؟؟ حسنا ... حسنا، لماذا لا أبدأ بالمهمة الإنسانية التي تقع على عاتقي ألا وهي جمع ولد - أو لنقل رجل - عنيد لا مبالي بأمه الحنون؟، لكن كيف؟ أظنني سأعلم عندما يحدث نجوى بلا شك... انتظرت عودتها من عند صديقتها ثم جلست معها لنحتسي الشاي سويا، وهنا خاطبتها:

- صحيح أنك أخبرتني أن ابنك قيس هجرك منذ زمن ولم يعد يعترف بك كأم له إلا أنك لم تقولي لماذا أو كيف طالعتني ارتسمت الدهشة على ملامحها ثم سألت بشك:

- وما الذي دعاك لتذكر هذا الآن؟ حسبتك نسيت قصته منذ زمن! شعرت بالحيرة، لكنني قلت لها بجمود:

- لا لم أنسى ... إن فضولي يدفعني للسؤال فقط لا غير

- آها

استمر صمتها فقلت بلا مبالاة ممزوجة باحترام كبير:

- إن كنت لا تودين الحديث بخصوص هذا الموضوع ثانية فكما تشائين، وأنا اعتذر بشدة إن أزعجتك

تبدلت ملامحها فجأة، وبدت لي وكأنها ستبكي إلا أنها قالت بهدوء لا يتوافق البتة مع حالتها:

- ليس الأمر كذلك يا ابنتي، إلا أن ذكر هذا الموضوع بالذات يشعرنني بالانهيار
- إذا ستحكين؟

قذفت عبارتي بترقب فأجابت على الفور بنبرة تخللها كم وفيير من الحقد والكراهية!:

- أتعلمين ما الشيء الأكبر الذي يؤدي الأم؟ أكثر من أي شيء آخر يا ندى؟، بالتأكيد لا، فمهما كنت حنونا وعطوفة إلا أنك لست أمّاً ثم أضافت بشيء من السخرية!:

- مثلي ... أنا، إن نجوى التي أمامك لم تبخل على ابنها بشيء قط، فقد قدمت له كل الذي استطعت مذ ولد، حاولت أن أشعره بأنه كغيره من الأطفال ولم أجعله يحتاج أي مال، فلقد وفرت له كل شيء بتعبى وعرق جبينى ... إضافة إلى سهر الليالي عند مرضه وإطعامه وسقايته وتهديته وتأمين كل وسائل الترفيه والراحة له وأخيراً إعطائه جزء من جسدي، آه! أنا لا أتبجح بهذا بالتأكيد فكل هذا يعتبر واجبي، إلا أنني لم أكن أتوقع أن يتخلى عني بكل تلك البساطة والسبب ... آه لست أقوى على البوح به، يا إلهي لقد كان أمرا شنيعا منه فعلاً

هممت بالحديث إلا أنها لم تفسح المجال لي أو بالأحرى ظننت حينها أنها كانت تخاطب نفسها إذ أكملت بصوت واهن:

- ليتني لم أساعده وأؤمن له كل النفقات والمستلزمات اللازمة لإقامة ذلك العرس، لكنني كنت وكأني أم سأفرح بالتأكيد لأن ابني سيتزوج! ولم لا!، ومع أنني لم أتوافق أبداً مع المرأة التي سيتزوجها إلا أنني وافقت على مضمض..

وبعد هذا الزواج بفترة وجيزة انقلب قيس رأساً على عقب ثم سافر معها دون سابق إنذار على أساس أنهما سيمضيان شهر العسل في لندن كما أعلمني قبل يوم من سفره، لكن شهر العسل هذا طال كثيراً ليصبح سنة والسنة تمتد لتصبح سنتان وهكذا، حاولت تفسير ذلك بطرق شتى ومنعت نفسي من الغضب عليه تحت أي ظرف، لكنني كنت في طريقي إلى الشبخوخة وبدأت أتعب كثيراً وأشعر بالإرهاق عند قيامي بأي عمل لذلك تقاعدت وجلست في المنزل وهنا صرت أحتاج المال بحق ... فنفقات المنزل يجب تسديدها حتى ولو كنت وحدي، وهكذا حادثته وطلبت منه أن يخصص لي مبلغاً من المال يعطيني إياه كل شهر فوافق مبدياً وبدأ ينفذ ما اتفقنا عليه، إلا أن زوجته بدأت تضغط عليه أكثر وتتوعده وتهدهه بأنها ستغادر المنزل للأبد وتترك طفله حديث الولادة دون اكتراث، فاضطر للإحجام عن مساعدتي، وكما هي عادتي تقبلت الأمر بعد حزن واكتئاب داما لبعض الوقت وبدأت أعمل في المنزل في الحياكة والتصميم لكي أكسب قوت يومي، المهم ... أتت الأيام وكنت كعادتي أرسل له رسالة نصية من يوم لآخر لكي أطمأن عليه ... تكررت رسائلي وجاء العيد فبعثت له تهنئة وفي ذكرى ولادته أرسلت له معايدة أيضاً إلا أنه لم يرد علي البتة ولا بحرف واحد... كنت قد اتخذت قراري هنا ... هذا الولد يجب أن أنساه كما نساني مهما عانيت من صعاب ومهما تعذبت فهو تخلي عني ببساطة فكيف لا أفعل أنا؟!!

إلا أنني لم أستطع فبعد سنتين تقريبا أتاني خبر أنه هنا في باريس يعمل في إحدى الشركات المرموقة لبيع العقارات

وشرائها، المهم وبعد أن جاهدت كثيرا وامتنعت، وجدت نفسي استفسر عن عنوانه ثم ذهبت إليه بقدمي ... آه يا لغبائي!!!!!! نظرت إلي بعينين زائغتين ثم همست من جديد:

- هل تعلمين ماذا فعل؟؟؟ قيس حمد ابن قلبي فلذة كبدي! طردني بوحشية من الشركة وهددني بأنه سيجلب لي رجال الأمن إن لم أغادر على الفور!!! وسيقول لهم... بدأت تبكي بنشيج عال وهي تتابع:

- وسيقول لهم أنني متسولة دائما ما أتردد على الشركة واستمر في مضايقته طلبا للمال!!، تخيلي ... تخيلي ابن يتكلم عن أمه بهذه الطريقة!!! تخيلي! ما الذي فعلته له؟؟؟ لم أظلمه ولم أعامله بقسوة! هل هذا جزاء كل ما فعلت معه؟ لماذا! لماذا فعل هذا بي ... آه يا إلهي!!

حاولت تهدئتها لكنها لم تستمع إلي فقد كانت بحالة يرثى لها!، كانت ترتجف بشدة وتبكي وهي تكمل بغضب ممزوج بقدر كبير من الحزن:

- لقد غسلت يديّ منه أنا الآن أكرهه بشدة ... حتى لو ... حتى لو جاء حتى قدمي وطلب رضاي ... لن أقبل ... لم يعد هذا الشخص ولدي قيس لم يعد ابني يا ندى ... من المستحيل أن ترجع مكانته السابقة مستحيل!!!!!!

لقد انقلبت فكرتي رأسا على عقب!!!

فلقد تيقنت عندها أنه لا مجال للإصلاح البتة، فكل ما فعله ليس هينا بتاتا على قلبها، اقتربت منها أكثر وطمأننتها إلا أن كل قواها خارت أمامي فجأة ... تهاوت على الأرض وبدأت تأن من آلامها، وبصراحة لم أعد أعني ما الذي علي تصرفه!!!!!!

- سيديتي سيديتي نجوى!!

- أجيبيني هل أنت بخير؟؟؟؟

- سأتصل بالإسعاف فوراً!!!
اتصلت بالإسعاف ثم نقلناها إلى المستشفى بكل أسى، ولم أكن أعلم
ما الذي يخبئه لي القدر ... هناك!

أَمَلٌ

آه يومٌ جميل ... فقد هدأت العاصفة وسطعت الشمس! أشعر بالتفاؤل
والنشاط!!!

استيقظت اليوم متحمسة تناولت فطوري على عجل ثم ذهبت إلى
المستشفى، وصلت إلى هناك وبدأت أبحث عن ريم إلا أنني لم أجدها
عاودت البحث من جديد والنتيجة ذاتها!، آه لماذا يختفي الأشخاص في
الوقت الذي نكون به بأمس الحاجة إليهم؟

لمحت أحد الأطباء يمشي على عجل فاستوقفته وسألته بالفرنسية:

- عذرا سيدي ... هل تعلم أين توجد الطيبة ريم ... النحاس؟

- من ريم؟ آه! تلك المرأة حمراء الشعر؟

كانت السيدة مريم قد أعطتني وصفا دقيقا لملاحظها وكان قوله
صحيحا، فسارعت بالرد عليه بحماس:

- نعم ... هي بالذات، أين يمكنني أن أجدها؟

وقف لبرهة يفكر ثم قال وهو يستدير ويكمل سيره:

- ستجدها في غرفة العمليات ... لكن لا تدخل فستكون هذه

حماقة منك، يمكنك انتظارها هنا

تلاشى صوته مع الوقت إلا أن اختفى من أمامي، تنفست الصعداء
وجلست أنتظر وانتظر إلى لمحتها تخرج بصحبة طبيبين، كانت تحدثهم
عن المريض غالبا وتشرح لهم حالته بالتفصيل، وبعدها غادرتهم
فركضت خلفها:

- آنسة ريم ... يا آنسة ريم!
- تلفتت حولها بانزعاج ثم قالت بعد أن لمحتني:
- من أنت؟ وما الذي تريدني مني؟
- ابتسمت بمودة وقلت لها بلطف:
- اسمي أمل الخطيب ... أنا محامية الآنسة جيهان وصديقتها في آن معاً
- أطلقت صيحة دهشة ثم قالت بخجل:
- آه أستاذة أمل! أنا جدّ آسفة لأنني لم أعرفك، لقد سمعت عنك وعن ... عنادك! والآن أراك أمامي، هذا رائع!، امممم قللي لي بماذا أستطيع أن أخدمك؟
- أولاً سأسألك بعض الأسئلة إن لم تمنعني بالطبع ... تفضلي
- من هي المرأة الملازمة لراندا غالباً؟ هل هي سيلين كلوب؟
- آه لا ... لا أظن هذا، إن راندا تصطحب معها إيميلي غالباً
- وكيف تجديهما؟ هل هما متوافقتان؟
- بصراحة ... إنهما تديان للجميع أنهما صديقتان حميمتان لكن إن سألتني أنا فسأؤكد لك أنهما ليستا كذلك، بكل الأحوال بإمكانك رؤيتهما
- ليس الآن ... لأنني أود منك مساعدة أخرى إن أمكن
- وما هي؟
- أريد منك استجوابهن ثلاثتهن طبعاً، راندا إيميلي وسيلين ...
- أسألين حول تفاصيل الحادثة وحاولي مصادقتهن فهذا سيفيدنا كثيراً فقد تخبرك إحداهن بشيء بإمكانه تبرئة جيهان
- وهل سيثقن بي؟ فهن يعلمن أنني صديقة جيهان

- حاولي كسب ثقتهن ... أنا أو من بقدراتك يا ريم وبأنك تستطيعين فعل هذا!
- حسنا ... اتفقنا، فمع أنني لا أحبهن البتة إلا أنني سأفعل هذا من أجل جيهان
- وضعت يدي على كتفها بحنو ثم همست بامتنان:
- شكرا لك عزيزتي ... والآن إلى اللقاء
- رافقتك السلامة
- حُثيت الحُطا وبدأت أمشي والسعادة تغمرني، كم أنت لطيفة يا ريم!، أتمنى أن تستطيعي مساعدتي فتدخلك هذا سيشكل فارقا بلا شك...
- آه!!!!!!!
- صرخت من الألم الذي شعرت به عند اصطدامي بمرأة لم أرها وهي تركض مسرعة، وقفت فوراً ثم تلفظت ببعض عبارات الاعتذار، بينما كانت لا تزال جالسة على الأرض بوضعية ملتوية حيث لم أتمكن من رؤية وجهها، فشعرت بالذنب ومددت لها يد المساعدة
- هات يدك!
- رفعت يدها ببطء ثم نظرت بعيني بعد أن أمسكت يدها ... طالعتها مبهوتة!! مصعوقة!! ومدهوشة!! آه لا أعلم كيف أصف حالتني، تسمرت هي الأخرى في مكانها تنظر إلي، فبدأت أرتجف وأبكي بصوت عالٍ ثم همست بكلمة واحدة وبدهشة عارمة!!!!!!!:
- ندى؟؟؟؟!!!!!!!

جاد

لقد وضعني عمر في بداية الطريق الصحيح على ما أظن، لكن لا ... لا أظنني سأوافق بهذه السرعة، فهل يعقل أن جاد الشاب العاقل يغير كل

آرائه عند سماعه لكلمتين معسولتين من صديقه، آه يا إلهي، ماذا يا "إلهي"؟!...

حسناً فلأكن صادقاً مع نفسي على الأقل ... إذ إنني صرت أوّمن بوجود الله بعد حوارٍ معه، لكنني لن أهزم بهذه السرعة، سأناقشه مجدداً وأجهز له العديد من الأسئلة صعبة الإجابة وسأظل أماطل حتى أقتنع تماماً، لكن ماذا لو كان دفاعي المستमित هذا خاطئ؟ لا لا أظن هذا ... أوه! حسناً ... لا ضير في التجربة، لعلي أزيد " ثقافتي الدينية "!

توجهت إلى مكتبة غرفتي وأخذت منها كتاباً كان قد أعطاني إياه منذ أقل من ثلاثة أيام، وحاولت القراءة به قليلاً لكنني لم أنجذب له، فنحيته جانباً وارتيمت على سريري، آه يا لي من طفل ضائع!!

دخلت جودي الغرفة بهدونها المعتاد طالعتني بنظرة غريبة ثم جلست على طرف السرير ذاته وبدأت تعبت بأصابعها بشيء من التوتر، فقامت وجلست بقربها ثم سألتها بنحو:

- ما بها أختي الحبيبة؟ هل أزعجها أحد؟ إن كان كذلك فسأعلمه الأدب!

نظرت إليّ بقلق ثم سألت متجاهلة كلامي:

- جاد ... هل أنت مقتنع بكلام عمر؟

هكذا إذا!...

- أنت ... ما رأيك؟؟

عيسيت قليلاً ثم قالت بتذمر:

- أنا لم أسألك عن رأيي ... سألتك عن رأيك، أنت! ... رأي توأمي

الذي لا يشبهني البتة

أطلقت ضحكة خفيفة، ثم أمسكت بكلتا يديها وهمست:

- أظن أن كلامه السابق لا غبار عليه، فقد استند إلى أدلة علمية ودينية في آن معا، كما استطاع أيضا الإجابة على معظم الأسئلة التي كانت تحيرني سابقاً
- آه! حسنا
- والآن هل لي أن أسألك عن رأيك؟ ... إن سمحت يا آنستي المحترمة
- طالعتني بسخرية من نبرتي الساخرة ثم قالت:
- أنا لن أبني موقفاً حتى النهاية، ففي المرّة القادمة سأسأله بنفسه وسأرى إن كان سيجيب أم لا
- تعجبت من إصرارها على معرفة تفاصيل دين الإسلام رغم تمسكها الشديد بدينها، لكنني في الوقت ذاته أحسست برغبة ملحة بالتدخين، فأخرجت سيجارة وبدأت أنفث منها الدخان، ثم نظرت إليها فرأيت تغيرا كبيرا في ملامحها إذ قالت بتوسل:
- أرجوك لا أرجوك! ... لا أريدك أن تموت يا جادا! ... لا أريد أن أفقد أخي!!!
- أموت؟!
- نعم ... هذه ستقتلك حتما ... أرجوك لا تفعل يا أخي
- كانت تشير إلى السيجارة وهي تبكي
- لكنني لا أستطيع أن أعيش دونها
- بل تستطيع
- قالتها وقد اشتد بكائها!
- آه!!! حبيبتي جودي! لا لا تبكي
- رمى السيجارة أرضا بقسوة ثم دهستها تحت قدمي، وأردفت:
- لن أفعلها ثانية ... أعدك
- ومن تلك اللحظة بدأت أقلع عن التدخين!!!...

بين ألم الدموع وحرارة الشوق إلى تلك الذكرى ... إلى ذلك اليوم بالضبط!، فمع أن بدايته كانت سيئة جداً لكنه انتهى بطريقة رائعة! حيث أصبح لديها طفل بحاجة للرعاية من حيث لا تحسب!...

كيف كانت بدايته؟ نعم إنها تتذكرها جيداً، فقد طردت من عملها بسبب اتهامها بسرقة بعض المال والأوراق المهمة من إحدىعاملات المرموقات، ولقد كانت تهمة باطلة إلا أنها أفقدتها عملها آنذاك، آه لقد كانت مجرد كذبة!، عضت على شفتها السفلى بحسرة وألم فلقد ساعدت بمثلها وسببت المشاكل لفتاة مسكينة!، إلا أنها لا تستطيع فعل شيء حيال هذا الأمر فلقد انتهت كل شيء، لا لن تلوم نفسها بتاتا فلقد فعلت هذا لسبب وحيد ألا وهو لكي تحمي طفلها البريء، نعم الطفل الذي غدا طفلها في نهاية النهار...

فعندما خرجت من منزلها لتتمشى قليلاً تحت المطر وتواسي نفسها في الوقت ذاته، وجدته أمام حاوية القمامة! مجرد طفل رضيع يبكي بحرقه ولا أحد يراعه أو يهتم به، حملته وحضنته بحنان ثم توجهت به إلى منزلها وحاولت تجفيفه بجدّ ثم أطعمته وظلّت قربه لينام، وفي الأيام التي تلت ذلك اليوم بحثت عن أهله لكنها لم تجد من يهتم بحاله أو يسأل عنه، وهكذا جعلته طفلها الحبيب واشترت له العديد من الحاجيات والألعاب، ثم أتى الخير على وجهه وقبلت في وظيفة جديدة...

وبعد أن كبر أصبحا صديقان مقربان، فكانت تهتم به ويهتم بها وكانا يتعاملان بشكل رائع مع بعضهما البعض!...

وفجأة وبدون أي سابق إنذار يأتي أحدهم ويهددها بأنه سيلقيه حتفه إن لم تتواطأ معه! يا له من أمر فظيع!، ازداد بكائها عندما وصلت إلى تلك النقطة، لكن طفلها دخل إلى الغرفة بوقت لم تكن تتوقعه!:

- إيميــــــــيلي! أتبيكين لا ... لا أرجوك، قول لي لي؛ من أزعجك؟

نظرت إليه بحب ثم همست بصعوبة:
 - ريان حبيبي ... لا تقلق علي ... سأكون بخير
 عانقها بما أوتي من قوة وعطف ثم قال وهو يكفكف دموعها بكفيه
 الصغيرين:
 - حسنا، إذا فلتبتهجي ... لا أطيق رؤيتك تبكين
 ابتسمت رغما عنها ابتسامة واهنة ثم قالت بسرها:
 "لن أتخلى عنك بتلك السهولة ... سأفعل كل شيء تمليه علي راندا
 البغيضة لأبقيك بقربي لا تقلق "

أمل

استغرق التعارف للحظات! لدقائق!، وكأن الوقت قد تجمد عندي،
 استجمعت قواي بصعوبة وسألت بشك:
 - ألسنت أختي؟ أنت ندى الخطيب أليس كذلك؟
 حملقت بوجهي محاولة استيعاب المفاجأة ثم تمتمت بخفوت:
 - نعم انا بذاتها وأنت ... وأنت...
 تلعثمت ولم تكمل جملتها فقلت مغالبة دموعي:
 - أنا أختك أمل التي كادت تموت عندما اختفيت بدون أدنى إنذار
 قالت وهي تحضنني بشدة:
 - أختي!!

تأكدت من ظني ووطنون كل من حولي، نعم!!!!!! إنها أختي! إنها ندى
 الخطيب!! أستطيع أن أراها الآن!، ندى لم تمت! ندى ما زالت حية ترزق!،
 يا إلهي أشعر وكأنني بحلم! ... نظرت إليها ثم همست مجددا بعدما
 لمحت عبراتها التي أوشكت بالهطول:

- لا يعقل أن نظل في هذه الحالة وفي هذا المكان ... هيا فلتستجمعي قواك ... هيا يا حبيبتى مشينا سويا ثم قلت بعد أن هدأت قليلا:
- لكن ... لماذا اختفيت فجأة؟ أين كنت طول هذا الوقت؟ لقد جعلت حياتي وحياة من حولي تنهار، و... كيف أصبحت هنا في فرنسا؟
- ابتسمت بلطف -آه الابتسامة ذاتها! كم اشتقت لها- ثم قالت:
- إنها قصة طويلة جدا، وليس بوسعي شرحها لك الآن فلتصبري يا أختي ... أمل
- حاضر حاضر ... ولماذا أنت في المشفى الآن
- لقد أصيبت السيدة التي أعمل عندها بنوبة قلبية إلا أنها خرجت من مرحلة الخطر الآن والحمد لله، ولقد كنت ذاهبة لإحضار الدواء الذي طلبته الطبيبة فلتذهبي معي ما رأيك؟
- نعم ... أمرك يا حبيبتى، لكن قل لي؛ من هي الطبيبة التي تشرف على حالة السيدة؟
- أظن أن اسمها كان ... ماذا كان؟؟ ... نعم، إن اسمها راندا على الأغلب
- صدرت عني إيماءة اشمئزاز وقطبت حاجبي ثم قلت:
- هكذا إذن! راندا البغيضة!
- ضحكت بخفة ثم قالت:
- ولم كل هذه الحدة؟ أتعرفينها؟
- نظرت إليها بطرف عيني ثم قلت بتهكم مشاكسة لها:
- إنها قصة طويلة جدا، وليس بوسعي شرحها لك الآن فلتصبري يا ندى
- ضحكت مجددا ثم قالت:

- نعم سأصبر بلا شك ... فهناك العديد من الأشياء التي عليك شرحها لي وأولها كيف تحجبتِ
- لكل شيء وقته ... لكن بشرط ألا تختفي مجددا طالعتني بحب ثم همست:
- حسنا ... لن أختفي ... أعدك

- دخلت ندى وأختها سويا إلى غرفة نجوى بعد شرائهما للدواء، طالعتهما نجوى بهدوء تام ثم قالت بتمهل:
- سلمت يداك يا ندى ... ألا تعرفيني بصديقتك؟ نظرت ندى برقة ثم أجابت:
- في الحقيقة ... إنها ليست صديقتي ... بل إنها ... إنهـ... وبلا سابق إنذار علقت الكلمات في حلقها ولم تعد تقوى على إكمالها، مما جعل نجوى تقول بشفقة:
- ما بك يا ابنتي؟
- لم تجبها ندى بل انخرطت في نوبة بكاء صامت، فلقد كانت صدمة هائلة لها بالفعل وكذلك كان الأمر بالنسبة لأمل التي احتضنتها مجددا وشاركتها البكاء فرحا بعودتها!!، وبينما الاختان غائبتان عن العالم في تعارفهما الذي طال كثيرا، همهمت نجوى بحيرة:
- أوه ما الذي يحصل هنا؟؟ ندى أخبريني رجاء ... لقد أقلقنتني تقدمت أمل باتجاه نجوى بعدما مسحت عبراتها بطرف كمها وألقت التحية ثم قالت باحترام:
- أعرفك بنفسي سيدتي ... أنا أمل الخطيب ... أخت ندى الصغرى طالعتها نجوى مبهوتة ثم سألت بشك:
- حقا؟! ... أنت لا تمزحين معي أليس كذلك؟
- ابتسمت أمل بخفة ثم أردفت:

- لا يا سيدتي ... أنا أتكلم بجدية بالغة
أطلقت نجوى ضحكة عذبة زبنة ثم بدأت تبارك لندی بمحبة متناسية
جميع آلامها، مما هداً من روع ندى وجعلها تتماسك قليلاً، فجلست أختها
بقربها وقالت بمرح:

- ابتهجي يا حبيبتي ... واحكي لي كل ما حدث معك من طقطق
إلى السلام

- أتذكرين آخر لقاء لنا؟ كان عندما أقمنا الحفلة، وتعلمين أنني
خرجت بعد نهايتها من دون إعلامك فكنت على موعد مع
صاحب إحدى المزارع الفخمة، وكان قد حدد لي هذا الموعد ولم
يمهلني أبداً وأخبرني بأنه سيؤجرها لغيري إن لم آتي، لذلك
خرجت لكي أقابله غير آبة للظروف المناخية القاسية، وفي
طريقي ... وعلى ذلك الطريق المخيف وبينما كنت أمشي لم
أتفطن لوجود هاوية أمامي مما أدى لسقوطي فيها ثم تمكنت
من الهرب بعدها من سيارتي التي انفجرت ودفعتني فسقطت
مغماً عليّ وبعد هذا بوقت استيقظت ورحت أمشي تائهة في
الطرق فتبينت أحد البيوت وكان بيتاً لرجل عجوز يدعى العم
هشام وتعيش معه ابنته ... المهم أنني تعافيت بعد مساعدتهم
لي وعشت في منزله مع ابنته بريانا، وبعدها تعرض لعوز شديد
للمال ... مما جعلني أريد مساعدته فأمن لي سفري إلى عند
أخته السيدة نجوى لكي أعمل عندها وأكسب المال وكنت أبعث
له المال الذي أحصل عليه نتيجة عملي

أطلقت نجوى ضحكة خفيفة ثم حركت رأسها مؤيدة لها:
- آه! ... وبعد فترة طويلة بدأت أستعيد ذاكرتي إلى أن استرجعت
كافة ذكريات...

شهرت أمل بلوعة ثم سألت:

- فقدت ذاكرتك؟؟؟؟!! و ... كيف ... هذا؟
- يبدو أنني نسيت أن أخبرك ... إن هذا الحادث قام بمحي جميع ذكرياتي يا عزيزتي
- ابتسمت أمل بمرارة وهمست:
- هكذا إذا!!!
- نعم بالضبط ... وأخيرا التقيت بك وانتهت قصة الأميرة هنا قالتها بلهجة مسرحية، فقصت عليها أختها معاناة الجميع بعد فقدانها، وكم استمروا بالبحث عنها، وحكت لها أيضا عن عرسها وعن آدم وعائلته
- هنت عليك يا أمل ... تقيمين عرسك بدون أختك الكبرى، يا للفضيحة!! عليك إقامة عرس آخر ... هذا أمر لا مفر منه!
- كوني معي ولن أعمل عرس واحد بل سأقيم كل أعراس الدنيا
- أوه حبيبتى!!
- تريثت أمل قليلاً إلى أن قالت:
- لكن يا ندى ... هناك شيء آخر عليك معرفته
- خيراً! أحدث لأحد أي مكروه؟؟
- جيهان ... متهمة بجريمة، لكنها بريئة منها تماما
- حصرت ندى أفكارها لتتأكد من هوية جيهان ولم تلبث إلا أن صرخت بعدما تذكرت صديقتها الحميمة:
- ماذا!!! هذا أمر لا يصدق! و ... كيف حدث هذا؟
- قصت أمل عليها ما حصل مع صديقتها باقتضاب وعند إنهاؤها القصة تصاعد زنين هاتفاها:
- ألو نعم ... أهلا ريم ... أخبريني كيف تسير الأمور عندك؟
- أه حقا؟؟
- حسن ... لا ذنب لك بهذا، لقد كسبنا شرف المحاولة على الأقل
- حسنا إلى اللقاء

أنهت المكالمة بأسى فالتفتت إليها ندى وسألتها:

- ما الأمر؟
- كنت قد طلبت من إحدى صديقات جيهان أن تستجوب الأشخاص الذين أعتقد أن أحدهم قد ساهم في تلفيق التهم ضد جيهان، لكنها ومع الأسف تلقت منهم صدًا كبيرًا وتعنيفًا! آه يا للحظ السيء
- فكرت قليلًا ثم قالت بجديّة:
- لا تقلقي ... فلتعطني زمام الأمور ولن يحصل إلا الخير ... هناك شيء آخر ... فلتكلمي أمر رؤيتك لي حاليا

22

مفاوضات

- لقد عرف آدم كيف تُؤكل الكتف ... طوبى لي بابن كهذا!
- لم يرد عليها بل ظل يصرّ على صمته وتجهمه، فنظرت إليه بانزعاج واضح ثم أردفت بعد ملاحظتها لازدياد عبوسه:
- ما بك يا رجل! فلتفك التكشيرة، فمنذ مدة وآدم يفعل كل ما في استطاعته ليرضيك ويدخل السعادة إلى قلبك، وأنت تتجاهله وتغلق السبل في وجهه رغم كل محاولته!
- تجاهلها للمرة الثانية على التوالي، فحاولت أن تلين أكثر وهي تخاطبه:
- عبد الحميد ... جميعنا نعلم أنه لا يوجد أي داع لمثل هذه التصرفات، فأدم لم يفعل أي شيء خاطئ، كل ما في الأمر أنه أمّن سفر زوجته لكي تساعد صديقتها وأيضاً ... لكي تجد أختها ندى فقد قيل لها من مصادر موثوقة أنها ما تزال حية ترزق صممت قليلاً عندما رأت تغير ملامح وجهه واكتسابها لبعض الدهشة، لكنها ما لبثت أن استطردت:
- وهذا ما يجعل أمر سفرها ضرورياً، وأنت تعلم أن ابنك منهمك بالعمل حتى النخاع ولا يمكنه السفر معها، لذلك سافرت وحيدة آه أعانها الله على تلك الوحدة وصبر قلبها ... المهم الآن؛ لا تجعل جهود ابنك تضيع سدى فلتقبل الدعوة والتي أعلم مسبقاً أنها من الدعوات التي يجبها قلبك
- ابتسمت أكثر وهي تقول:
- ولم لا تكون هكذا؟ ماء وخضرة تملأ ذلك المتنزه الجميل

- ثم تابعت بغرور لم يتلاءم مع سننها المخضرة قط:
- ولا ننسى الوجه الحسن بالتأكيد
 - أفلتت عنه ضحكة فحاول كتمها ليبقي اترانه إلا أنه لم ينجح، ثم صمت قليلا وكأنه يعيد ترتيب حساباته ثم قال:
 - يعني ... أنت تودين أن أقبل دعوته يا حنان أليس كذلك؟
 - بالطبع هو كذلك
 - حسنا إذا ... فلتخبريه أنني وافقت على مضمض زفرت بحق لم تستطع إخفاؤه ثم قالت بتهمك:
 - لا ... أنا لن أخبره أيها الزوج العزيز، ستخبره بنفسك وستنهي المشكلة ... لا يوجد أفضل من هذا
 - آه! أتريدين منى...
 - قطع بداية شجارهما طرق خفيف على الباب، فحاولت حنان الاسترخاء ثم ردت:
 - تفضل
 - دخل آدم إلى الغرفة بهدوء ... ألقى نظرة خاطفة على والده ثم قال مخاطبا لها:
 - هل ستذهبون أم لا؟ فعلي تثبيت الحجز والموعد نظرت إليه وابتسامتها الهادئة تزين ثغرها ثم قالت بصوت عال:
 - فلتسأل والدك يا آدم
 - نظر إليها متعجبا من مبادرتها الغريبة، لكنها أومأت إليه برأسها بخفة مشجعة إيّاه، فتنفس الصعداء ثم سأل أباه بلين:
 - هل يرغب أبي العزيز بقبول دعوتي المتواضعة تلك؟؟
 - نظر إليه بحدة وجمود، لكن سرعان ما تبخرا حين قال بمرح لم يكن متوقع البتة:

- الضغط الكبير الذي يسببه لي العمل، والنق المتواصل في البيت ... آه أظن أنه سيكون أمر جيد إن استطعت التهرب منهما لبعض الوقت، وذلك المكان مناسب تماما للاستجمام، لذلك أظن بأنني سأقبل دعوتك ... مع أن مصادر النق ستظل موجودة لكنها ليست مزعجة تماما

اصطنعت حنان الغضب ثم جلست على الأريكة بامتعاض، بينما هب آدم يقبل يد والده بحب جم، فقام عبد الحميد بإبعادها بشيء من التواضع ثم عانق ابنه على الفور وهنا همس له:

- جعل الله سعادتك دائمة يا غالي ... أنت أفضل أب حظيت به على الإطلاق

فقال عبد الحميد ضاحكا:

- كم عدد الآباء الذين حصلت عليهم حتى أكون أنا أفضلهم؟!

شاركه آدم الضحك بجذل مع أنها لم تكن طرفة مضحكة البتة!!

ندى

أخذت حماما سريعا ثم خرجت على عجل لأنتقي ملابس تناسبني كـ"فرنسية"، وضعت العديد مما اشتريته على سرير غرفتي المؤقتة في منزل السيدة نجوى وحاولت الاختيار لكنني كنت محتارة بشدة ولأول مرة، دخلت أختي أمل الغرفة ذاتها وارتمت على الكرسي المقابل لمكتبي وهي تتحدث بعصبية ممزوجة بكم هائل من البراءة:

- آه ليتني لم أترك شقتي التي استأجرتها لمدة قصيرة وآتي

للعيش معكم! فالجو هنا خانق بشدة والحر لا يطاق!

أطلقت ضحكة مسموعة وأنا أقلب الملابس...

- ماذا تفعلين يا ندى؟

قالتها بفضول وهي تقترب مني، فقلت لها بحماس:

- إن متحريتك السرية الخاصة ندى الخطيب تحاول اختيار ملابس مناسبة من أجل لقائها السري الأول
- آها! هكذا إذن، تعالي لأساعدك

بدأت بإعطائي التعليمات التي بدت لها مناسبة!، بينما أطيعها بصبر

- قفي بهذا الشكل، حسنا والآن خذي هذا و... هذا وأظن أيضا أن هذا الحذاء يفي بالغرض، آه ما أجمل تلك الحقيبة هنا! فلتعلقها على كتفك بهذا الشكل بعد ارتدائك للملابس، هيا لا تقفي جامدة! تحركي والبسي بسرعة

عدت بعد قليل وأنا ارتدي فستان مخملي على شكل طبقات - وكان أنيقاً للغاية - ثم ارتديت حذاءً أبيضاً ووضعت الحقيبة التي أحببتها أمل وأخيرا لبست سوارا رقيقاً من الفضة وعليه بعض الماسات وأيضا قلادة جميلة وأقراطاً طويلة متلألئة في نهاية كل واحدة منها قلب لامع صغير، وعندما هممت بالخروج نظرت إلى أختي وقلت لها بأسى:

- هل تعتقدين أنه مازال بإمكانني الخروج هكذا بعدما تذكرت أنني كنت محجبة؟

طالعتني بشفقة وهي تجيب:

- لا عليك يا ندى ... ستعاودين لبس الحجاب بعد انتهاء هذه القضية بالتأكيد

ثم أضافت بمرح:

- وسأقيم لك حفلا إن وعدتني بالأا تختفي عندما تحين نهايته ابتسمت برضا تام ثم تواريت عن أنظارها...

كاد يفقد عقله من شدة الألم!، فلم تكن محاولة طيبة أبدا أن يترك التدخين دفعة واحدة ... فعادة ما يحتاج أي شخص مدمن على شيء ما

إلى فترة لكي يقلع عنه حيث يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يستطيع التخلي عنه بأقل ألم..

لم يعد يقوى على التحمل، فقد صارت الرعشة تلازمه دائماً إضافة إلى الصداع الشديد ... حاول الصبر والمكافحة لكنه فشل في ذلك اليوم خصيصاً!، أمسك علبة السجائر ليلتقط منها واحدة بسرية تامة بعيداً عن عيني جودي، لكنه أحس بوخز الضمير وعادت له صورة جودي وهي تنشج أمام قدميه " لا أريد لأخي أن يموت "، أحس بغضب وحنق شديدين عندما تبين له مدى عجزه فأمسك بالعلبة ورمها بعيداً فأصابته تحفة زجاجية من على مكتبه وأدت إلى وقوعها وتحطمها إلى أشلاء وهنا نظر بدهشة ثم غمغم...

- لا لا لا!!

وتابع وهو يصرخ:

- لقد كانت الهدية الوحيدة من والدي والتي تلقيتها عندما أتقنت

القيادة، آه ماذا فعلت أيها الأحمق!! ماذا فعلت أيها اللعين!!!!

راح يخاطب نفسه بأقبح الألفاظ ثم فقد السيطرة على تصرفاته فبدأ يضرب جبهته بالحائط بعنف إلى أن أحدث خدشاً جلياً على طرفها الأيسر لكنه لم يأبه وبدأ يلکم الحائط وكأنه يحاول إفراغ كل حزن سبق وتجمع بقلبه، لكنه توقف بذهول حين سمع صراخ أخته:

- كففى!!!!!!

صارت جودي متزنة تماماً ولم تعد تلك النوبة ترافقها بعد أن شغلت بمسألة عمر والدين، تقدمت نحو جاد وهي تحدق إليه بفزع ثم قالت بغضب جم:

- ما الذي دهاك يا هذا؟؟ ماذا تفعل بنفسك؟ أجننت!!

نظر إليها بعيون مذبذبة ثم أشاح بوجهه عنها وهو يهمس:

- أرجوك يا جودي ابتعدي عني ... فأنا لا أستطيع السيطرة على نفسي

أخرجت منديلا كان بجيبها وبدأت تمسح الدم الذي سال من طرف جبهته متجاهلة كلامه كل التجاهل، فقد كانت تدرك أن كل هذا بسبب امتناعه عن التدخين، وضعت يده بقوة على المنديل وأمرته بالضغط عليه لكنها لاحظت ارتجاف يده الشديد فصاحت بغیظ:

- تباً للسجائر ولمن صنعها!!! أيمن أن تتحكم بشخص وتجره إلى حالة كهذه!

عاد له وعيه عندما رآها تصرخ وتتكلم، نعم لقد تأكد من ظنونه إنها تخاف عليه بدرجة كبيرة للغاية!، فلقد خلف ذلك الحادث في نفسها شرخا كبيرا يصعب إصلاحه فعلى الرغم من تظاهرها بالنسيان والفرح إلا أنها ما زالت تضمّر في نفسها حزن لا يستطيع تحمله أحد، ولم تجد وسيلة للتعبير عن هذا إلا بالاهتمام الدائم بأخيها ومرافقته كظله حفاظا على سلامته!...

زفرت بهدوء ثم قالت له بذات اللهجة الآمرة:

- حسنا ... فلتتردي ملابسك على عجل، سنذهب إلى عند طبيب العائلة لعله يقدم لنا بعض النصائح لكي تستطيع التغلب على الأمر

لم تنتظر موافقته بل خرجت على الفور وارتدت ملابسها، ثم ذهبوا سويا إلى عند الطبيب وبعد أن حان موعدهما دخلا بتمهل وجلسا على كرسيين متجاورين أمام كرسي الطبيب الذي كان منهمك بمطالعة اختبار ما، وبعد الانتظار لدقيقتان تقريبا نحى الورقة جانبا وقال بلين:

- جاد ... جودي أهلا بكما، كيف حالكما هل أنتما بخير؟

ترك جاد الرد لأخته فما لبثت إلا أن قالت بامتنان:

- نحن بخير ... شكرا على سؤالك

تنحج الطيب في جلسته ثم سحب نفسا عميقا وقال باهتمام:
 - لقد أخبرتني يا جاد أنك هنا للاستشارة، قل لي ما الذي يشغل
 بالك؟

حاول جاد استعادة رباطة جأشه وقال بروية:

- دكتور أدهم ... أنت تعلم بأنني كنت أدخن فيما مضى لكنني الآن
 وعدت أختي بأن أقلع عن التدخين، وقد مضى يومين لم أدخن
 فيهما أبدا لكنني لم أعد أستطع الامتناع أكثر فلقد صار الصداق
 ملازما لي إضافة إلى الرعشة التي تجتاح جسدي ... والعنف!
 - آه هكذا إذن!!، حسنا فلتجب على بعض الأسئلة، أولا: هل
 انقطعت بالتدريج؟ أم دفعة واحدة؟
 - عفوا!!

- يعني ... هل قلصت عدد السجائر التي تدخنها لتصبح لا شيء أم
 انقطعت عنها كليا في الوقت نفسه؟
 - لا لم أعد أدخن بشكل قطعي ... تنفيذا لوعد قطعه لأختي
 أطلق الدكتور أدهم ضحكة عالية، ثم قال:
 - مسيطرة!!!

وبعدها استطرد بجدية:

- حسنا ... لننتقل إلى السؤال التالي؛ كم سيجارة تدخن في اليوم؟
 ألقى نظرة جانبية متفحصة على أخته ثم قال بجرح:
 - بصراحة لم أكن أدخن الكثير من قبل لكن ... عندما توفي والدي
 صرت أستأنس به وأنسى همومي في الوقت الذي استزيد منه،
 يعني بالمختصر المفيد أنا الآن أدخن في كل يوم حوالي الثلاثين
 سيجارة
 - أوه!!!!!!

- وتود ألا يحدث هذا معك!، من الجيد أن الأمر كان مجرد صداع وأشياء بسيطة أخرى، المهم الآن ستبدأ بالتدريج وستقلص العدد مع الأيام

- حسنا

- يبدو أن نقطة ما فاتتك لذا دعني أشرحها لك، التدخين يا عزيزي غالبا ما يكون عبارة عن "عادة" فأنت تدخن لأنك اعتدت التدخين بعد ممارستك له لمدة زمنية طويلة، وكل عادة تتكون من ثلاث مراحل؛ أولا الإشارة وهي الشيء الذي يراه عقلك أو يسمعه أو يستشعره بشكل ما، وهي تعبر بالنسبة للعقل اللاواعي عن بداية العادة فمثلا إن كنت دائما تدخن بعد انتهائك من تناول وجبة ما أو مشروب ما فسيلح عليك عقلك اللاواعي لكي تدخن دائما في تلك الفترة وهنا الوجبة أو المشروب تعد "الإشارة" لتلك العادة، كما توجد إشارات أقوى كأن ترى علبة سجائر، أو شخصا مدخنا أو أن تشم رائحة التبغ فيلح عليك عقلك مجددا - وبشكل رهيب- لكي تدخن، أو مثلا البيئة المحيطة بك فهناك بعض الأماكن تكون في أغلب الأوقات تدخن بها أو تكون هي مخصصة للتدخين، لذلك إن كنت تدخن بسبب تلك الإشارات فعليك أن تتخلص منها، كأن تستبدل المشروب أو الوجبة وتبعد عن ناظريك كل ما يتعلّق بالتدخين ولا تخالط الأشخاص المدخنين وتغيّر البيئة المحيطة بك، وصدّقني ستكون قد حققت إنجازاً هاماً

- وما المرحلة الثانية؟

- المرحلة الثانية هي العادة أو السلوك الذي تقوم به حالما تتلقى الإشارة، أما المرحلة الثالثة فممكن أن تكون شعور جميل بالسعادة أو الارتياح أو شعور بالشبع أيّا كان، فمثلا إن كنت تدخن

لتشعر بالسعادة أو راحة البال ابحث عن شيء آخر يكسبك هذا الشعور ويكون غير مضر كممارسة التمارين الرياضية أو قراءة كتاب أو أي شيء يجعلك مرتاحاً أكثر من التدخين وبالتأكيد ستجد في حياتك شيء ما يكون أثره عليك أكبر وواظب على كل ما نوهت عليه وبالتأكيد ستتخلص من تلك العادة السيئة، وراجعني بين الفينة والأخرى لتتأكد أنك تسير على الطريق الصحيح وبعد وقت إضافي انتهت جلسة الاستشارة التي أعادت إليهما هدوءهما فشكراه على وقته، وغادرا العيادة بلهفة لخوض تجربة جديدة، ستكون جودي المشرفة الرئيسية عليها

انكب عمر موفق على كتب شتى منذ الصباح ولم يبرح مكانه قط، محاولاً إيجاد حجج وأدلة مقنعة لحواره القادم مع جاد وأخته، بدأ أولاً بكتاب << الفيزياء ووجود الخالق >> قرأ بعض الاستفسارات الموجهة من قبل الملحنين والمستشرقين ثم نهل الأجوبة عليها بعمق وإدراك، وبعد أن انتهى منه أخذ يطالع بكتاب آخر كان يحمل عنوان << صراع مع الملاحظة حتى العظم >> ووجد فيه عدة استفسارات كان سابقاً يعجز عن الإجابة عليها...

دخلت سوزان الغرفة بهدوء، ووضعت له صينية بها طعام؛ كرواسان، حليب ساخن، وأخيراً شطيرة زبدة الفستق السوداني التي يعشقها، فهمهم ببضع عبارات شكر لكنها قابلته بابتسامة غامضة لم يدرك مغزاها ثم توجهت إلى النوافذ وفتحتها وهي تحدّثه بتهكم:

- آه! لقد صارت لديك حجة الآن لتفر بعيداً عني، فأنت تشغل

نفسك كل عطلة بجاد ومستلزماته!

هز كتفيه بلامبالاة ولم يعلق، فخرجت من الغرفة دون أن تنطق بكلمة إضافية، بينما استمر هو بقراءة كتابه، وبعد ساعتين أو أكثر بلغ حدّه من

القراءة فصف الكتب على المكتبة بانتظام ثم خرج من غرفته، لكن شيئاً ما كان قد فاجأه؛ أين سوزي؟ ولماذا الظلام يعم المكان؟ ... تقدم ببطء وهو ينادي:

- سوزي ... سوزي أين أنت؟؟

لم تصله أية إجابة فتقدم باتجاه القابس لينير الأضواء لكن يدا ما سبقته، وأنارتهم...

- مفاجأة!!!! "هابي بيرذداي تو يو" "happy birthday to you"، عمّورة!

نظر إليها والدهشة تعمّه، ما التاريخ اليوم؟ آه نعم إنه الخامس عشر من حزيران، ذكرى ولادته!!، وكيف يغفل عن هذا!

نظر إليها وابتسامة مشرقة تزين ثغره ثم قال بانفعال زائد:

- شكرا لك يا سوزي! إنها لفكرة رائعة منك حقاً!!

عانقته بحرارة ثم سحبتة من يده إلى الطاولة المليئة بما لذ وطاب من الأطعمة المصنوعة يدويا، فقد كان يتوسطها قالب حلوى مليء بالكريمة البيضاء إضافة إلى المقبلات والبيتزا، لكن لم تكن تلك المفاجأة فحسب فعندما سمع صوتها من جديد تبين له أنها ما زالت تخفي المزيد:

- واحد اثنان ثلاثة ... هيا!!!

أحدث أحدهم ضجة عالية بمفرقة كانت معه ثم خرج من المخبأ السري، كانا اثنان لا واحد "جاد وجودي" ..

- كل عام وأنت بخير يا عمر

قدما له الهدايا ثم تحلق الجميع حول المائدة بفرح جم، وبعد انتهائهم اقترح عليهم عمر فكرة التنزه قليلا فوافق الجميع على الفور!

23

المحاولات تستمر

- هل حضرت نفسك جيدا لمناظرة اليوم يا عمر؟
- بالطبع فعلت ... هل ستشاركون فيها؟
- نعم بالتأكيد
- توسعت ابتهامته أمام إصرارها الذي أعجبه فيبدو أنه يحرز تقدما ملحوظاً، لكنه استدرك على الفور:
- أين جاد؟
- إنه ما يزال مستلق على الأريكة بسبب الصداع لكنه سيشاركنا بالتأكيد بينما أتولى أنا دفة الأسئلة
- تجمع ثلاثتهم في الغرفة ذاتها التي جرت فيها المقابلة الأولى لكن بدون سوزي التي تذرعت بالعمل لتفر من الجلسة الدينية، وضعت جودي كؤوس العصير أمامهم ثم جلست قرب أخيها على الكرسي المقابل لعمر وبدأت أسألها من دون مقدمات وبلهجة دفاعية بحتة:
- حسنا يا عمر، سأسألك على الفور إن لم تكن تمانع
- بالطبع ... تفضلي
- سحبت نفسا عميقا وبدأت:

- لقد تابعت العديد من الدعاة في هذه الفترة وتيقنت من صحة كلامك وتأكدت من وجود خالق للكون، وهذا الخالق أنزل كتب مقدسة لديانات سماوية شتى أليس كذلك؟ كالإنجيل للمسيحيين والتوراة لليهود والقرآن للمسلمين، فلماذا الإسلام بالتحديد، أقصد أنك عندما بدأت بدعوتنا حدثنا عن الإسلام فوراً متجاهلاً بقية الديانات، فلماذا تفتخرون بدينكم وتدعوننا للدخول فيه؟ فإن الدين بالوراثة فابن اليهودي يكبر ويشب على دين أبيه، وكذلك ابن المسيحي، وابن المسلم ... ووالديّ مثلاً كانا يتبعان الديانة المسيحية فكيف نترك ديننا وهو دين آبائنا وندخل في دين آبائكم؟؟

أجابها بكل روية:

- من قال لك إننا نفتخر عليكم أو على غيركم؟ إن ديننا منّة من الله علينا، ونحن غير متمسكين به لمجرد أنه دين آبائنا، ولكننا مقتنعين به تمام الاقتناع فالمسألة ليست قضية تفاخر، إنها قضية حق وباطل، ونحن نريد لكم الخير باتباع الحق لتفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة ولا تكونوا كالذين قال الله فيهم في كتابنا المقدس ((أولو كان آبؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون))، فإن الحق لا يتجزأ وسبيله واحد هو الإيمان بالله وبجميع أنبيائه ورسله، والإيمان بخاتم المرسلين سيدنا محمد، أما سُبُل الباطل فهي كثيرة، فأنا مثلاً أدعوكم للمناظرة الهادئة الهادفة العاقلة المبنية على العلم، وليس على الحَمِيّة العمياء لمجرد التمسك بدين الآباء، فالله عز وجل يقول في كتابنا المقدس ((قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون))

صممت جودي لبرهة بعد انتهاء إجابته لترتيب الأفكار في رأسها مجدداً ثم أردفت:

- حسناً لنقل أنني اخترت الإسلام ديناً، فسأظلم حينها لا محالة، لأنني وجدت أنه يميز الذكر على الأنثى في شتى المجالات، وهذا أمر لا تقبله أي فتاة

نعم! لقد حضر لهذا السؤال إجابات شافية، فلتسأل ما شاءت إذا!

- بم يظلمها؟؟ فلتقول لي كل فعل غير مساوي على حدة

أومات برأسها موافقة وبدأت:

- فلأبدأ في الميراث، ففيه عندكم للذكر مثل حظ الأنثيين، أهذا عدل؟

- إن نصيب المرأة عندنا في الميراث إكرام لها، لأن المرأة في الإسلام ليس عليها أي نفقات ولو على نفسها سواء كانت أما أو زوجة أو بنتاً أو أختاً، ففي جميع الحالات يلزم وليها بالنفقة عليها حتى ولو كانت غنية، أما الرجل فعليه كل النفقات من مهر وإعداد مسكن وتجهيزه وتأمين متطلبات الحياة اليومية كالطعام والشراب وغيرها، بالإضافة إلى ذلك فإن الرجل مكلف بطلب العلم والجهاد في سبيل الله أكثر من المرأة وهذا ما يجعله أشد احتياجاً للمال

- لماذا تصرون على ارتداء المرأة للحجاب مع أن هذا لا يعني تدينها، ولا يضمن لها السلامة الخلقية وهناك الكثير من النساء يرتدين الحجاب وهن غير متدينات، فما قيمته إذا؟

- ما رأيك في الصورة الفوتوغرافية التي يقال إنها صورة السيدة مريم؟ وما رأيك في أمكم(تريزا) التي تحبونها وتوقرونها وتقولون إنها قامت بأعمال خيرية كثيرة في الهند وغيرها؟ هل كانتا ترتديان الحجاب أم لا؟ فإن كنتما تؤمنون بهما وتحبونهما وقد كانتا محبتي، فلماذا تنكرون الحجاب علينا؟، كما أنه له قيمة عظيمة فهو يحمي المرأة من المعاكسات
- لكن مظهره يدل على التخلف والعودة إلى الوراء ... أنظر إلى عصرنا هذا ... لقد صار الحجاب تقريبا حكما على العجائز المسنات
- آه يا جودي ... أهو حجاب عقل أم بدن؟ وهل التحضر والثقافة في التعرّي؟ وهل يمنع الحجاب النساء من أن يتفوّغن؟ حاولي النظر لصور المتفوقات في الثانوية العامة حتما ستجدين أن كلهن أو معظمهن محجبات، فلماذا لم يمنعهن الحجاب من التفوق؟ ولو ارتدت الحجاب أي امرأة ممن تفتخرون بعلمهن وثقافتهن فهل يطير العلم من رأسها؟ ولو ارتدت الحجاب أي وزيرة أو أستاذة جامعية أو حتى رئيسة دولة فهل ستصبح أمية أو متخلفة؟ وهل كل المتبرّجات مثقفات؟ إنهن بالملايين في الدول المتخلفة فأين ثقافتهن؟؟
- حسن فلنقل إنني اقتنعت لكن هناك سؤال آخر ... أنتم تزعمون بأنكم تؤمنون بموسى وعيسى، ثم لا تقبلوا أن تزوجوا نساءكم للرجل اليهودي أو النصراني في حين أنكم تسمحون لأنفسكم بالزواج من المرأة اليهودية أو النصرانية فهل هذا عدل ومساواة الإسلام؟؟

- إن المسلم يا جودي يؤمن بجميع أنبياء الله ورسله، فحين يتزوج من اليهودية أو النصرانية فهو يؤمن برسوليهما ولن يمنعهما من أداء شعائرهما لأن بيننا وبين اليهود والمسيحيين قواسم مشتركة كالإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر، فحين تطلب منه اليهودية أن تذهب إلى المعبد يوم السبت مثلا فلن يمنعها، وكذلك حين تطلب النصرانية أن تذهب إلى الكنيسة يوم الأحد مثلا فلن يمنعها، أما لو تزوجت المرأة المسلمة من الرجل اليهودي أو النصراني فالحال مختلف لأنه لا يؤمن بالإسلام فربما منعها من أداء أركان الإسلام كالصلاة والصوم والحج والصيام بل وربما أجبرها على إتباع دينه

رفعت حاجبها الأيمن وهتفت باحتجاج:

- وما أدراك؟ أليس من المحتمل أن يكون رجلا متحضرا يؤمن بحريّة العقيدة؟ فلم التعميم؟

زفر ثم استطرده:

- فلنفرض أن بعضهم عنده هذا الفكر فهل كل اليهود والنصارى على شاكلته؟ ثم إن هناك شيئا آخر وهو أن المرأة تتأثر كثيرا بزوجها على عكس الرجل فهو لا يتأثر كثيرا بزوجته، ولا ننسى أنه هناك شيئا لا يقل أهمية على كل هذا ألا وهو أن الأطفال في الغالب يكونون على دين آبائهم وليس على دين أمهاتهم ونحن لا نرضى لأبناء المسلمات أن يكونوا كفارا، كما أن جميع القوانين الوضعية في العالم أجمع تنسب الأبناء إلى الآباء عند تسميتهم، فهل يرضى أحد من المسلمين أن ينتسب للكافرين، وبتوضيح آخر؛ هل يرضى من كان اسمه أحمد أو محمد أن ينسب لبطرس أو مرقس أو يوحنا؟

- لماذا يقول القرآن ((الرجال قوامون على النساء)) ولماذا يقول نبيكم " لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " أليس هذا تفضيلا للرجل على المرأة؟؟

دهش من سؤالها الأخير لكنه أعجب به في الوقت ذاته، فهذا يدل على أن بحثها طال حتى توصلت لحفظ آيات قرآنية وشيء من الأحاديث، لكنه لم يدعها تعلم بل تابع بجدية:

- صحيح كلامك لكن لهذا سبب، فالرجال غالبا ما يكونون أرجح عقلا، وأصوب رأيا، وأقوى جسداً، وأكثرًا تحملا، وأضبط لعواطفهم من النساء، وقوامة الذكر على الأنثى أمر فطري حتى في المملكة الحيوانية، ولو قمنا بعمل استطلاع للآراء لوجدنا أن معظم النساء يفضّلن قوامة الرجل عليهن، حتى في الدول البوذية التي لا تدين بدين ولا تؤمن برب العالمين، فالزوجة اليابانية على سبيل المثال مشهورة بأنها أفضل الزوجات وذلك لحسن طاعتها لزوجها، وقد ملّت النساء الأوروبيات من تحملهنّ للمسؤولية كالرجال، واشتقن للعودة إلى بيوتهن، كما دلّت على ذلك نتائج استطلاع آراء النساء في الدول الأوروبية، والنساء أنفسهن يحتقرن الرجل الذي يخضع لامرأته، ويصفنه بعدم الرجولة

ابتسمت جودي وبدت وكأن جعبتها فرغت من الكلام بينما تابع عمر شرب كأس العصير خاصته، وبعد أن أنهاه قال مخاطبا الأخان:

- أتمنى أن تكونا قد اقتنعتما، بعد جهدي المتواضع هذا

ثم ألقى نظرة جانبية على جاد، وقال وهو يبتسم:

- إن وضعك يعد الأفضل بلا منازع، فأنت مستقل والمعلومات تصل لعندك بسهولة ويسر، بينما جرحت حنجرتي من الكلام وبعد وقت ليس بطويل استأذن عمر بالذهاب وختم لقاءه قائلاً:
- أتمنى منكم طلب تعلم كل ما يتعلق بالإسلام في المرة القادمة لم ينتظر جواباً ... بل غادر سريعاً

أجهدتها ملاحظتها منذ الصباح الباكر، لكنها علمت أخيراً كيف تتمكن من الإمساك بها وذلك عند انتهاء سلسلة التسوق الخاصة بها...
انتظرتها حتى تركب المترو وركبت معها دون أن تشعرها بأنها تترصدها، وقفت بقربها ولم تبدأ فوراً بأي حديث، وللصدفة البحتة اهتز المترو بعنف فاصطدمت بها وأدى هذا إلى رؤيتهما لبعضهما البعض وجهاً لوجه...

- آنسة سيلين كلوب!! أليس كذلك؟
ردت عليها الأخرى بفتور:
- نعم ... ومن حضرتك؟
- اسمي " لويزا أكرويد "، فرنسية ذات أصول بريطانية
- وكيف لك أنت تعرفيني؟
- آه! لا تبخسي نفسك قيمتها، لقد أصبحت قضية المستشفى مشهورة، وأنت الشاهدة الوحيدة على الجريمة، أليس كذلك؟
- نعم بالطبع

صمتت ندى لبرهة، ثم قالت بغموض وابتسامة تزين ثغرها:

- ألا تخبريني كيف حدث هذا؟ كيف ارتكبت تلك المدعوة جيهان جريمتها؟

قطبت حاجبها وردت باستياء:

- هذا شيء خاص سأشهد فيه داخل قاعة المحكمة فقط ... فلتنسي هذا

- أوه هذا مخيب للآمال ... آه تذكرت، أتعلمين ما الذي سمعته مسبقاً؟

ردت بنفس الطريقة المنقّرة:

- وكيف لي أن أعلم؟

- حسن سأخبرك مع أنك لم تشبعي فضولي حول القضية

اقتربت منها أكثر وهمست بدهاء:

- يتردد خبر فحواه أن طبيبة ما هي من حرّضت جيهان على قتل المريضة لأسباب مجهولة، وسيتم البحث عن تلك الطبيبة لإيجادها ومحاسبتها أشد حساب عاجلاً أم آجلاً

امتقع وجه سيلين وسرت في سائر جسدها رعشة غريبة، لكنها ما لبثت أن قالت:

- ... عاقاً؟ وهل هذا خبر أكيد؟؟

توسعت ابتسامة ندى "لويزا أكرويد"، وهي تقول بتهكم:

- لست أدري، إنها إشاعات كما تعلمين وقليلًا ما تكون صحيحة،
والآن سأنزل في هذه المحطة، ألقاك في المحكمة

جيهان

لم أعد أطيق الوضع هنا، فالجميع يعنفني آناء الليل وأطراف النهار، لا أجد الراحة ... وأنى لشخص سيحاكم بعد فترة وجيزة أن يشعر بها؟!، المحاكمة باتت على الأبواب وأمل لم تظهر بعد، أيعقل أنها ولّت المهمة ظهرها واستسلمت؟ لا أتمنى ألا تفعل هذا فليس لي غيرها ليساعدني!...

دخل المدّعي العام من جديد بينما طوّق رجال الأمن الغرفة، كان يحمل معه أوراقا بينما تدل علامات وجهه على الاستياء...

وضع كرسيًا مقابل الكرسي الخاص بي وجلس، وبعدها حدق بي مطولا محاولا سبر أغواري ثم قال:

- هل تعلمين لم أنا هنا؟

- لا

زم عينيه وهو يتابع بحزم:

- فلتعترفي سريعاً، وهذا سيكون الأفضل بلا شك لكلينا، أتعلمين لماذا؟ ...

لم يتابع فوراً بل زفر بضيق وهو يسأل سؤالاً مغايراً بفتور شديد:

- جيهان ... كم عمرك؟

لم أفهم غاية السؤال، لكنني رددت بعد تردد قليل:

- 37 عاما، وماذا في الأمر؟

- يوجد الكثير ... الكثير، إن السيدة التي قتلتها كانت عضوا في الاستخبارات السرية الفرنسية، وهي ذات مكانة سياسية مرموقة ومهمة للغاية، أنت تعلمين هذا أليس كذلك؟

طالعه باستهزاء وقلت باستفزاز متعمد:

- وما الرابط المشترك بينها وبين عمري؟ أنا لا أستطيع فهم تصرفاتك يا حضرة النائب العام!

- سأخبرك ... أنا الآن أحمل معي اتفاقاً، وهذا الاتفاق ينص بأنك إذا اعترفت بالجريمة التي ارتكبتها، فسوف تخفف العقوبة عنك، حيث ستصبح أقل من عشر سنوات

هتفت باحتجاج:

- لا تحلم باعترافي بشيء لم تقترفه يداي هاتان!

- لا تجعلي المسألة تطول أكثر، فبإمكانك إنهاء الأمر ببساطة

- أنت لا تفهم ... قلت لك بأنني بريئة تماما ... بريئة!

اشتد غضبه وهو يزمجر:

- ستقضين أكثر من 15 سنة بالسجن بلا شك ... ستموتين وتتعفين هناك، بل أرجح أنك ستكملين بقية عمرك خلف القضبان

قلت بثقة أغطته:

- أنا أوّمن بأن أيا من هذا لن يحدث، فلتتكلم بما شئت

هب واقفا من على الكرسي وهو يصيح:

- حمقاء! لنرى بم سينفعك إيمانك الذي تتمسكين به!، أراهن بأنك ستأتين حتى قدمي لتتوسلي

ولم أسمع بعد هذا إلا صوت الباب وهو يصفع بشدة..

24

معلومات جديدة

تنحنت أمل لتجلو صوتها ثم سألت أختها بجدية بالغة:

- نعم؟ من الذي تبقى الآن؟
- لقد تكلمت مع راندا وسيلين وتبقى، آه دعيني أتذكر ... نعم إيميلي و ... ماري؟ نعم نعم المدام ماري

تنهدت بحرارة وقالت من جديد:

- أنا آسفة يا ندى، لكن قبل كل هذا أريد منك طلبا جديدا إن لم تمنعي
- بالطبع تفضلي
- أريد منك الحصول على معلومات عن المريضة التي قتلت (ماتت) أثناء العملية، فلتحضري المعلومات بأسرع ما يمكن، وبعدها بإمكانك متابعة مقابلاتك

ابتسمت ندى بخفة وهي تقول بتواضع:

- لا داعي للقلق ... ستكون المعلومات بحوزتك في غضون دقائق
- أمسكت هاتفها سريعا ودونت عليه رقم ريم بحماس، ثم قالت بفرنسية رزينة بعد انتظار بسيط:

- آنسة ريم النحاس؟

ردت محدّثتها باقتضاب:

- نعم ... من المتكلم؟

- أنا...

احتارت فهل تقول بأنها "لويزا أكرويد"، أم "ندى الخطيب"؟، إنها تواجه مشكلة تعدد الشخصيات من جديد!! إلا أنها حسمت أمرها بأسرع ما يمكن لكيلا تدخل الشك لقلب ريم...

- أنا "لويزا أكرويد" المتحرية السرية التي تساعد الأستاذة أمل الخطيب، يسعدني الحديث معك

تغيرت نبرة ريم لتصبح أكثر لينا وهي تقول:

- آنسة أكرويد! أهلا بك، أية خدمات؟

- أريد منك طلباً واحداً يا آنسة

- اطلبي أي شيء قد يساعد جيهان

ابتسمت ندى بظفر ثم تابعت:

- أريد منك أن ترسلي لي صوراً عن ملف المريضة التي اتهمت جيهان بقتلها، وبأسرع ما يمكن

- بالطبع سأرسله حالما أجده

وبعد انتظار ما يقارب الساعتان وصلت ندى رسالة فهتفت بفرح:

- أمل ... لقد وصلت المعلومات للتو!!

كان جوا عائلياً مفعماً بالحب والفرح، فالجميع منسجمون ويعملون كيد واحدة، فكانوا يتعاونون معا حيث قام عبد الحميد بتجهيز اللحم والكبة للشواء، بينما أعد أسامة النار وأوقدها بشكل جيد ليفسح المجال لآدم حتى يقوم بشيئها، أما حنان فكان عملها هيناً جداً فقد قامت بتجهيز السلطات والمقبلات والعصائر الطبيعية بمساعدة كُتتها هند، وأخيرا وائل وزوجته هنادي اللذان كانا يسارعا بصنع سندويتشات اللحم والكبة حال نضوجها وتوزيعها على الأطفال أولا، ثم يحين بعدها دور الكبار...

وكان الغداء لا يقل حيوية عن التجهيز له، إذ كان أحدهم يتفوه ببعض الطرف بينما الآخر يغني مقطعا من أغنية قديمة ويتشارك الجميع بالضحك ... والنهم!!

وبعد تناول الغداء وشرب الشاي المخمر، انقسم الجموع لمجموعات؛ حنان وعبد الحميد يلعبان بلعبة قديمة تسمى (البرسيس)، هند وأختها تلعبان (الضامة)، والأخوان الثلاثة يتنافسان بلعبة (المكاسرة)..

- لقد دخل الحجر المطبخ!...

- هات ما عندك عزيزتي الرقيقة هنادي!...

- ها! هزمت أسامة، وائل فلنجري منافسة أخرى

- أخشى أن أحبطك عندما أهزمك هزيمة ساحقة!

استمتع الجميع بوقته، وبعد انتهائهم من اللعب قامت الأختان برصف الفواكه في الصحون وقدمتاها ثم اشترك الجميع بلعبة شدة تدعى (الطرنيب)، وعند انتهائها صنع أسامة قهوته اللذيذة المعهودة واحتسى الجميع منها!

وبعد المزيد والمزيد من المرح أووا إلى أسرّتهم وغطوا في نوم عميق...

فتح الباب بسرعة خاطفة كالتي أغلق بها، ودخلت الزائرة والتوتر باد على ملامحها...

- لن يفلح هذا! لن يفلح البتّة!

نظرت إليها راندا بتعجب ثم هتفت:

- سيلين! ما الذي جاء بك إلى هنا؟

غمغمت الأخرى بخفوت:

- لا جدوى من أي شيء فعلناه، فلنعترف ... لم أعد أقوى على التحمل أكثر

- ما بك؟ لم كل هذا الخوف؟

- وتساألين؟، راندا ... أنا مستعدة لتحمل الجزاء، فإن ما فعلناه عاجلاً أم آجلاً سينكشف

شهقت ووضعت يدها على صدرها بطريقة مسرحية ثم قالت باستهجان:

- حمقاء! أتريدين منا أن نفرّط بكل ما فعلناه حتى هذه اللحظة؟ إياك وأن تتفوهي ببنت شفة هل فهمت؟

- إن لم تودي أن تقولي أنت فسأقول أنا

طالعتها بتحد وهي تقول بنبرة مخيفة:

- إن فعلتي هذا يا عزيزتي فاعلمي أنك ستخسرين كل شيء؛ ستخسرين مهنتك بشكل نهائي فلن تستقبلك أية مستشفى للعمل بها، كما ستخسرين والديك العزيزين، وغير ذلك كله أظنك ستمكنين خلف القضبان فترة كافية لتخسري رونقك وشبابك

- اللعنة على هذا كله!! ما زلت تهددينني!، ألم تكفي بعد؟؟، أنت تجعلين مني أداة تتحكمين بها كيفما ومتى أردت، فلتنتهي هذا كله!

كانت تتكلم بجمل غير مترابطة وباندفاع شديد - وكيف لا تفعل هذا وقد تم ابتزازها وتهديدها بقتل والديها اللذان لم يبقى لها معين غيرهما! - مما جعل راندا تقول بتشفي:

- فلنصفي حساباتنا إذن!، إن كنت توذّين هذا بحق، فلسوف أعدك بأنك سترجعين إلى المنزل وتشاهدين منظر والديك وهما يسبحان في دمهما

ساد صمت مطبق لبعض الوقت، ثم قطعه صوت نسيخ سيلين التي كانت على حافة الانهيار...

- تبا! ... حسنا يا راندا لن أفعل، لن أبوح بأي شيء

ثم تابعت بعدوانية:

- لكن بشرط أن تكفي أذاك عنّا ... أيتها المرأة الشريرة!

قالت جملتها الأخيرة وغادرت سريعا، فأطلقت راندا ضحكة خبيثة ثم قالت بجدية بالغة:

- هذه الفتاة يجب أن تموت، لا شك بهذا

" الاسم: ناتالي براون، العمر: 68 عاما، مواصفاتها الجسدية: لون العينين أزرق ... ذات بشرة بيضاء ... لون الشعر أشقر فاتح ... بدينة نوعا ما ... الطول خمسة أقدام، العنوان: إيل دي فرانس - باريس - فندق (LA VIE) قرب شارع الشانزليزيه - الغرفة رقم 113، رقم الهاتف: 06*****

سبب الزيارة: إجراء عملية للقلب (طعم مجازة الشريان التاجي)، ملاحظة: بعد انتهاء العملية يبقى المريض في المستشفى لبضعة أيام أخرى وإذا لم تلاحظ أي مضاعفات خطيرة وآثار جانبية يخرج إلى المنزل في أسبوع، ومن الضروري مواصلة العلاج الدوائي الدقيق الموصوف والمجيء إلى الفحوصات الطبية والمتابعة، بالإضافة إلى ذلك يجب أن يطبق المريض أسلوب حياة أكثر صحة من أجل المحافظة على صحة قلبه وحمايته"

- أهدا كل شيء؟ ألم تذكر مهنتها أو أي شيء آخر؟

- لا لا شيء، آه هناك رسالة أخرى!

فتحتها على عجل لكنها قالت بخيبة:

- معلومات عن مرافقة المريضة

- لا بأس ... فلتقريئها لعلها تفيدنا

- حسنا

" الاسم: كاميللا روز، العمر: 47 سنة، العنوان: إيل دي فرانس - باريس - فندق (LA VIE) قرب شارع الشانزليزيه - الغرفة رقم 114، رقم الهاتف: 06*****، المهنة: مديرة شؤون ملاحظة: تعمل حاليا عند السيدة براون وتتابع كل أمورها"

- إذا كانت بصحبة خادماتها؟
- ربما ... فهذا ما يبدو حسب المعلومات
- طالعت أمل أختها بنظرة تشي بالتفاؤل ثم قالت بشيء من الرجاء:
- أعلم أنني بتُّ أثقل عليك بطلباتي يا ندى لكن هل لي بطلب آخر؟
- فلتنسي مثل هذه الأمور، أنا الآن تحت أمرك فدائما تكون المتحرية تلبي جميع طلبات المحامية المسؤولة عن القضية، كما أنها قضية جيهان العزيزة لذلك فلتطلي ما تشائين من الآن فصاعدا دون مقدمات
- ابتسمت وقالت بثقة:
- جيد ... جيد جدا!، أريد منك أن تقابلي كاميلا الخادمة لعلك تحصيلين منها على معلومات جديدة عن ناتالي
- لا بأس بهذا ... سأتصل بها لأحدد معها موعد مناسب
- اتصلت بها على الفور لكنها لم تتلق أي جواب فهااتفها كان خارج نطاق الخدمة، انتظرت نصف ساعة وعاودت الاتصال لكنه رنّ كثيرا ولم تجب، وبعد نصف ساعة أخرى كانت النتيجة ذاتها
- سأستغل فرصة معرفتي لعنوانها، وسأزورها من دون تحديد موعد، فتجاهلها لمكالماتي يدفعني إلى هذا
- وفقك الله ... وأنا سأذهب لأقابل إيميلي ما رأيك؟ وبهذا نختصر الوقت
- آه نعم بالتأكيد ... فلتفعلي ما يحلو لك

ارتدت ندى ملابسها على عجل وهمت للخروج لكن أختها استوقفتها
بسؤال مفاجئ لم تكن تتوقعه في مثل هذه الظروف:

- لماذا لا أخبر والدينا بعثوري عليك؟ سيدخل هذا السعادة إلى
قلبهما ويجعلهما بأفضل حال

قطبت ندى حاجبيها باستغراب ثم قالت بوضوح:

- لا يا أمل لا ... اتفقنا على ألا تفعلني هذا الآن، لأنك إذا أخبرتهم
ستعطيهم أملاً جديداً برؤيتي وسيلخون علي كثيراً وستزيد
مخاوفهم عليّ، لهذا أنا الآن لا أريد أن أقلقهم، كما أنني لا أعلم
إن كان في العمر بقية، فإن حدث لي أي مكروه سيكون من
الأفضل أن يظنّ أنني متّ منذ زمن

ثم خرجت من الباب بعد أن مسحت سريعاً دموعاً يتيمة انحدرت على
وجنتها

منذ مدة اقتنع بأن أخته أصبحت أفضل عن ذي قبل، وتخلصت من تلك
الهلوسات والوساوس، ولم تعد تتصرف دون وعي منها تصرفات حمقاء
ومتهوره، لكن فعلتها ذلك اليوم ضربت كل توقعاته بعرض الحائط...

فقد كانت فعلتها تلك بلهاء ولا تناسب سنها بتاتا، وكيف هذا؟! ألم يتيقن
بأنها تحسنت؟ ألم تدل تصرفاتها الأخيرة على تماثلها للشفاء وعودتها
طبيعية كما السابق؟ ربما كانت ذكية ونيهة، لكنها بشكل ما قد تصبح
غير مسؤولة وقد تصدر عنها بعض المشكلات، لكن فعلتها هذه لم تكن
مشكلة بسيطة البتة، لم تكن من المشاكل التي قد يتغاضى عنها إنسان
أو حتى يستوعبها!!

- آه يا عمر ... لقد قلبت الفكرة جيدا في رأسي، لكنني سأطلب منك أن تمدني ببعض المصادر الموثوقة، لعلّي أستطيع التوغل في أمور الدين لوحدي، فهذا سيزيد من اقتناعي ... أقصد عندما استكشف بنفسي
- بالطبع بالطبع ... بإمكانني أن أعطيك أسماء بعض المواقع الموثوقة وأيضاً أسماء دعاة موثوقين، فلقد تبين لي أنك تفضل البحث على "الإنترنت" أكثر من قراءة الكتب
- ضحك جاد بخفة، محاولاً عدم إظهار الرغبة التي باتت تجتاحه لخوض تلك التجربة التي قد تخلصه من همومه وآلامه، بينما استدرك عمر:
 - وماذا عن جودي؟ ما وجهتها القادمة؟
 - لقد تبين لي أنها قامت ببحوث عديدة، إن أختي يا عمر تبحث بشكل جدي وموسّع للغاية
 أيده بهزة رأس خفيفة ثم قال:
- بالضبط ... لقد تبين لي هذا عندما ناقشتها، بالمناسبة، هل ما زالت تلك النوبة تأتيها من فترة لأخرى؟
- قطب جاد حاجبيه مفكراً ثم أجاب:
 - لا لا أظن هذا، أظنها أصبحت أفضل منذ أن بدأنا في النقاشات الدينية، والفضل يرجع لك يا عمر
 - وأين هي الآن؟
 - ربما تكون بغرفتها، سأنادي عليها لكي تنضم إلينا

ظل جالسا بمكانه على الأريكة الوثيرة في غرفة المعيشة، وبدأ ينادي على أخته:

- جودي ... جودي تعالي عمر هنا ... يا جودي أين أنت؟

عدل جلسته ليصبح أكثر ارتياحا ثم قال وهو يرجع رأسه للخلف:

- أظنها مشغولة بشيء ما وستأتي حالما تسمع نداءاتي المتكررة

هز رأسه بتفهم ولم يعلق، فتابع جاد نداؤه:

- جودي ... أنا ما زلت أنتظرك، ماذا تفعلين؟

لم تصله إجابة، فزفر باستياء ونظر لصاحبه، لكنه هب واقفاً على قدميه -وكان شحنة كهربائية عالية الشدة أصابته- عندما سمع صوت الارتطام الشديد الذي صحب معه صوت تكسر زجاج...

- عمر!! إن الصوت قادم من غرفتها! سأذهب لأرى

- سأأتي معك

وركض كلاهما بفرع متوجهين إلى غرفة الفتاة النائمة ... جودي

لا ... لن تتهور، ستحاول أن تنفذ خطتها الجديدة بإتقان، وعندها ستنتهي تلك المسألة التي أرققتها منذ فترة...

إنها بالتأكيد تفعل الصواب، فحياتها تساوي حياة المئات، هي وحدها من تستحق العيش دون غيرها، هي وحدها ابنة الأصل الرفيع وذات الحسب والنسب، وتمتعها بمكانة سياسية مرموقة يؤكد على هذا الكلام بلا أدنى شك...

لقد أعجبت بنفسها وبذكائها أكثر من ذي قبل، فلقد كانت داهية!، وخطت بطريقة حاذقة ... إذ كان لها بيدقان ترتكز عليهما: سيلين وإيميلي وكان لا بد من استخدامهما من أجل التخلص من الشخص الذي بات يهدد حياتها، لكنها فكرت بأنهما قد ينفعانها وبأن التخلي عنهما دفعة واحدة قد يفشل خططها المستقبلية، وللصدفة البحتة أتى كبش الفداء بكل سهولة ويسر " جيهان مندو " المرأة العربية المسلمة، والتي أتقنت عملها فوراً وانسجمت مع البقية، والتي شعرت اتجاهها بنوع من الغيرة والحقد، فلم لا تورطها بالأمر؟، فكونها مسلمة سيلقي عليها الكثير من الأضواء في بلد عنصري كهذا وستعد جريمتها كتفويض إرهابي هدفه اغتيال عضو من الاستخبارات السريّة الفرنسية، وبالفعل ... تمت الخطة على أكمل وجه (قتلت ناتالي براون الخبيثة) وانتهى قلقها منها هنا...

والآن آن الأوان لتنفيذ حركتها الأخيرة حتى تتمكن من قول عبارة (مات الملك) وتكون المنتصرة الأخيرة ... والوحيدة!، وبنفس الوقت ستتخلص من سيلين الغبية ولتي قد تسحق كل خططها لمجرد "النزاهة" كما تدّعي، وأيضا ستتأكد من أن جيهان "القاتلة" ستمكث خلف القضبان إلى أجل غير مسمى...

ضحكت ملء شديها، وشعرت بمدى روعة وخبث الخطة التي ستقدم على تنفيذها ... بسريّة تامة!!!

25

مقابلات

هالهما المنظر فتسمرا بمكانهما وحملقا بما رأياه، كان منظرا صاعقاً
وبشعا للغاية، ولم يكن هذا في حسابناهما أبدا!!

كان منظر جودي ... معلقة من رقبتها في حبل اتصل بالسقف، وقدمها
تأرجحان في الهواء بينما تنازع الموت!!!

- أحضر الكرسي!

أعطاه عمر الكرسي الذي كان مرميا على الأرض، فقفز عليه بسرعة
وأمسك بأخته، ويبيدين مرتجفتين خلّص رقبتها من الحبل الغليظ ثم
حملها برفق ونزل على عجل

- إنها ما زالت لا تستطيع التنفس!

أمسكها عمر معه ثم أجلسها، وراح يضرب منتصف ظهرها في راحة يده
ليسهل عملية تنفسها، لكنها كانت ترتجف مما جعله يقول بصوت حازم:

- اهدئي يا جودي، حاولي أن تأخذي نفس ... فلتحاولي هيا

- جودي تمالكي نفسك، أرجوك يا حبيبتي

بدأت تشهق بقوة بينما ازدادت رعشة جسمها...

- عمر فلتحضر الماء، لكي تشرب

ركض سريعا إلى المطبخ، انتقى أكبر كأس وملأه بالماء ثم أعطاه لجاد الذي قدّمه لأخته لكنها لم تستجب...

- فلتشربي ... فلتشربي يا جودي

بدأ تنفسها ينتظم شيئا فشيئا، كما هدأت أعصابها بعض الشيء مما جعل أباها يستغل الموقف، وصرخ في وجهها:

- ماذا تظنين نفسك فاعلة؟؟ ما هذه الحماسة؟ ما الذي حصل لعقلك؟ أجننت؟

أمسكه عمر بقوة وهو يهمس له:

- جاد ... اهدأ، فمثل هذه الأمور لا تحل بالصراخ والعنف

اشدد حنق جاد وهو يصيح:

- أتى لي أن أهدأ؟؟ لقد شارفت على الموت، لقد حاولت الانتحار، ألا تستوعب هذا! كنت سأفقد أختي يا عمر!!

حزّك عمر رأسه نافيا وهو ينظر لصاحبه الغير آبه له نظرة رجاء...

- لماذا أتيتما؟؟ اتركاني أموت ... اتركاني وشأني ... أنا لا أريد هذه الحياة ... أنا أكره هذه الحياة

حملق جاد بوجهها والشرر يتطاير من عينيه بينما تابعت:

- إن لم أنجح بقتل نفسي اليوم فسأنجح غدا، أنا لن أعيش هذه الحياة البتة أتفهمان؟؟ سأذهب والتحق بوالديّ إن شئتما أم أبيتما

- اخرسي

- لا لالن أفعل

بدأت تصرخ وتنشج، ثم تحول هذا إلى عنف شديد فنكست شعرها وبدأت تضرب نفسها بقوة، على وجهها وعلى كامل جسدها، وهنا احتاج الأمر تدخل عمر الذي أفقدها وعيها حالما تبين له مدى خطورة ما هو قادم، وبعد أن تهاوت وخارت قواها بدأ جاد يبكي بحرقة

- سنجد حلا يا صديقي لا تقلق

أجابه وهو يبكي:

- ستقتل نفسها! ستنتحر! لقد جئت تماماً! آه ماذا أفعل؟؟

أمسكه عمر من كتفيه ونهره بقوة ثم قال حاسماً الموضوع:

- ستهداً وستدعو الله أن يهديها إلى طريق الرشده، لن ينفعك أي شيء إلا الخشوع لربك والدعاء لها

- لكن...

نظر إليه باستياء ثم قال وهو يرتعش:

- ادع ... ادع بالأ نضطر لإدخالها إلى مصحة عقلية، فطالما وجدت

الفرصة سانحة لها لن تدخر جهداً في إنهاء حياتها

وصلت إلى العنوان المحدد ونزلت إلى الفندق بحماس، ثم سألت موظفة الاستقبال بفرنسية رقيقة:

- صباح الخير

- صباح النور، بماذا أخدمك؟

- عفوا ... أريد أن أزور السيدة كاميلا روز هل لي بمعرفة رقم غرفتها

طالعت الموظفة بضعة أوراق أمامها باهتمام ثم قالت بعد أن تفحصتهم جميعا:

- لقد غادرت السيدة روز البارحة مساء

- آه حقا؟! ألم تترك العنوان الذي ذهبت إليه؟

قامت مجددا بالبحث في الدفتر الذي على الطاولة أمامها ثم قالت بشبه اعتذار:

- اعذريني، لم تترك أي شيء خلفها

تنهدت ندى بخيبة ثم دمدمت:

- خسارة! لم تتاح لي فرصة لقائها!

وخرجت بعدها بخفي حنين، لكن الفكرة لم تفارقها قط والأمل لم يشأ أن يتركها وحيدة، فاتصلت مجددا بكاميلا وكانت النتيجة إيجابية إذ تلقت منها ردا!

- ألو، مرحبا ... السيدة كاميلا روز؟

أتاها صوت امرأة تتكلم بإنجليزية سمجة:

- نعم ... ومن تكونين أنت؟، إن أردت التحدث فعلا فلأفضل أن تتكلمي بالإنجليزية فلطالما واجهت مشاكل بسبب اللغات المتعددة التي أضطر إلى التعامل معها ومحاولة فهمها

عدلت ندى لغتها، فقالت بإنجليزية طليقة:

- أنا لويزا أكرويد، أريد أن أسألك بعض الأسئلة وجها لوجه، لذلك أريد تحديد موعد للقائك

انطلقت الكلمات بارتباك من لسان محدّثتها:

- بعض الأسئلة؟ آه تريدين استجابي! أنا لا أعلم شيء في الحياة إلا الطبخ وتنظيف المنازل من كنس الأوساخ ومسح الغبار وتلميع الزجاج، ألم يقل لك من أعطاك رقمي أنني خادمة، لكنني عاطلة عن العمل الآن بسبب الوفاة المفاجأة للسيدة التي كنت أعمل عندها، أتعلمين؟ يقولون إن أحدهم دير هذا أي أنها جريمة قتل حقيقية، آه يا للمجرمين عديمي الشفقة! كيف يضحون بامرأة قيمة وقديرة كهذه، لقد أحزنتني وفاتها حقا فأنا أخدمها منذ زمن ليس بقصير، وتخيلي أن القاتلة فتاة، أئى لفتاة أن تفعل فعلتها، لقد شوهدت صورة الفتيات ... آه أين كنا؟؟ أوو نعم! أنت تريدين مقابلي، حسنا، إن لم يكن الأمر يتعلّق بالثقافة أو العلوم أو أمور الدين فسأقول لك " بكل سرور " أما إذا كان...

نفذ صبر ندى من ثرثرتها الغير طبيعية، فقاطعتها بحزم وهي تقول:

- لا تقلقي يا سيدة ستكون أسئلة بمنتهى البساطة، أنا الآن في باريس فما رأيك أن نلتقي في أحد المقاهي في شارع الشانزليزيه مثلا؟ هل بإمكانك تدبير اللقاء في الساعة الخامسة من عصر اليوم؟

- الساعة الخامسة؟ لا لا أستطيع البتّة فلدي موعد عند طبيب الأسنان، وقد جاهدت على ألا أذهب فأمي مريضة جدا وتحتاج إلى الرعاية، فكما تعلمين عندما يصبح المرء كبيرا في السن يحتاج إلى المراقبة والاهتمام، لكنها حثتني على الذهاب وأكّدت لي بأنها ستكون بخير فوافقت على مفض، لكن ... لا أظن أنه

بإمكاني في فترتها الحرجة تلك أن ألقاك فأنا حاليا أعيش معها في منزلنا الريفي في مدينة " آرل " وكما تعلمين باريس في الشمال وآرل في الجنوب لذلك على من يسافر إليها قطع مسافة طويلة وحتى إن تغاضيت عن حالة أُمي الصحية فوضعي المادي لا يسمح لي بالسفر الآن

تنهدت ندى من جديد ثم قاطعتها وهي تقول على استعجال:

- حسنا ... حددى موعد لكي أتصل بك اليوم فأنا الآن في طريق العودة إلى منزلي ولا أستطيع متابعة المكالمة
- امممم ... يمكنك الاتصال في الثامنة مساء فسأكون قد عدت من عيادة الطبيب، واستجمعت قواي على الكلام فعندما يذهب الشخص إلى عند أطباء الأسنان ويفتكون به لا يستطيع التحدث إلا بعد مدّة من الزمن، لكن أعذك بأنني سأتصل وإن تأخرت قليلا عن الثامنة فلا تفقدي الأمل فلربما أكون مشغولة في طهي العشاء الخاص بأُمي، فلقد وصف لها طبيبها طعاما صحيا كالجن الأبيض منزوع الدسم والخضروات والبي...-
- أهاتفك في الثامنة إذا، إلى اللقاء

زفرت بقوة بعد أن أغلقت الهاتف، يا لها من امرأة ثرثرة!! كيف ستستطيع انتظارها لكي تجيب على الأسئلة جميعها؟؟، شعرت بصعوبة تقبل الأمر!!

بدت أمل الخطيب في غاية الأناقة عندما ارتدت بنطالا من الجينز ذي اللون الفاتح ومعه قميص أبيض عريض بعض الشيء يصل إلى فوق

ركبتها بما يقارب الشبران، كما كان لون غطاء رأسها الزهري الداكن بعض الشيء يتناسب تماما مع ملابسها...

نزلت من سيارة الأجرة وتوجهت إلى المبنى الضخم المكون من 60 طابق، ثم صعدت بالمصعد إلى الطابق ال 53، وبعد أن وصلت إلى منزل إيميلي طرقت الباب وانتظرت قليلا إلى أن فتح، وأطل منه طفل صغير بهي الطلعة:

- صباح الخير، هل الأنسة بيكر موجودة؟

زم عينيه بارتياح وهو يطالع هندامها ثم قال بهدوء:

- تودّين مقابلة إيميلي؟

- نعم إن أمكن

- إنها تقوم بصنع العجين في المطبخ الآن، تعالي معي إلى غرفة الجلوس وسأخبرها بقدمك

ثم استطرد بنبرة بدت لها أكثر ودًا:

- هل لي بمعرفة اسمك؟

- أمل ... أمل الخطيب

دخلت مع ريان الذي قادها مباشرة إلى غرفة المعيشة، ثم تركها وتوجه إلى المطبخ، فوجد إيميلي منهمكة بتمديد العجينة في الصينية لكي تصنع البيتززا، فقال على عجل:

- إيميلي ... إن سيدة تنتظرك في غرفة الجلوس، تقول إنها تودّ مقابلتك

لوت شفيتها بامتعاظ وقالت بتذمر بينما يداها منهنمكتان بالعمل:

- سيدة! في هذا الوقت!، ألا تعلم أنه وقت الغداء!، أم أنها أتت في هذا الوقت عن عمد

أردفت بازدراء:

- لعلها تود طلب بعض الطعام!

هتف ريان باحتجاج:

- لا ... لا يبدو هذا، فإن شكلها يوحي بأنها سيدة محترمة، كما أنها تضع على رأسها لفافة قماشية، آه لا أعلم لم تضعها! فملابسها جميلة وبدونها أظن أنها ستبدو أجمل، كما أن الطقس حارا!

- تضع غطاء رأس إذا؟ أتمنى ألا تكون...!، آه هل ذكرت لك اسمها؟

- نعم ... اسمها أمل الخطيب

- حقا؟! تلك المحامية مرّة أخرى!

غسلت كلتا يديها على عجل ثم نظرت إلى مرآة عاكسة صغيرة ثبتت على الحائط، فعدلت هندامها ومسدت شعرها وخلعت مريلة المطبخ قبل أن تدخل بطريقة مسرحية وتهتف باعتذار مصطنع:

- أوو! الأستاذة أمل الخطيب! آسفة على التأخر عليك

تصافحتا وجلستا متقابلتان فتابعت إيميلي:

- كما تعلمين ... أعمال المنزل لا تنتهي!

وافقتها أمل بشيء من المجاملة إذ لم تكن تريد الخوض في الحديث عن أمور غير مجدية، وبعد أن أدركت إيميلي هذا قالت بجدية:

- نعم؟

تنحنحت أمل في جلستها وبدأت:

- تعلمين أنني هنا بصفتي محامية الأنسة جيهان مندو، لذلك أود أن اطرح عليك بعض الأسئلة البسيطة

- حسنا، لكنني بصراحة لا أظن أنني أعلم بشيء قد يفيدك

- لا بأس سنحاول، فبعض الأمور التي قد تعتقدينها غير مهمة أو بسيطة من الممكن أن تكون نقطة في صالحنا

ابتسمت ابتسامة باهتة ثم قالت:

- فلتسألني إذا

- من الذي اختار الطبيبتان جيهان وسيلين لينفذاً العملية الجراحية؟

- إنها المدام ماري، فكل شيء يجري في هذه المستشفى تحت أمرها

- هكذا إذن، وهل أجرت تلك المريضة آه دعيني أتذكر اسمها، نعم ... السيدة ناتالي براون، أي عملية أخرى في تلك المستشفى من قبل؟

- لا أظن هذا

- هل ترددت على المستشفى قبل العملية لمقابلة طبيب ما؟

- لا أعلم، فأنا لا أتتبع حركات المرضى، فالأعمال تغمرنني من رأسي لأخمص قدمي

- آه فهمت، وهل بدا التأثير على الآنسة سيلين كلوب بعد أن توفيت السيدة براون؟

سحبت نفسا عميقا بينما تفكر ثم قالت بذات النبيرة المحايدة:

- خارجيا بدت أنها مقتنعة بعدم ارتكابها لأي خطأ، لكنني لا أعلم كيف شعرت بداخلها، وأتى لي أن أعلم!

- صحيح، كيف كانت علاقتك مع الطبيبات الثلاثة؛ جيهان مندو، سيلين كلوب، و ... راندا تشارلز

- بصراحة أنا لست اجتماعية بآتم معنى الكلمة، لكنني لم أحب تدخل جيهان بأعمالنا أو لأقل بشكل صادق أنني شعرت بالغيرة منها، لذلك لم أحاول تكوين علاقة صداقة معها وكنت أتجاهلها غالبا، أما سيلين فهي فتاة غرّة وبيننا فارق بالعمر كما أنها من النوع الذي لا أحبه، وراندا دائما منهمكة في عملها لذلك لا تتاح لي الفرصة لأحادثها كثيرا، وكما هو الشائع في هذه الأيام، أنا لا أتعامل معهن إلا داخل نطاق العمل

- آه هكذا إذن!

- بالضبط

وقفت أمل برزانة ثم قالت:

- والآن اسمحي لي ... لقد عطلتك كثيرا

وقفت هي الأخرى وهي تقول:

- لا يستطيع المرء أن يلومك، فهذا عملك وعليك تأديته مهما كلف الأمر، لكن ... ألا تشربين شيئا؟ قهوة أم شاي؟ أو ما رأيك في عصير بارد؟

- لا شكرا لك ... يجب أن أذهب الآن فلدي الكثير من العمل

- مساء الخير سيدة روز، أنا لويزا، تذكرين أنني حددت معك موعدا في مثل هذا الوقت ... أليس كذلك؟

- آه مساء النور آنسة لويزا - اسم لطيف يذكرني باسم ابنة أخي!
- أهلا بك، قلت لي سابقا أنك تودين طرح بعض الأسئلة البسيطة وها أنا ذي أمامك أصغي باهتمام

كانتا تتحدثان بواسطة مكالمة فيديو إذ تتمكن كل منهما برؤية الأخرى بكل وضوح...

وهمت ندى للبدء بطرح الأسئلة وتلقي الأجوبة من المرأة التي تتفحصها باهتمام لكنها أردفت بشيء من الإعجاب:

- بالمناسبة يا آنسة لويزا، أظن أن الجمال لم يبخل عليك بقدر وافر منه!

- آه!! شكرا لك، هذا لطف منك

لم تتوقع أن ترد حتى على المجاملة لكنها نسفت توقعها:

- ليس لطفا أو ما شابه، فعندما يكبر المرء ويصبح بسني تتغير نظرته للأمور، فعندما تخرجين وتنظرين إلى الناس يصعب عليك انتقاء شخص طبيعي أو لنقل بشكل أوضح جميل بالفطرة، ففي هذه الأيام ومع الأسف أصبحت كل الفتيات متشابهات في طريقة ارتدائهن لملابسهن تحت شعار الموضة، وفي مساحيق التجميل الصارخة اللاتي يضعنها، فالدميمة تصبح أجمل بكثير من الجميلة ذاتها، لذلك لم يعد بإمكان

الشخص التمييز جيدا أو إطلاق أي حكم، تخيلي أن الشباب في أيامنا بدأوا يضعون مساحيق التجميل بعناية ويرتدون الحلي ولا يخالفون صيحات الموضة البتّة، آه أين كنت؟ ... نعم تذكرت، فلذلك استطعت التمييز أنك طبيعية ورغم ذلك فاتنة، لا أكثر ولا أقل

ابتسمت ندى ولم تعلق، وبدأت أسئلتها فورا:

- حسنا، دعينا ندخل في صلب الموضوع، بداية أود أن أسألك إذا ما لاح...

هتفت كامبلا على عجل وفي نبرتها اعتذار طفيف:

- اعذريني على المقاطعة لكن أمي تنادي علي ويبدو أنها تحتاجني في شيء ما، دقيقة وأعود، آه يا لوقاحتي! ... نعم يا أمي نعم، تمهلي قليلا فأنا قادمة إليك

أرجعت ندى رأسها للوراء وتمطت وعلى وجهها نظرة استياء، فقالت لها أمل التي كانت مستعدة بقربها لتدوين المعلومات التي قد تقولها كامبلا:

- ما بال تلك المرأة! تقولين لها " شكرا" فتخبرك بقصة حياتها!، من الذي قال لها أننا بحاجة إلى جمع معلومات عن الفتيات والموضة وهذا ال...! آه، ها قد عادت!

جلست كامبلا مقابل الكاميرا من جديد وظلت صامتة مما جعل ندى تستغل هذا وتبدأ:

- بداية، تذكرين السيدة "ناتالي براون" التي كنت تعملين عندها أليس كذلك؟

- بالتأكيد، فلقد كانت مثالا يحتذى به في الأخر...
- حسنا ... فلتعودي بذاكرتك إلى الوراء قليلا، والآن فلتخبريني؛ هل زارها أحد في اليوم الذي سبق وفاتها (قبل يوم العملية) أو لنقل في الثلاثة أيام الأخيرة التي سبقت وفاتها؟
- دعيني أتذكر ... لقد جاء بائع الحليب جيمس الذي كانت دائما تشتري منه القليل من الحليب الطازج، كما جاءت مندوبة مبيعات بعد وقت الغداء مباشرة وكان معها مستحضرات تجميل وعلطورات فصرفتها بعد أن أخبرتها بأننا لا نستعمل مثل هذه الأشياء، وبعدها أتى الجار الذي يسكن قرب منزلنا وطلب منا أن نعيده مقص تقليم الأشجار على أن يعيده عندما ينتهي، وبعد العصر بقليل أتت امرأة ذات شعر أبيض بالكامل وسألتنا إن كنا نود التبرع لجمعيةها الخيرية أم لا، هذا كل الذي حدث في اليوم الذي سبق وفاتها
- وفي اليومين السابقين له؟ فلتفهميني، أريد فقط الزيارات الشخصية، كزيارة أقارب أو أصدقاء أو ما شابه، لذلك لا تحديثني عن بائع الحليب وساعي البريد... ومثل هؤلاء الأشخاص
- زمت شفتيها ثم أبعدت خصلات شعرها عن عينيها بحنق، وبعدها تابعت بهدوء:
- زيارة شخصية؟، زيارة شخصية؟؟، لا أظن أن شخصا محددًا قد زارها فوالديها متوفين منذ مدة وأخوتها منتشرون في أصقاع الأرض، وبمعنى أدق، ليس هناك شخص قد يمت لها بصلة موجود بفرنسا إلا أنا، خادمتها التي تعمل عندها منذ سنوات، إلا أن لديها بعض الصديقات وهنّ جاراتها الثرثارات اللواتي زرنها

قبل عمليتها بيومين، وهنّ مع ذلك لطيفات جدا إذ جئن
لطمأنتها والتمني بالشفاء العاجل لها

- هكذا إذا ... ألم يأتي أي أحد آخر؟ حاولي أن تتذكري جيدا

- لا لا أظن هذا، لكن ... لماذا أخبرك بكل تلك المعلومات؟ من
أنت؟ وبصفتك من تطلبينها؟

شعرت ندى ببعض الحرج إذ نسيت إخبارها بهويتها المؤقتة:

- أظنني نسيت إخبارك عني يا كاميلا العزيزة، بصراحة ... أنا
المتحرية الخاصة بمحامية المتهمه جيهان مندو، وأجمع حاليا
المعلومات لأن محاكمتها باتت وشيكة، فكما تعلمين أي حقيقة
قد تشكل فرقا شاسعا في..

ولم تكمل جملتها فأكملتها كاميلا عنها بنبرة متسائلة:

- تبرئتها؟! أوليس واضحا بأن تلك الفتاة مجرمة؟ هل ... هل
تحاولين العمل على إظهارها بصورة حسنة أمام القاضي؟، بالله
عليك كم أعطتك من المال؟ ألم تقم برشوتك أنت ومحاميتها
حتى تشهدا بالزور بأنها ليست قاتلة؟

استاءت بشدة من عبارتها الأخيرة فقالت بجدية بدت أقرب إلى الغضب:

- سيدتي، أرجو منك أن تلمي حدّك فإن أيا من هذا لم يحدث، فأنا
والمحامية نعمل بنزاهة وفق الحقائق والأدلة، وسنقبل النتيجة
ونتعامل معها عندما نتوصل إلى الحقيقة، والآن سأتابع أسئلتني

تنفست كاميلا الصعداء ثم قالت بأدب:

- تفضلي

- هل بدا على السيدة براون أي سلوك غريب، كقلق أو ما شابهه، أقصد ذلك الشعور بالتوتر والخوف إذا ما كان أي شر يترصد بالإنسان؟

ضحكت ضحكة ممزقة ثم أجابت باستهجان:

- يبدو أنك لا تعلمين شيئاً عن سيدتي الراحلة!، فهل تربطين اسمها بماذا؟ بالخوف أو القلق أو التوتر!!، لا لا هذا محال، ليكن بحسبانك يا عزيزتي أنها كانت جدّ متفائلة عندما علمت أن تلك العملية ستخلّصها من آلامها ولم تخف أو تقلق - وهذا ما بدا لي - مقدار ذرّة، إنها ليست من تلك العجائز اللاتي يظهرن قلقاً وخوفاً متعمداً ويتظاهرن بالألم في أغلب الأوقات، وإن أصابتهن شوكة يأنون ويصنعون مناخة، لقد كانت سيدتي قديرة جداً، ولم تكن لتظهر أي شيء سلبي بتاتا، لكنني شعرت أنها كانت تتألم رغم أنها كانت تحاول جاهدة إخفاء ألمها، وهذا الألم طبيعي بالتأكيد عندما يعلق الموضوع بالقلب بحد ذاته

كان تململ وحنق ندى يزداد فهذا يعد أكبر مضيعة للوقت!، لأنها تجيب على الأسئلة البسيطة برواية مفصلة مع أن بإمكانها فقط قول إحدى العبارتين، نعم أو لا!!!

- حسنا، هل تلقت السيدة أية مكالمات هاتفية مزعجة أو رسائل تهديد أو ما شابه؟

- لا ... فحتى هؤلاء الأشخاص السيئون لا يجرؤون على مضايقتها فهم يحسبون لها مئة ألف حساب قبل أن يحدثوها

- آه حقا!، وهل هذا لقوة شخصيتها فقط أم لطبيعة عملها؟ بالمناسبة، ماذا كانت تعمل؟

شعرت بارتباكها وتململها عند ذكر هذا السؤال تحديدا لكنها لم تعلق بل انتظرت إجابتها التي فُكّر مليّا قبل النطق بها

- تعلمين أن سن سيدتي كان كبيرا ... وهذا يتيح لها التقاعد، كما أنني لا أتدخل في مثل هذه الأمور فأنا أعد خادمتها رغم كل شيء

- بالطبع يتيح لها التقاعد إلا أنها لم تتقاعد أليس كذلك؟

قالت جملتها بغموض ولاحظت بعدها ارتباك كاميلا التي همهمت:

- ماذا تقولين! ومن قال إنه يجب عليها التقاعد؟ حسنا، لا أظن أن معرفة مهنتها سيبرأ تلك ال... فتاة لذلك أنا لا أحب أن أقول أي شيء غير مجدي

ابتسمت ندى بسخرية بعد سماع جملتها الأخيرة التي بدت مناقضة تماما لشخصيتها، لكنها دفعت عنها تلك السخرية عندما سألت بهدوء:

- هل كانت من تلك المهن التي لا ينبغي للغرباء أن يعرفوها؟ لأنها ستفقد أهميتها؟

طالعتها بشك ثم حركت رأسها إيجابا فتابعت ندى:

- هل كانت تعمل في السياحة؟ آه لا لا أظن هذا ولا في دور للنشر أو في مكاتب مرموقة، وحتى عملها في الطب مستبعد، هل كانت تعمل في مجال من مجالات السياسة مثلا؟؟

شعرت بغضب كاميلا التي قالت بارتباك وبنبرة صوت مرتفعة:

- لا أعلم بم تفيد كل تلك المعلومات!، نعم لقد كانت كذلك ... هل ارتحت الآن، وليكن بعلمك بأنني لو لم أكن قريبة منها كفاية لما حلمت بمعرفة هذا

- إذا مهنة سرية في السياسة!
- ابتسمت بلطف عندما تأكدت من معلومتها الأخيرة وسألت سؤالها الأخير:
- سيكون هذا سؤالنا الأخير، هل أخبرتك السيدة عن أي شخص كانت قد استاءت منه مؤخرا أو هو قام بإزعاجها؟
- أجابت كاميلا بالنفي، فابتسمت ندى لتقول أخيرا قبل إنهاء المكالمة:
- هل أنت مستعدة للقيام بأية مساعدة من أجل الإمساك بالمجرم الذي هدر روح سيدتك الراحلة
- بدت تعابير الكره الشديد على ملاح كاميلا وهي تهتف بحنق:
- آه يا آنسة لويزا، كم أود أن أمسك ذلك المجرم اللعين وأضربه ضربا مبرحا حتى الموت، بالطبع أنا مستعدة لتقديم أية مساعدة كانت لكي نودي بذلك الخبيث عديم الأخلاق خلف القضبان، ولكي أنتقم لسيدتي التي كانت غالية وعزيزة جدا على قلبي، فقط اطلبي ما تشائين وستجدينني أنفذ فوراً وفي الحال إن أردت
- فكرت ندى لبرهة ثم قالت:
- في الوقت الحالي لا أريد شيئا لكنني حالما احتجت مساعدتك سأتصل بك على هذا الرقم، اتفقنا
- بالطبع يا عزيزتي اتفقنا، والآن يجب أن أذهب فلديّ أعمال كثيرة إلى اللقاء يا آنسة لويزا
- قالت جملتها وختمت اللقاء، ثم بعد أن كانت بقرب أمها خطرت على بالها فكرة ما، فحدّثت نفسها بصوت منخفض:

- هل كان عليّ أن أخبرها عن هذا؟؟ آه لقد قضي الأمر ولا جدوى
من إعادة فتحه مجددا!

26

البريئة الخبيثة!

بعدها عادت حياة جاد إلى سابق عهدها، وبدأ يحاول الاعتياد عليها وتقبلها، ظهرت له مشكلة أخته من حيث لا يحتسب، فجاهد كثيرا من أجل إعادتها إلى طبيعتها ووطن أنه نجح إلا أن هذا لم يكن صحيحا، وبعد أن حاولت قتل نفسها بدأ يفكر مع عمر وسوزان بطريقة مناسبة لتجنب هذا الأمر، لكن...

- لكن دون تدخل أي طبيب، سأرعاها بنفسي وسأسهر الليالي من أجل الاعتناء بها، إلا أنني لن أسلمهم أختي سأبعد عنها أي شيء قد يؤذيها لكنني لن أتركها وحيدة في مثل تلك المستشفيات والمصحات

استلم عمر دفة الحديث ليقول له مطمئناً:

- لن يؤذيها أي أحد كن واثقا بهذا، سيشفرون على حالتها وسيؤمنون لها الرعاية وكذلك ... الحماية، سيجمونها من نفسها، سيمنعونها من إيذاء نفسها، هذا كل شيء

وجدت سوزي أن تدخلها قد يلزم في موقف كهذا فتابعت كلام عمر بنبرة مشجعة:

- عزيزي جاد، إياك والقلق فهذا سيكون أفضل حل لك ولها، فهم يعرفون كيف تتم معالجة مثل تلك الحالات، لذلك سيخففون

عنها وسترجع إلى بيتها بعد فترة وهي بأفضل حال، وعندما تكبر أكثر ستنسى مثل تلك الأشياء ... بالتأكيد

بدا وكأن جاد لا يستمع، فما بين هذا هو صراخه العنيف بوجهيهما:

- يكفي هذا ... لقد قلت لا وانتهى، إنها أختي وأنا ولي أمرها الوحيد لذلك دعوني أبت في هذا لوحدي

ثم تابع بهدوء أقرب منه إلى البكاء:

- لا أريدها أن تجد نفسها وحيدة، لا أريدها أن تظن أننا تخلينا عنها، لأن هذا ... سيجعلها بحالة أسوء!!

لم يعلق أحد فتابع موجهها كلامه لعمر:

- هل لي بخدمة؟

- نعم؟

- أريد منك - إن لم تكن تمانع- أن تذهب معي إلى منزلي لأنني سأقوم بتنقيته من أي شيء قد تستخدمه لإيذاء نفسها قبل أن أرجعها إليه

ثم نظر إلى سوزي بامتنان وقال:

- عمة سوزي ... شكرا لك على فكرتك بقدم أختي إلى هنا لبعض الوقت، فلقد أحبتك بحق، والآن وبما أنها نائمة سنذهب أنا وعمر

- حسنا؟

تمتم بعبارات فارغة ثم قال أخيرا بتركيز:

- هل يمكنك الاعتناء بها ريثما نعود؟ أعلم أنني شخص ثقيل الظل إلا أنني أعدكم بأنني سأريحكم مني بعد فترة
- لا داعي لهذا الكلام يا جاد، سأعتني بها بكل تأكيد
- وبعد أن مر وقت ليس بطويل على ذهابهما، شعرت سوزي بالنعاس يزحف إلى جفنيها فقامت من فورها وصنعت كوبا كبيرا من القهوة، ثم بدأت تحتسيه وهي واقفة في المطبخ تنظر إلى النافذة
- عمة سوزان! من يعتقدي حتى يخاطبني بتلك الطريقة! ما زلت في ريعان الشباب، يا إلهي! لم يتعذر على معشر الجيل الجديد هؤلاء فهم مثل تلك الأمور؟

كانت تبتسم بهدوء إلا أن سمعت صوتا غريبا خلفها يتمم بكلمات فظيعة، شعرت بالرعب يعتري جسدها فحاولت الالتفاف لتطالع وجهه، لكنها أحست بطرقة عنيفة على رأسها فانزلقت القهوة من يدها وأحدثت صوتا مدويا على الأرضية الخشبية، ثم فقدت إحساسها بكل ما يجري حولها...!

كانتا تشرعان في إعداد قائمة الأسئلة التي ستوجهها أمل للشهود أثناء مرافعتها عندما تصاعد رنين هاتفها الملح...

- من قد يتصل في مثل هذه الساعة؟
- سأرى حالا
- قامت من فورها لأخذ هاتفها، وبعد إمساكه فرجت أساريرها وهتفت:
- مكالمة فيديو من آدم!

- ها! حقا!
- نعم نعم ... فلتجلسي بعيدا كيلا يلمحك، هيا بسرعة
- طاوعتها ندى دون أن تعلق، وبعد أن استقرت في مكان مناسب بدأت
المكالمة وهي تقول بفرح:
- أهذا أنت يا آدم! كيف حالك؟
- أنتها صورته؛ وهو يجلس على الأريكة مرتديا كنزة بيضاء زادت من
وسامته...
- نعم هذا أنا ... لقد قلت لنفسني: بما أن العريضة أمل لا تتصل بك
ولا تسأل عن أحوالك البتة، فلتتصل بها أنت إذن ولترى مدى
تقدمها
- ضحكت بخفة ثم قالت معذرة:
- آه! أنا حقا آسفة، لكنه العمل يا آدم، إنه يأخذ وقتي كله
- العمل! كيف يجري العمل؟
- الحمد لله على كل حال، لكنني لا أحرز ذلك التقدم الذي أريده
طالعتها بعطف ثم سألت بهدوء:
- حقا؟ لماذا؟ ألم تعرفي ما الخلل؟
- استطردت تشرح بهدوء مغلف ببعض الكآبة:
- أنا الآن في هذه الحالة أدافع عن شخص متأكدة تماما من صحة
أقواله وادعاءاته، لكنني لا أستطيع إثبات ذلك لأي أحد منهم،

فكلهم ضدّها، وهم يصتّون أيضا على أنّها مذنبّة مع أنّي
مستعدّة لأقسم الآن بأنّها مؤامرة بينهم

- مؤامرة؟ وما الهدف؟ يعني ... لماذا يفعلون هذا؟ ما دافعهم؟

خفضت بصرها إلى الأرض ثم قالت ببطء:

- مع الأسف، هذا ما لا أعرفه

ران صمت خفيف إلى أن قطعه وهو يهتف بحماس:

- متى ستكون أول جلسة؟

- بعد غد ... لذلك أنا قلقة

- وهل حضرت لمرافعتك جيدا؟

- هذا ما كنت سأفعله الآن، أنا و....

بترت جملتها على الفور، إلا أنه لاحظ هذا مما دفعه ليستفسر قائلا:

- أنت ومن؟ كنت أحسب أنّك وحدك

اصطنعت ضحكة بدت حقيقية ثم قالت مستدركة:

- أنا بالطبع لوحدي، لكنني صرت أشارك كل شيء أراه حولي معي،
وخشيت أن تظنني مخبولة إن أخبرتك بهذا!، آه من الوحدة، ما
أصعبها!

ابتسم ابتسامته المعهودة ثم قال مجددا:

- جيد إذا؛ فلتحضري الشيء الذي كنت ستدوينين عليه مرافعتك
ولنتشارك سويا في التحضير لها

- أنت جاد؟!
- بالطبع
- لكن ... ألسنت مشغولا؟
- لا أبدا ... أنا متفرّغ تماما
- همت بالقيام إلا أنه استوقفها بسؤال صغير:
- ماذا سترتدين في أول جلسة؟
- حكّت مقدمة رأسها ببطء وهي تفكر، ثم قالت بحيرة:
- بصراحة، لم أفكر بهذا بعد، وهل هذا مهم؟
- بالطبع مهم، أعطني عنوان الشقة التي تمكثين بها وسأرسل لك ملابس مناسبة، من متجر أعرفه في باريس
- ملابس مناسبة؟ لا تتعب نفسك فلديّ الكثير من الملابس، سأنتقي أي شيء وأرتديه
- لا ينفخ لأي شيء، لقد كنت البارحة أتصفح في "الفيسبوك" عندما رأيت إعلان لملابس جديدة في هذا المتجر، وفكرت أنها ستناسبك تماما في مثل هذه الأمور
- كادت تهم بالكلام إلا أنه منعها وهو يقول بغضب مصطنع:
- لا أريد أي اعتراض ... مفهوم؟
- ضحكت للمرة الثالثة على التوالي ثم قالت:
- مفهوم ... مفهوم

أعطته عنوانها، ثم قامت لتحضر حاسبها الشخصي وبعد أن جلبته وهمت للعودة إلى مكانها، وكزتها أختها ثم ابتسمت مشاكسة، فكادت تعترض بصوت عالٍ إلا أنها منعت ذلك واكتفت بتأنيبها بنظرة ذات مغزى، وأخيرا جلست من جديد وقالت له بلهجة مسرحية:

- تجهز لتخوض معي ... مغامرتي المعقدة

- أشعر براحة ضمير الآن، فكل شيء قد يسبب لها الأذية قد تمت إزاحته، وهكذا سأريح نفسي من القلق الشديد والتفكير الزائد عن الحد

- نعم معك حق، أتمنى من كل قلبي أن تستعيد رباطة جأشها، لكيلا نضطر إلى تصرف قد يزعجها ويزعجنا

رماه جاد بنظرة حادة ولم يعلق، كان يريد أن تظل أخته معه مهما حدث ومهما كان الوضع حرجا، كان يشعر اتجاهها وكأنها تحفة جميلة يريد المحافظة عليها والاحتفاظ بها للأبد، فقد كانت الشخص الأخير الذي بإمكانه أن يرجع له ذكريات الماضي العذبة فيأنس بها ويستمتع بحديثها، لكن ... هل يا تراه يتصرف بأنانية؟؟ هذا ما كان يفكر فيه في اللحظة الحالية...

- ها قد وصلنا، يبدو أننا لم نتأخر كثيرا!

طرق عمر على الباب وانتظر لكي يفتح لكن أحدا لم يفتحه، عاود الطرق من جديد بقوة أكبر ثم ضغط ضغطات متتالية على الجرس فأحدث رنينا حادا إلا أن النتيجة لم تختلف

- أظن أن العمّة بالغت بالاعتناء بأختي!، إنني ممتن لها بكل الأحوال!

ضحك عمر بهرج ثم قال:

- نعم ... هذا ما يبدو!، إن سوزي مخلصه جدا

عاود الطرق على الباب من جديد لكن جاد أوقفه...

- لعلهما نائمتان، ألا تمتلك مفتاح؟ فسيكون هذا أفضل من إيقاظهما

- بلى أظنني امتلك واحدا

قلّب يديه في جيوبه بحثا عنه ثم أخرج محفظته السوداء الصغيرة وبحث من جديد، وبعدها بحث في جيوب سترته إلا أنه لم يعثر عليه..

- هل من الممكن أن أكون قد نسيتته في مكان ما!، يا للحظ العاثر!

طرق جاد البوابة بعنف عوضا عن صاحبه، ثم بدأ يهتف بصوت أجش:

- جودي ... عمّة سوزي ... فليفتح أحد لنا الباب، هل تسمعانا؟!
أجيبا

لم يصلهما أي جواب ولم يفتح الباب كذلك، فتوجهها وجلسا على إحدى الدرجات وبدأ ينتظران، إلا أن القلق بدأ يساورهما...

- أيعقل أن مكروها قد حصل لهما؟!

ردّ عليه عمر بلهجة مقنعة:

- لا لا أظن هذا فإن لم تكونا نائمتان أو تدبران لمقلب سخيف، فأضعف الإيمان أنهما قد خرجتا للتسوق وستعودان بعد قليل

مطّ جاد شفّتيه بشيء من الحيرة ثم قال:

- هذا احتمال وارد

تابعا الانتظار إلا أنه لم يتغير أي شيء، أخرج كل منهما هاتفه المحمول، فاتصل عمر بسوزي، وجاد بأخته، وكررا الاتصالات والنتيجة سلبية، جودي وسوزي لا تجيبان بأية طريقة

- عمر ... بدأت أخاف عليهما ... يبدو أنهما ليستا بخير

كان عمر يشعر بذات الشعور فلم يعلق بل اكتفى بهرش رأسه وهو يفكر، وبعد تفكير دام لبضعة دقائق هتف وهو ينهض بسرعة:

- لقد تذكرت! ... إن إحدى صديقات سوزي المقرّبات تقطن في هذا البناء، وسوزي دائما ما تترك عندها نسخة من مفتاح الشقة على سبيل الاحتياط، سأذهب الآن لكي أسألها عنه وأنت ... فلتظل هنا وتراقب أي جديد

- أهلا عزيزي عمر، هل من خطب ما؟ أراك قلقا

- لا شيء يا آنسة سارة، كنت فقط أريد أخذ المفتاح الاحتياطي الذي تتركه سوزي عندك عادة

- المفتاح، سأجلبه حالا، لكن أين سوزي؟ أليست في المنزل؟

- لا لا أظن هذا، يبدو أنها ذهبت للتسوق

- هكذا إذن ... ثوان وأحضره

غابت في الداخل لبضعة دقائق ثم خرجت بعدها وعلامات قلة الحيلة بادية في ملامحها، نظرت إليه بعطف ثم قالت بأسف:

- اعذرني يا عمر ... لم أجده!
- طالعتها بدهشة حقيقية ثم سألت:
- لكن كيف؟ ألم تتركه عندك؟
- شدت شحمة أذنها بعصبية ثم قالت:
- أنا آسفة ... لا أدري، لا أدري
- ثم أردفت وكأنها استدركت شيئاً كان قد غاب عنها:
- أوه! لقد تذكرت للتو!، إن سوزي قامت بأخذ المفتاح المنشود منذ حوالي ثلاثة أيام، وكانت عندها قد نسيت مفتاحها الأصلي داخل الشقة وبعد أن خرجت تذكرته
- أولم تعيده؟
- لا لم تفعل
- ضرب كفيه ببعضهما بحنق، ثم شكرها وهمّ بالانصراف إلا أنها، تداركت نفسها وهتفت له:
- لا تغضب، ادخل وانتظرها عندي إن شئت ... فسيكون هذا أفضل بكثير من انتظارها في الطرقات
- صاح بغضب، وبدا وكأنه يحادث نفسه:
- ما هذه الحماسة منها!!، ألم نوصها على البنت ونطلب منها البقاء في المنزل، ماذا لو كان ما أخشاه قد حدث؟؟ يا إلهي ماذا أفعل؟

شبهت سارة بلوعة، وكادت تحدّثه إلى أنه سعد من جديد ولم يأبه لها، ثم وصل إلى عند صديقه وسأله بنفاذ صبر:

- هل من جديد؟

- لا

كانت عبارته القاطعة تحمل بين طياتها الكثير من المرارة...

- سأكسر الباب

هب جاد واقفا بسرعة كالبرق وصرخ بصوت عال:

- هل جننت؟ كيف ستفعل هذا؟؟

- لن أفعله وحدي ... ستساعدني

زادت دهشته إذ قال بنفس النبرة العالية:

- أساعدك؟ بكسر الباب!، بالله عليك يا عمر! أنا لا أفهمك

خرج عمر عن طوره وفقد كل الصبر الذي كان يحاول جاهدا التمسك به، أمسك بصديقه من ياقته ثم صرخ فيه وكأنه لا يستوعب أي شيء حوله:

- ما الذي لا تفهمه؟؟ قلت لك سنكسر الباب؟، ثم ... ما الذي

دهاك؟ لم كل هذا البرود؟؟

رد الصرخة بأشد منها:

- ما الذي يدفعني للتصرف مثلك، ستكونان بخير، ما بك؟؟

أفلته عمر، ثم علّق بسخرية لاذعة:

- ما بي؟ حقا! إنني خائف على عمتي، إنني أخشى عليها من أختك المجنونة تلك، أخاف أن تؤذيها!

سرت رعشة في جسد جاد ثم قال والشرر يتطاير من عينيه:

- أصبحت أختي مجنونة الآن!!، أختي ستؤذي عمك!، آه يبدو أن شيئا ما مس عقلك، فتاة مسكينة يئست من الحياة بعد فراق والديها وأحببتها، فتاة حاولت أن تنهي حياتها من شدة حزنها، أصبحت الآن قاتلة! أصبحت الآن خطيرة!

فتح الباب المجاور لباب الشقة، وخرج منه رجل في العقد الرابع يرتدي قميص داخلي وبنطال زيتي عريض، طالعهما بنظرة انزعاج ثم هتف بلهجة خليجية متقطعة:

- ما الذي يحدث هنا؟ لم كل ذلك الصباح يا شباب؟

شرح له عمر الوضع بشكل سريع، فأطلق صفرة عالية ثم قال بشهامة:

- فلنكسره إن كنت تشك بشيء ما يا عمر

ثم تابع بمرح خفيف:

- وسنصلحه فيما بعد

تعاون ثلاثتهم على خلع الباب وبعد عدة محاولات تمكنوا من ذلك، تنحى الرجل جانبا حفاظا على خصوصيتهما ثم استأذن منهما ودخل شقته ثانية، وبعدها توجهها إلى الداخل ... تفرقا سريعا وبدأ يناديان ويبحثان، فدخل جاد أولا إلى غرفة المعيشة ونادى لكنه لم يجد أي احد، ثم دخل إلى غرفة النوم التي كانت تستريح بها أخته ... أنارها بسرعة ونادى عليها لكنها لم تكن موجودة، تقدّم ببطء نحو السرير الذي كان مرتبا رغم أنه لم يكن كذلك عند مغادرتهم وانحنى بقربه ليتمكن من رؤية ما تحته إلا أنه

27

البريئة الضائعة

- لقد كان مريعا!! لقد كان مريعاً
طالعتها عمر بإشفاق وهي ممددة على الفراش الأبيض ثم قال بحنو:
- أخبريني ... كيف حدث هذا؟
- قلّبت مقلتيها في أرجاء الغرفة بشيء من الحيرة، ثم ركزتها على وجهه
بثبات وقالت:
- لقد أخافتني تلك الفتاة!، آه أتى لها أن تفعل هذا بي! ... لقد
تفوهت بكلمات فظيعة من خلفي لقد قالت: سأتخلص منك
الآن ثم سيحين دوري لاحقا، وبعدها ضربت رأسي بشيء ثقيل، لا
لا أعلم كيف تمكنت من حمله وتوجيه ضربة لي به!، يبدو أنها
جنّت أو حصل لها شيء ما هنا
- أشارت إلى رأسها بصعوبة ثم أرخت يدها على الفور واستدركت:
- أين جاد؟ هل فرّ لكيلا يواجهني؟، أظن أن الذنب لا يقع على
عاتقه حتى لو كانت أخته
- لا ليس من أجل هذا ... لقد ذهب لكي يبحث عن أخته، آه ... أظن
أنني قسوت عليه بما فيه الكفاية بتحميله خطأها، لكنني كنت
متوتراً وخائفا ... جدا

ابتسمت رغم ألم رأسها ثم قالت تمازحه:

- لقد كشفتك أخيرا ... لقد كنت خائفا علي!، آه أعلم أنك لا تقوى
على العيش بدوني ... يا لي من محظوظة!

مرر نظره على وجهها بسرعة ثم أشاح وجهه ولم يعلق، فأردفت بشيء
من التعاطف:

- مسكين جاد ... لقد قدّر له أن يبتلى بأعز الناس على قلبه!، أولا
أباه ثم أمه والآن أخته جودي، بصراحة أنا أتمنى أن تكون بخير
رغم كل ما فعلته

كان دائما ما يفتخر بتلك الخصلة الطيبة المتغلغلة فيها، نعم! إن سوزي
طيبة القلب دائما، تذكّر المرات التي أساء لها فيها أو جرحها وكيف كانت
دائما ما تتسامح معه وتصفح عنه، إن سوزي بحقّ إنسانة رائعة!، لقد
كانت تلك الفكرة تراوده كلما تعرضت لموقف صعب وتغلبت عليه
بطبيتها ورقة قلبها...

- لقد اطمأنتت عليك ... والآن سأذهب إلى مكان تواجد جاد،
وسأساعده

ثم استطرد بعد أن وصل إلى الباب:

- لا أريد أن أتخلى عنه في أصعب المواقف فهو ما يزال صديقي،
حسنا إذا ... حظا طيبا!

جَاد

لقد راودني هذا الشعور من قبل عندما تعرضت جودي ووالداي لحادث السيارة، لقد أحسست حينها بالمشاعر السيئة ذاتها إضافة إلى دقائق القلب المتسارعة والتعرق والرعشة من آن لآخر، فها أنا الآن في طور البحث عن أختي التي من المرجح أن ... تكون قد تهوّرت وفعلت شيء لإنهاء حياتها، آه! لماذا يا جودي؟؟؟ لماذا تفعلين هذا بي؟، لقد ... لقد حاولت فعل أي شيء لك من أجل إسعادك، ولم أدّخر جهدا لحمايتك!، أرجوك لا تتهورى، أيها الرب ... احفظ أختي جودي، أرجعها سالمة إليّ أتوسّل إليك، فلم يبقى لي غيرك لكي أناجيه وأدعوه، نعم أنا أوّمن بك وبشدة! فلا تردني خائبا أرجووك...

طفت البناء بحثا عنها، في داخله وفي حديقته الأمامية والخلفية، ثم انتقلت إلى البحث في الحي الواقع فيه وبعدها عاودت البحث فيه فبدأت أدخل متجرا تلو الآخر وأسأل صاحبه عنها ثم أريه صورتها لكنني لم أجدها...

عاودت الإتصال بها مرة تلو الأخرى لكن هاتفها كان مغلقا!، والآن ماذا أفعل؟؟، بدأت أسأل كل من أراه أمامي عنها وأريه صورتها لكن أحدا لم يتعرف عليها، أين أنت يا أختي؟ اظهري أرجوك ... هيا أنا بانتظارك!

توجهت إلى مكان تتجمع فيه العديد من سيارات الأجرة كل يوم وبدأت أسأل سائقا تلو الآخر...

- مرحبا يا عم ... هل رأيت هذه الشابة تتجول في الأرجاء؟

- أهلا يا ولد، لا لم تسبق لي رؤيتها

-

- السلام عليكم، هل رأيت هذه الفتاة تتجول هنا أو في أي مكان سرت فيه؟

- لا لم أرها، من هي هذه؟
- إنها أختي وهي ضائعة
- عذرا لا أستطيع مساعدتك
-
- كيف الحال ... هل رأيت هذه الفتاة في أي مكان؟
- ألا تراني أعمل يا هذا!، فلتغرب عن وجهي فلا وقت لمزاحك
السمح
- لم أجد أي نتيجة تذكر، لا أحد رأى جودي ولا أحد يعلم مكانها، بدأت أفقد صوابي ولم أعد أعي ما الذي علي القيام به، إلا أنني أحسست ببعض الأمان عندما رأيت عمر يلوح لي وهو يقترب مني....

سيلين

غذا المحكمة! آه هذا رائع، فتلك المهزلة ستنتهي قريبا وأنا من سأنهيها بلا أدنى شك، نعم أنا!!، إنني أشعر بالغرور فأنا من سأقلب الطاولة ثم سأقول لتلك الخبيثة راندا: مات الملك، سأجعل السحر ينقلب على الساحر وسأنهي حياة راندا وأجعلها تتلف سنوات عمرها وهي متهالكة خلف القضبان...

أنا سيلين كلوب، سأري الناس أجمع عاقبة من يزعجني ويهددني، إلا أنني مع كل هذا خائفة بعض الشيء من المواجهة، فقد سبق لها وهددتني بأنها ستقتل والديّ إن تهوّرت ... لكن لا، فأنا أريد أن أكون سببا في فضيحتها أمام كل من يكن لها الودّ أو الاحترام، سيمحى اسم راندا تشارلز

من هذا الكون، وسأنتقم لكرامتي التي أرغمتني أن أدهسها ... سينتهي
كل شيء غدا!!!

28

محكمة

- " كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة "

أدت ممرضة تدعى جوان القسم ثم شهدت بما رأته وسمعتة بيوم الحادثة، كانت شهادة غير مثيرة للاهتمام على وجه التحديد، مما جعل أمل ترجع بذاكرتها -وبذهن شاردي- إلى بداية المحاكمة، إلى وقت دخول المحلفين الستة، والذين خيَّبوا أملها بكل معنى الكلمة فمع أنها حاولت انتقاء الأفضل منهم إلا أنه لم يكن بينهم من يبشر بالخير لا أحد مسلم أو حتى عربي، وهذا ما كان متوقعا في بلد كهذه!!...

كانت تشكيلة سخيصة للغاية، فالرجل الأول كان بدينا ذو وجه محمر ويبدو على سمته الخجل، وكان بين الفينة والأخرى ينظر حوله بشيء فسرتة على أنه قلق أو ما شابه ثم يعدل مظهره ويحكم ربطة عنقه التي بدت وكأنها حبل ثخين يطوق رقبته، أما الثاني فقد كان رجلا أحمر الشعر مفتول العضلات وواثق بنفسه إلى درجة تثير الاشمئزاز حيث كانت نظراته المتعالية ومشيبته المتبخترة المصطنعة تؤكدان هذا، أما الثالثة فهي عجوز بيضاء الشعر ثرثرة تحمق هنا وهناك محاولة تحليل شخصية كل من تراه عينها، بينما كانت عيناها تشبهان عيني العنزة مما جعل أمل تهمس لنفسها: "دائما ما يقال أن العنزة رمز للشعر، لنرى ما الذي سيصدر عن تلك العنزة الثرثرة"، تابعت تذكر شكل المحلفين إلا أن وصلت لعند الرجل السادس ذو البشرة السوداء والذي جعلها تتعجب بعض الشيء لكنها غيرت رأيها به حينما فكرت أنه قد يشكل فارقا في رفض العنصرية فهو نفسه من الممكن أنه قد عانى منها...

وبعدها، تذكرت القضاة الثلاثة التي أطلقت عليهم حالما رأتهم لقب العجائز الحمقى، ثم منظر جيهان التي بدت شاحبة للغاية وهزيلة حينما دخلت مع حاجبان ووقفت بالقرب منها على منصة الدفاع...

استعادت تركيزها تدريجيا، وبدأت تفكر وتعمل بجدية بالغة، فحالما أخذت أقوال الممرضة وخرجت، طالعت الدفتر الذي كتب عليه أسماء الشهود على التوالي ثم حبست أنفاسها ونظرت إلى جيهان نظرة تشجيع، وبعد هذا بثوان معدودة طرق القاضي الرئيسي على طاولته وقال بصوت وقور:

- الشاهد التالي

دخلت إيميلي بثقة ثم وقفت في المكان المخصص وبدأت شهادتها...

- كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة

- اسمك ... سنك ... مهنتك؟

- إيميلي بيكر، 32 سنة، طبيبة جراحة في مستشفى " لا بيل سانتى"

عم صمت رهيب أرجاء المحكمة ثم قطعه النائب العام:

- أخبرينا بكل شيء تعرفينه ... آنسة إيميلي بيكر

نظرت إليه إيميلي بلامح متحفزة فأردف:

- حادثة وفاة السيدة ناتالي براون؟؟.

- حضرة النائب العام، في تلك الحادثة أنا لم أرى شيئا لأذكره، لكنني سمعت أن المتهمه جيهان مندو كانت مصابة إصابة بليغة في يدها التي تقوم بعملية الجراحة بها، وسمعت أيضا بل

- حتى رأيت على الكاميرات أنها بكت بأسى وبدت متوترة بعد أن انتهت العملية بشكل سلبي
- هل سبق وأن رأيت تصرفات غريبة تصدر عنها منذ أن بدأت العمل في المشفى؟
- لقد كانت منعزلة على نفسها معظم الأوقات ولم يكن لها أحد تحدثه إلا طبيبة تسمى ريم النحاس، كما أنها كانت تنتقني بشدة عند أي تصرف أقوم به
- نظرت جيهان بدهشة ثم غمغمت بصوت عال:
- لطالما كنت لطيفة مع الجميع ... وبالأخص معك!
- ضرب القاضي الحانق مرة أخرى على الطاولة، بينما دنت أمل من جيهان وهمست لها:
- لا تفقدي رباطة جأشك سريعا، فمازالت هناك أكاذيب وافتراءات كثيرة ستسمعونها
- تابع النائب العام أسألته:
- ومن كان شاهدا على أنها ارتكبت هذا الخطأ ... عمدا
- طبية شاركتها بالعملية، تدعى سيلين كلوب وأظنها ستشهد بهذا
- هذا كل شيء لديك؟؟
- نعم حضرة النائب العام
- طرق القاضي على طاولته ثم أعطى الأمر لأمل لكي تدلي بأسئلتها...

وقفت أمل ثم قالت بهدوء وثقة:

- لدي سؤال واحد فقط؛ هل رأيتِ موكلتي وهي تقوم بما تدّعون أنه "الخطأ المقصود"؟؟

طالعتها إيميلي بنظرة طويلة قاصدة استفزازها ثم أجابت:

- لقد قلت سابقا بأن سيلين كلوب رأتها

نظرت أمل للقاضي ثم قالت:

- حضرة القاضي ... في تلك الحالة نحن نحتاج للدقة وهي لا تمتلك أي دليل دقيق بما فيه الكفاية لإدانة موكلتي

طالعتها ببرود ثم قال بصوت أجش:

- الشاهد التالي

خرجت إيميلي والكثير من المشاعر السيئة تعتربها، توجهت فورا إلى مكان راندا وريان، وبسرعة خاطفة وجدتهما: كانا جالسا على أحد الكراسي، وكانت راندا تضع ساقا فوق أخرى وتمسح على شعر ريان الهادئ بمكر وحالما رأت إيميلي تتقدم نحوهما ابتسمت لها ابتسامة مقرزة ثم قالت وهي تشير إلى سماعة لا سلكية داخل إذنها:

- شهادة رائعة! إيميلي العزيزة

ثم قامت وقربت ريان منها وهمست في أذنه بخبث:

- هنيئا لك! يبدو أن إيميلي تحبك بشدة

وبعدها غيرت مكانها لتكمل أعمالها إلى أن يحين موعد شهادتها...

- سيلين!

توجه نظر سيلين كلوب إلى محدّتها وقالت بلهجة جافة بعيدة تماما عن الحنق الذي كانت تشعر به:

- أهلا راندا ... ماذا تريد مني؟

- أوه ما بالك تتكلمين بتلك الطريقة!، خذي شاركني ببعض العصير فأمامنا الآن شهادة طويلة عريضة ونحتاج لبعض الطاقة قبلها

ابتسمت سيلين ابتسامة صفراء وهي تتناول كأس العصير منها بينما تحدّث نفسها بتهكّم: "لو تعلمين يا راندا العريضة أنك تمديني بالطاقة لشهادة ستمكتين بعدها خلف القضبان لأجل غير مسمى"، وبينما تشربه وهي غارقة في شرودها خاطبتها راندا بسخرية:

- كيف تجري الأمور داخل المحكمة؟ هل ما زالت تلك المدعوة جيهان على قيد الحياة؟

- إن كل الشهادات ضدها، ويبدو أنها لن تنجو البتّة

- أوه المسكينة! كم أشفق عليها

طالعتها سيلين بحدة وقالت بهدوء:

- اسمحي لي عليّ الذهاب فلم يتبق إلا القليل من الوقت ليحين موعد شهادتي

استدارت ومشت بخفة لكنها التفتت من جديد وقال بامتنان مصطنع:

- بالمناسبة، شكرا على العصير فلقد حسّن مزاجي بدرجة معقولة

ابتسمت راندا ثم قالت بوداعة غريبة عن طبعها المعهود:

- لا شكر على واجب حبيبتني ... هذا أقل شيء ممكن أن أقدمه لك

ثم راقبت انصرافها وهي تهمس بخبث بدا فيه صوتها كفحيح أفعى:

- دقائق قليلة وينتهي كل شيء ... كل شيء

- ستعدّل النتيجة الآن ... فالشاهدة التالية ستكون ريم النحاس!

- أتمنى أن تبلي بلاء حسنا

سمعتا طرقة على طاولة القاضي وهو ينادي: " الشاهدة التالية ... ريم النحاس"، ثم دخلت ريم بعد بضع ثوان وهي بكامل ثقتها وأناقته...

أدّت القسم ثم قدّمت عمرها ومهنتها، وبعدها نظرت إلى النائب العام بتحد إلى أن سألتها:

- ما نوع الشهادة التي ستشهدينها؟

- حسنا ... أنا مستعدة لأقسم من جديد -يا حضرة النائب العام- على حسن سلوك المتهمّة جيهان مندو، فقد كنت أعمل معها سابقاً في مستشفى بموطننا سوريا ولم يصدر عنها أي خطأ عن عمد أو عن غير، وها أنا ذي أمامك الآن أشهد بسلامة سيرتها المهنية وغير المهنية من أي شائبة أو خلل

- هل هذا كل شيء؟

- نعم

اقترب القاضي الرئيسي من القاضي الذي على يمينه وهمس له بشيء فحرّك رأسه ببطء وهمس للقاضي الذي على شماله ثم هزّ رأسها ثلاث مرّات على التوالي، ونظر إليها وأمرها بالانصراف، ثم طلب الشاهد التالي...

لكن تغيراً مفاجئاً عم أرجاء القاعة، عندما بدأ شرطيان بإعطاء أوامر للحضور بإخلاء القاعة، فخرجوا جميعاً حتى لم يبقى إلا بضعة أشخاص، القضية الثلاثة والمحلون الستة وجيهان وأمل و... الشاهدة التي دخلت بهدوء بعد أن أخلت القاعة لها، مما جعل أمل تهتف بصوت شبه مكتوم:

- يبدو أنها طلبت التمتع بنظام حماية الشهود!، هذا مثيراً!

بدا التوتر على ملامح جيهان التي همست بصوت متشنج:

- لعلها تمتلك معلومات جديدة!، الله يسترنا!

وقفت سيلين بغير واهي تتنسم بتهكم، ثم انساب القسم من شفيتها بكل هدوء و... استفزاز وبعدها قدّمت اسمها وعمرها ومهنتها الحالية...

- آنسة سيلين كلوب، يبدو أن المعلومات التي تدلين بها ذات أهمية معينة، الأمر الذي دعاك إلى طلب التمتع بنظام حماية الشهود

حركت رأسها ببرود علامة على الإيجاب، ثم قالت بثقة:

- لو لم تكن كذلك لما حضرت، فإن معلوماتي كافية لقلب الموازين يا سعادة القاضي

- فلتدلي بدلوك إذا

- بالطبع... لقد كنت شاهدة على العملية أي وبشكل أدق لقد كنت أنا من ساعد جيهان مندو في إجراءاتها

- حسناً؟

شعرت بتشوش قليل في الرؤية حولها وبضيق تنفس، فسكنت للحظات وهي تحاول السيطرة على نفسها، وسرعان ما استعادت ثقتها وابتسامتها، متناسية الآلام التي بدأت تشعر بها بمختلف أنحاء جسمها، نعم! لقد كانت سعيدة، لا شك في ذلك! فلقد كانت تلك لحظتها، انتصارها، وماذا في ذلك إن كانت قد تعرّضت لبعض المواقف التي أظهرت بها ضعفها؟؟ سترد الآن الصفة التي تعرضت لها بأخرى أقوى بكثير، نعم ستفعل بالتأكيد!، تنفست الصعداء ثم استطردت:

- لقد كنت أحدث نفسي إن كان علي الإدلاء بشهادتي أم لا، لكنني اتخذت قراري بعد تفكير مطوّل، اتخذت قراري المصيري وقررت المجازفة بكل شيء، ففي الحقيقة لم يكن الأمر اعتياديا يا حضرة النائب العام، واعتذر لقولي هذا الآن، فلقد كان كل شيء مدبّرا

- ماذا تقصدين بكلمة مدبّر؟، فلتوضحي أقوالك يا آنسة

- إنني أقصد ما تقصده الكلمة حرفيا أيها السيد، لقد كان عملا مدبّرا من قبل شخص ما

زادت آلامها بشكل رهيب وشعرت أن الأرض تكاد تميد بها، بينما كان النائب العام يكمل توجيه أسئلته بنفاذ صبر مشغولا عن تلك الواقعة أمامه تنازع الموت:

- ومن هو ذلك الشخص؟

صرخة!!

صرخة استغاثة عالية أطلقتها سيلين كلوب بينما يتبادر في ذهنها شيء واحد "العصير!"، وبعد ثوان معدودة كانت تتلوى فيها من شدة ألمها سجيت على أرض المحكمة والزبد يخرج من فمها، ثم سكن جسمها فجأة وتيبس!!!!...

وعند تلك اللحظة خيم صمت الذهول ... ولم يستطع أحد أن يعي ما حصل!!

29

استئناف؟؟؟

كانت لحظة ترقب عالية الشدة، كالتي تظهر في الأفلام!، حيث يسود الصمت أرجاء المكان وينوب عنه صوت صفير حاد، بينما يطرق الهواء على النوافذ العليا بعنف، ولا يكمل هذا إلا "جثة" سيلين كلوب، سيلين التي دخلت القاعة وهي تشعر بنشوة الانتصار والشهرة ستخرج في وضع مغاير تماما، وستحصل على الشهرة ولكن من ... نوع آخر!

طالع الجميع المشهد بفرع وكأنهم ينتظرون سماع صوت المخرج: "انتهينا، المشهد التالي" لكن لم يكن هناك مخرج ولم يكن هذا مشهد وإنما واقع، تقدّم الرجل ذو العضلات المقتولة - من هيئة المحلفين - نحوها ثم جس نبضها، بهدوء وبعدها حرّك رأسه ببطء وقال ببرود:

- مع الأسف! لقد ماتت

استعاد المشهد حيويته وبدأت تصدر عنهم تعبيرات مختلفة من استياء لخوف وحتى لمتعة، بينما كان فزع جيهان يكبر بشكل أكثر وهي تحدّث نفسها:

- يا إلهي! هل سيلصقون التهمة بي أيضا!!

نظرت إلى أمل التي بدت وكأنها غائبة عن العالم وقالت لها بصوت خفيض السؤال ذاته، فنظرت إليها أمل بحدّة وانفجرت بغضب مكتوم:

- ستكون تلك النهاية حينها! سأجعلهم يندمون! لن يستطيعوا أبدا
فعل هذا

ثم تابعت على نحو حزين:

- كيف حدث هذا؟، لقد كانت البراءة ستثبت بلا شك بعد شهادتها،
لقد كنا سنخرج منتصرين، آه ما الذي يحدث هنا؟ ... ما الذي
يحدث هنا

حضر الطبيب الشرعي لمعاينة الجثة وانتشر رجال الشرطة في الأرجاء،
وكانت الجلسة قد رفعت، فسألت جيهان محاميتها بقلق:

- هل ... هل سنستأنف؟ أم أن كل شيء قد انتهى ضدي؟؟

نظرت إليها أمل بشroud ثم قالت:

- في الحقيقة أنا لا أعلم

ثم أعادت جملتها وهي تشدد على الأحرف:

- أنا لا أعلم!!

- الو ... أوه أهلا سارة

قالت سوزي بلهفة وهي تحادث صديقتها فأجابت سارة بهدوء:

- هل تذكرين الفتاة التي حدثتني عنها؟ والتي كان اسمها جودي

- نعم بالتأكيد، هل رأيتها بأي مكان إننا إلى حد الآن نبحث عنها

ولم نجد لها أي أثر

- إنها عندي الآن

- عندك؟! وكيف هذا!!؟؟

- لقد أنقذها رآها باسل عندما خرجت من منزلك وكانت تصرفاتها مريبة فدفعه فضوله لكي يلحق بها والحمد لله أنه فعل فلولاه لكانت الآن جثة هامة
- كيف حصل هذا؟! أخبريني
- لا تقلقي سأخبرك فيما بعد، المهم الآن أنني وباسل سنعتني بها جيدا فكما تعلمين هو طبيب نفسي ويجيد التعامل مع حالات مماثلة

صمتت سوزي لبرهة ثم قالت:

- وما الذي يجبركما على هذا؟ أليس أخاها أحق بالعناية بها منكما؟
- زفرت سارة وقالت بصوت مغلّف بالحنن:

- لقد شق عليّ تركها بعدما سمعت منك معاناتها وكيف حاولت الانتحار في المرّة الأولى ولم تياس لتحاول مجددا، ثم إنني لا أرغب لأي فتاة أن تتأذى كما حصل مع ... ابنتي الحبيبة

تنفست سوزي الصعداء ثم قالت بتفهم:

- أنا أفهم شعورك يا سارة جيدا، حسنا فلتعتني بها لكن حافظي عليها أرجوك من أجل جاد فهو لا يطيق العيش دونها
- لا تقلقي يا سوزي، المهم مبدئيا الآن أن تبقي الأمر سرا بيننا لكيلا يؤدي تدخل جاد إلى أي إخلال بالخطة العلاجية خاصتها
- حسنا يا حبيبتي اتفقنا
- أصبح الآن واضح للعيان، إلا أنني لن أشهر الموضوع حالياً حتى تتمكن من علاجها
- حسنا تفعلين عزيزتي، آه يجب أن أذهب الآن ... إلى اللقاء

أنهت سارة البواب مكالمتها مع زفرة ارتياح ثم نظرت بترقب إلى زوجها الذي دخل الغرفة مسرعا وهتفت له:

- هل من جديد؟؟ هل هي بخير؟

طالعتها بعطف ثم قال:

- لا تقلقي عليها يا سارة، ستكون كذلك ... أتعلمين، لو لم آتي وأراها في الوقت المناسب وأنقذها لكانت الآن في عداد الموتى

- آه تلك الفتاة المسكينة!! أشفق عليها

- هل كانت صديقتك تحادثك؟

- لا أنا من اتصلت بها لأخبرها عن جودي، ولقد أوصتني بشدة أن أحافظ عليها

ضحك بخفة ثم قال بتهمك:

- لا داعي للتوصية مدام سارة، فطبيب حاذق مثلي يعلم كيف يؤدي عمله على أكمل وجه

- هل عثرت على أثر لها؟ أي أثر؟

- لا يا عمر، لم أجدها، أختي اختفت من جديد ... لماذا يحدث هذا لي؟!؟

عندما رآه بهذه الحالة التي تشبه سابقتها عندما فقد والديه، علم أنه قسى عليه بشدة ... فشاب بحالته يجب التعاطف معه ومساندته ... لا ريب، وضع يده اليمنى على كتف صاحبه ثم قال له بوذ:

- لا تقلق يا جاد ستكون أختك بخير، فهي بالتأكيد لن تستهتر بنفسها

قال ببرود يأس مخيف:

- من يحاول مزّة يحاول ألف أخرى

ثم ناوله الرسالة، فقرأها ثم كوّرها بيده بتصميم وهتف:

- سنجدها ثق بي ... هيا الآن

قاما بعملية بحث أخرى على نطاق أوسع لكن دون جدوى، ثم عادا إلى المنزل من دونها...

- أين الطابعة التي كنت تحتفظ بها؟؟

- أظنها في مكان ما بالعلية

- أحضرها فوراً، وأحضر حاسبك الشخصي ... فوراً

- حسناً سأفعل لكن قبل ذلك ... أخبرني؛ كيف حال العمّة الآن؟

ابتسم له برقة وأجابه مطمئناً:

- لا تقلق عليها، فسوزي العزيزة من حديد، ستكون بخير بلا أدنى شك كما سيكون الحال مماثل مع جودي ... هيا الآن

أحضر جاد ما طلبه عمر فبدأ الأخير بصنع ملصق عنون: **ساعدونا في البحث عن شابة مفقودة!!**، ثم وضع صورة واضحة لها وكتب: جودي حداد، ضائعة منذ قرابة 8 ساعات، من يجدها يحصل على مكافأة مادية مغرية بمقدار (...،)، ثم طبعه أخيراً ونظر لصديقه وقال له بحماس

- يجب أن نلصق في مختلف الأماكن ... هيا لنسرع!

قال صوت: اشربي هذا

كانت جودي ترتعد وفي عينيها نظرة غائمة، انكشمت إلى الخلف قليلا في كرسيها، فتكرر الأمر:

- اشربي هذا

وفي هذه المرة شربت طائعة، ثم غصت قليلا وشهقت قائلة:

- إنه ... إنه قوي جدا!

- سوف يحسن وضعك، ستشعرين بالتحسن خلال دقيقة واحدة، فقط ارتاحي وانتظري

كان من الجيد أنها لا تعرفه، فمعرفتها له كانت ستغير الكثير، انتظرت قليلا ففارقها ما كانت تعاني منه من غثيان ودوخة، وعاد بعض اللون إلى وجنتيها، وانتهت رعدتها، ولأول مرة نظرت حولها لترى ما يحيط بها، وقد كان يطغى عليها شعور بالفزع والرعب، ولكن الأمور بدأت وكأنها تعود إلى طبيعتها. كانت غرفة متوسطة الحجم مفروشة بشكل بدا مألوفاً بعض الشيء؛ أريكة جلدية، مكتب خشبي وكرسي ذو ذراعين وآخر عادي، وطاولة جانبية صغيرة عليها سماعة طبيب وآلة رأت أن لها علاقة بالعيون...

ثم انتقل انتباهها من العام إلى الخاص، إلى الرجل الذي أمرها أن تشرب، رأت رجلا في الثلاثينيات من عمره ذو بشرة بيضاء وشعر بني فاتح وأنف معقوف، أوماً برأسه كمن يطمئنها وقال:

- هل بدأت تستعيدين وعيك؟

- إنني أظن ... أنني ... من أنت ... آه! ما الذي حدث؟؟

- ألا تذكرين؟
- الشارع!، لقد اندفعت سيارة نحوى نظرت إليه ببلاهة ثم قالت ببلادة:
- لقد صدمت؟
- قال وهو يهز رأسه:
- لا، لم تصطدمي فقد جنّبتك هذا
- أنت؟؟
- نعم، فلقد كنتِ هناك في منتصف الطريق وسيارة تتقدم منك بسرعة، وقد استطعت بالكاد انتشالك من طريقها، والآن فلتقولى لي ... بماذا كنت تفكرين حتى ذهبت راكضة إلى منتصف الطريق بهذا الشكل؟
- أنا؟ أفكر ... آه بالتأكيد كنت ... أفكر بشيء ما ... أنا لست واثقة، أعني ... أعني
- كانت سيارة "بورش" قادمة باتجاهك بسرعة، ومن الاتجاه الآخر للشارع كانت شاحنة تسير بسرعة أيضا، هل كانت السيارة تحاول أن تصدمك؟
- تصدمني؟ أنا؟ كلا ... أوه كلا
- الحقيقة أنني شككت في ذلك
- ماذا تعني؟
- ربما كان الأمر متعمدا

- ماذا تعني بمتعمّد؟؟
- لقد تساءلت إن كنت قد حاولت أن تقتلي نفسك
ثم سأل بطريقة عرضية:
- هل كنت تحاولين ذلك؟
- أنا ... كلا ... كلا بالطبع
- قال بلهجة حانية أكثر:
- آه لا أظن هذا ... هيا فلتقولي لي، لا بد أنك تتذكرين شيئاً عن
الموضوع ... أليس كذلك؟
- عادت ترتعد وهي تقول:
- لقد ظننت ... أن الأمر كله سينتهي، كان مجرد ... تفكير
- إذا فقد كنت تحاولين الانتحار بالفعل؟ أليس كذلك؟ ما الأمر؟
يمكنك أن تخبريني، هل عنّفك أحد بشدّة؟ هل تعيشين حياة فقر
مدقع وتريدين الانتهاء منها؟ قولي لي ما القصة؟ ما الذي
دفعك لفعل هذا؟
- لا ... لا أبداً، فالمال الذي أملكه يطمرني من رأسي لأخمص
قدمي
- ولكن هذا لا يشكل سبب يجعلك ترمين نفسك أمام سيارة بورش
- آه لقد فعلت ذلك لأن ... لأن
- ثم توقفت عن الكلام فجأة
- من الأفضل أن تخبريني بالموضوع أليس كذلك؟

- كيف وصلت إلى هنا؟
 - أنا أحضرتك إلى هنا بسيارة أجرة، لم يبذُ عليك أنك مصابة إلا من بعض الرضوض، لكنك كنت تعانين من صدمة شديدة لذلك رأيت أنه من الأفضل أن آخذك بعدما بدأ الناس بالاحتشاد حولك
 - هذه عيادة طبيب؟ أليس كذلك
 - إنها مجرد غرفة استشارية أيتها الجميلة، وأنا طبيب واسمي باسل
 - ابتعد عني في الحال، لا أريد أن أرى طبيبا! لا أريد أن أتحدّث مع طبيب
 - لقد كنت خلال الربع الساعة الماضية تتحدثين مع طبيب بالفعل، آه! فلتقول لي؛ ما هو العيب في الأطباء؟
 - ستأخذني إلى مصحة! نعم ستقوم باحتجازي
 - يبدو أن لديك بعض الأفكار الغريبة عن الأطباء!، من الذي قال لك هذا؟ إن المصحات يا عزيزتي تضجّ بمئات الأشخاص كما أنني لا أجد سببا يدعوك لدخول إحداها، فأنت على ما يبدو فتاة عاقلة
- سكت قليلا ثم قال بهدوء:
- ماذا تحبين أن تشربي
 - لا أريد شيء ... فقط ... فقط
 - أظن أنه لا بأس بالعصير، عصير برتقال منعش

تقدم نحو البوابة وفتحها ببطء ثم نادى وطلب إحضار عصير، وبعد أن حضر، أعطها كأساً وأخذ أخرى، ثم قال بجدية وحزم:

- أنا استمع إليك، هيا أخبريني بكل شيء

- لا لست ابنها، فلقد كانت قصتي أشبه بالأفلام، أنا أشبه ما يسمونه ابن بالتيني

- آه حقاً! لكنني أظن أن إيميلي تحبك بشدة

- نعم هي كذلك، إيميلي هي كل عائلتي وأنا أعشقها بحق

نظرت إليه ندى بحنو، فلقد ذكّرها بعمر الصغير! لكنها استدركت نفسها قبل أن تقع في بحر ذكرياتها وتابعت:

- إن اسمك ريان، أليس كذلك؟

- نعم ... كيف تعرفيني وتعرفين إيميلي؟

- آه يا عزيزي، بإمكانك أن تسميني صديقة بمعنى آخر، المهم الآن هل تعلم لماذا أنا هنا؟

- لا

- بما أنني صديقة إيميلي فأنا أودّ حمايتها بكل شدة

- حمايتها؟! ممّ؟

- من السجن، فقد تشبّه بها المحكمة بعد كل تلك الفوضى التي حدثت، لذلك لدي بضعة أسئلة أود أن أسألك إياها

- تسأليني أنا؟ وهل إجابتي ستحمي إيميلي؟

- بالطبع أيها البطل، ولكن ما رأيك أولاً في القليل من المثلجات المنعشة؟

- موافق!!

ابتاعت له مثلجات من متجر قريب ثم جلسا على أحد المقاعد الخشبية فتابعت:

- كيف حال إيميلي الآن هل لاحظت عليها أنها حزينة أو ما شابه؟

- هل من الضروري فتح هذا الموضوع؟

- نعم يا عزيزي ... بالتأكيد!

تدفق الكلام من فمه بسرعة فائقة، بينما كان يحملق بالأرض أمامه:

- إيميلي حزينة جداً وعصبية في هذه الفترة، تبدو حانقة على شخص ما كما أنها أصبحت تخاف عليّ كثيراً فلا تسمح لي بالتجول لوحدي، لذلك أنا هنا الآن دون أن تعلم، لا أدري، لكنها أصبحت هكذا بعد الحوادث الأخيرة والمحاكمة وبعد موت صديقتها سيلين مسمومة، فعند انتهاء تلك المحاكمة كانت تشتعل غضبا

- ألا تعلم سبب غضبها؟

- لا فهي لم تتحدث إليّ البتة، إلا أنها منعتني من الخروج لوحدي، ومن التكلم مع أي شخص غريب رجل كان أم امرأة فأنا الآن بحديثي هذا معك، أخالف تعليماتها

نظرت إليه لتسير أغواره، لقد كان صادقا في كلمة تفوه بها! إذن ... المفتاح لحل تلك المشكلة وإنهاء المعمة التي تحصل هو ... إيميلي،

إيميلي تعلم أكثر مما تقول، وهي التي يجب أن تتقرب منها ... بلا أدنى شك!!

- آنسة إيميلي بيكر، يجب أن نتحدّث
 - ماذا الآن؟ من أنت أيتها السيدة؟؟
 - صه! اخفي صوتك وتعالى
- اقتربت إيميلي على مضض، وهي تطالعها باستياء، وبعد أن تقلصت المسافة بينهما قالت:
- ما الذي تريدينه؟
 - لقد أتيت من قبل الآنسة راندا تشارلز
- لاحظت تغير ملامحها فتابعت:
- إن لديها مهمة جديدة وتود تكليفك بها، لن تمنعي أليس كذلك؟
 - مهمة! وما هي؟ ألم تفرغ جعبتها من المهمات والأوامر بعد
 - تعلنين رفضك إذا؟
 - لا لا بالطبع، فلتقولي لي ما هي نوعية المهمة؟
 - إنها لن تطلب منك التقصي والبحث في سجل تاريخ جيهان الطبي لاستخراج شهادات ترجمها
 - ماذا تريد إذن؟

- سوف تنتظرك في مقهى (....) في تمام الساعة الرابعة عصرا لكي تخبرك بما يتوجب عليك القيام به من أجل الحملة القادمة
- حملة قادمة؟! ألا تمتلكين أية معلومات حولها؟
- عذرا ... لست مخوّلة بإمدادك بأية معلومة ستخبرك سيدتي راندا بالذي تريد منك أن تعرفيه في الوقت المحدد
- هزت رأسها بإيماءة تدل على الموافقة ثم أدارت وجهها لتبتعد، لكنها سمعت من جديد صوت المرأة التي كانت تخاطبها، وقد كانت تتكلم بحدة هذه المرّة:
- لماذا كنت طوال تلك الفترة تكذّبين؟
- تسمّرت في مكانها للوهلة الأولى لكنها سرعان ما تحلّت بشيء من الشجاعة فاستدارت لتواجهها:
- ماذا تقصدين؟
- هكذا إذن! لم تفهمي قصدي؟
- ثم أضافت بتسقي:
- هل توذّين أن تعرفي من أنا؟
- ومن تكونين أنت؟ أنا ... أنا لم أحن راندا أقسم لك، آه ما الذي تريدينه مني!
- اقتربت المتحدّثة منها أكثر ثم قالت وهي تنظر بعينيها بقسوة:
- أنا ... ندى الخطيب، المتحرية السريّة الخاصة بمحامية المتهمّة "البريئة" جيهان مندو

وقع الخبر على قلب إيميلي وقع الصاعقة، مما جعلها ترتجف بشدة وهي تقول:

- اللعنة! أيها الأوغاد!، لقد نصبت لي مكيدة إذا!، ابتعدي عن طريقي ابستعدي، وإياك أن تريني وجهك مرّة أخرى

أمسكت ندى ذراعها بقسوة ثم قالت بتروي:

- فلنتحدّث يا إيميلي، إن كنت تهتمين بمصلحتك ومصلحة كل من يخصّك، فلتخبريني بكل شيء وأعدك أنني سأتكّم عليه وسأخرجك من المأزق الذي أنت فيه بأقل الأضرار

- لا لا يمكنني ... دعيني اذهب ... اتركي ذراعي!

- لن أدعك وشأنك، أمامك الآن خياران؛ إما أن نتحدّث هنا في رواق المستشفى ونعلن أمام الملأ كل شيء وهذا قد يلحق الضرر بك وبصغيرك ريان، وإما أن نخرج بعد نهاية الدوام وتتكلم بهدوء ونحن جالستان في أحد المقاهي ... الاختيار بالطبع يعود لك

انفجرت بالبكاء فجأة وأخذت يدها ترتعش بقوة بينما كاد كأس العصير أن يفلت منها، أخذه الطبيب على الفور وبعد أن وضعه أمامها على الطاولة قال لها بحنو:

- لا لا تبكي من جديد رجاء، فلتحدثيني بطريقة عقلانية، فلتضعي حدا لتلك المشاعر السلبية، رجاء

نظرت إليه بألم ثم قالت بصوت متقطع:

- لا.. أستطيع البدء ... إنه أمر فظيع ... فظيع للغاية!

- لا تحتفظي بهذا الأمر الفظيع لنفسك، فلتخففي من حملك الثقيل، فلتحدثيني ... هيا

- حسنا ... لقد كان كل شيء على ما يرام تقريبا ... قبل ذلك الحادث، قبل حادث السيارة، فعندما ... كنت بصحبة والدي في السيارة حدث لنا اصطدام شديد، اصطدام مخيف جرّد من حياتي أعز شخصين على قلبي!، أخذ مني أُمي وأبي، فبعده أصبحت ... يتيمة ... يتيمة ... يتيمة!!

رددت الكلمة بقهر وكادت تعاود البكاء إلا أنها ضبطت نفسها قليلا..

- ألا تمتلكين أحد غيرهم؟؟ أي أحد؟ من العائلة مثلا؟

- أتعي ما تقول؟ بلى لدي عائلة لدي جديّ وأعمامي وأشخاص آخرين لكنني أكرههم جميعا فلقد كانوا يحتقروننا جميعا ويعاملونا معاملة سيئة للغاية، وفي اليوم الذي خلنا فيه أن الأمور ستنتصلح بيننا وبينهم ورتبنا لتلك النزهة، حدث ذلك الحادث المشؤوم بسببهم ... نعم بسببهم!

- أنت وحيدة؟

- لا لست كذلك ... لدي أخي الكبير جاد مدمن السجائر ومنقّب الأديان

بدأت تتكلم بسخرية ... سخرية لاذعة، فتابع أسئلته بحدة أكبر:

- وأين هو؟ لماذا لا تعيشين معه؟

- لأنني تركته بمحض إرادتي بعد أن صار عبئا عليّ، بعد أن منع عني الراحة الأبدية، والتي كانت الحل الوحيد والأمثل

- ماذا تعنين بالراحة الأبدية؟

ترددت لوهلة لكنها أجابت أخيرا:

- لقد حاولت إنهاء حياتي، لكنه منعني وعثفني بشدة وصار يلأزميني طوال ال 24 ساعة، ويعتني بي، آه يا له من مغفل
- حسنا لا بأس بكل هذا فلألخص لك حالتك الآن

ضحكت ضحكة ممزقة ثم قالت بجفاف:

- أسمعك
- لقد فقدت والديك اللذان كانا أوكسجين الحياة بالنسبة لك، فانقطع عنك ذلك الأوكسجين ولم يعد بمقدورك التشبث بالحياة أكثر فقررت إنهاءها بكل سهولة ويسر، وعندما عارضك أحدهم هربت من المنزل وحاولت رمي نفسك أمام سيارة "بورش"، لكن ليكن بعلمك -وهذه نصيحة للمرة القادمة التي لن تحدث- أنه عليك احترام مشاعر سيارات البورش وعدم تعريضهم لتلك المضايقة

نظرت إليه بامتعاض ثم قالت:

- مصائب قوم عند قوم فوائد، هل أتيت بي إلى هنا لتتسلى بي وتجرب نكتك الغريبة عليّ؟
- لوح بكلتا يديه كمن ينفي عن نفسه تهمة ثم هتف:

- لا لا بالطبع، سأعطيك العلاج الآن

- لا أريد علاجاً لا أريد!!

- أوه! لا تخافي أيتها الجميلة فلن أعالجك دوائياً، بل سيكون علاجي الأمتع على الإطلاق، سأطلب منك الانتقال على غرفة

أخرى جميلة للغاية، وستكون تلك غرفتك الخاصة، غرفة الأميرة جودي وستأمن لك فتاة لطيفة تساعدني جميع احتياجاتك الخاصة، وبإمكانك طلب ما تشائين من طعام وشراب، كما يجوز لك أيضا قضاء اليوم بأكمله في السرير

صمت قليلا ليعطيها متسعا من الوقت حتى تفكر، فلم يطل تفكيرها بل قالت بتوتر:

- لن أوافق قبل أن أرى مساعدتك اللطيفة تلك

ابتسم ملاً شذقيه ثم قال:

- لا بأس ... لا بأس سأنادي عليها حالا

الفصل الأخير

نهايات

30

اعتراف خطير!

- كوبا قهوة تركية من فضلك
- ألقت ندى الخطيب نظرة تقييم على صاحبته، ثم ابتسمت لها مشجعة وهمت تقول:
- لا داعي للقلق عزيزتي إيميلي، فأنا لا أحدثك الآن بصفتي متحرية سرية أو ما شابه، إنما أنا الآن صديقتك ... صديقتك ندى
- كانت إيميلي محكمة قبضتها على حقيبتها الجلدية السوداء وكأنها تستمد منها الأمان، نظرت بتوتر إلى ندى وسرعان ما أشاحت وجهها وعلقت نظرها في الأرض، فتابعت ندى محاولة استدراجها في الكلام:
- ما زلت قلقة! هذا واضح عليك يا إيميلي، فلتهدئي أرجوك ولتخبريني بكل شيء
- عاودت إيميلي النظر إليها، كانت هذه المرة تنظر نظرة رجاء وتوسل، وبعدها غمغمت:
- أنا ... لا أستطيع ... لا أستطيع، مهما قلت ومهما حاولت تهدئتي، لا لا يمكنني ... لا يمكنني التكلم بأي شيء
- لماذا! لماذا تصرّين على تكتمك، فلتقولي لي بالله عليك بماذا هددتك تلك المرأة؟ بماذا؟؟

- آسفة ... أنا جدّ آسفة، آه! أعلم أنني الآن وبتكتمي هذا سأضّر فتاة بريئة ... لكنني بالمقابل سأخسر أشخاصا غالين على قلبي إن تحدثت

- إذا هددتك بأنها ستهدر روح أحدهم إن تحدثت!؟

همت لتتكلم لكنها أطبقت شفيتها بقوة وتابعت النظر بالأرض، لكنها سرعان ما فقدت رباطة جأشها وبدأت دموعها تنهمر وهي تتكلم:

- إنها امرأة خبيثة للغاية!، نعم ... راندا تشارلز خطيرة ومجرمة، ولقد أقحمتني في عمليتها رغما عني ... رغما عني، لقد هددتني بأنها ستقتل ريان وستقتل والديّ أيضا وستلحق بي الضرر من كل مكان، لم ... لم يكن هذا أمرا صعبا عليها ... نعم إنها تستطيع تنفيذ تهديداتها بكل سلاسة وبساطة!

نظرت ندى إليها بإشفاق، وقالت بجدية:

- حسنا، لكنك ستكونين السبب في ظلم فتاة بريئة، إنها صديقة طفولتي والتي أعتبرها بمثابة أختي!، ستسببين الحزن والقهر لي ولأهلها ولجميع من يحبها، فلتخبريني فلتنطقي أرجوك، وأعدك بأنني سأظل معك حتى نفسي الأخير

صمتت مجددا لتفكر وبعد برهة قصيرة قالت:

- يجب أن أخبرك في مكان منعزل لأن المعلومات التي سأقولها خطيرة للغاية

تنهدت ندى بصوت مسموع ثم قالت بتفهّم:

- حسنا، ننهي قهوتنا وبعدها أصحبك إلى منزلي، وهناك سنتحدّث براحتنا

- موافقة، لكن على شرط أن نصطحب ريان معنا فأنا أخاف أن أتركه وحيدا في المنزل
- لا بأس بهذا، سيلهو قليلا في منزلي ريثما ننهي الموضوع سويا

- فلأصحبك بجولة، ما رأيك؟
- موافقة

قادتها سارة في جولة، فدخلت أولا إلى غرفة النوم الخاصة بها والتي كانت أكثر من غرفة نوم بكثير، طالعت جودي كل شيء بانبهار؛ السرير الوثير ذو الملاءة ذات اللون الزهري الزاهي، المكتبة الخشبية الممتلئة بالروايات وكتب التنمية البشرية، المرسوم الخشبي متوسط الحجم وأدوات الرسم المتنوعة التي رصفت على طاولة بقربه، الخزانة المليئة بالفساتين والملابس اللطيفة، الأدوات الرياضية الموضوعة في مكان بزاوية الغرفة، وأخيرا طاولتين الأولى طاولة زينة عليها الكثير من العطور الحلي وأدوات لتصفيف الشعر، والثانية وضع عليها حاسب وطابعة بالقرب منه...

- لا أعلم ... كيف أصفها!! إنها ... رائعة! لا يوجد ما هو أروع منها!
- ابتسمت لها سارة بلطف، ثم أمسكت بكلتا يديها وقالت:

- يوجد المزيد يا حبيبتي ... هيا بنا

اصطحبتها إلى المطبخ والذي كان يحتوي مكانا مخصصا فيه أدوات ومعدات لتحضير الطعام، ثم قالت:

- هذا المكان سيكون مطبخك الخاص، سأعلمك كيف تصنعين ألد الأطفمة

- أنا سأطبخ؟
- نعم ... ولم لا، كما أننا سنتشارك في جميع الأعمال، أعمال المنزل ... والأعمال اليدوية التي سنسوقها ونبيعها إلكترونيا، كما أننا سنذهب في نزهة كل يوم سبت وسيكون يوم الأحد هو " يوم الإنجليزية " إذ يجب على الجميع في هذا اليوم التكلم بالإنجليزية، وأما عن أمسية يوم الجمعة فسنخصص كتابا وستناقش فيه أنا وأنت وبالطبع سيشاركنا باسل
- كل هذا في غاية الجمال!، لقد أحببت كل شيء كما أنني أحببتك يا سيدة سارة كثيرا ... أنت والسيد باسل في غاية اللطف
- لا تتنادني بالسيدة، فلتنادني باسمي من الآن وصاعدا
- لكن يا سيدتي ... أقصد سارة، ماذا عن أخي جاد؟ ما الذي سيحل به؟ أظن أنه يبحث عني الآن! آه كم كنت جاحدة! كم كنت مخطئة بحقه!
- لا تقلقي ... سنعلم جاد بكل شيء، هل ... هل تعلمين أين نحن الآن؟
- لا لا أعلم، لم يخبرني أحدا فقد كنت غائبة عن الوعي عندما تم نقلي إلى هنا
- أطلقت سارة ضحكة قصيرة ثم قالت:
- نحن الآن في المبنى ذاته الذي يقطن فيه صديقكم ... عمر حملقت جودي في وجهها ثم قالت بدهشة:
- حق...؟؟؟! ... إذا جادا! ما زال بقربي، جاد وعمر والعمة سوزي جميعهم ما زالوا حولي!

ابتسمت سارة برقة من جديد ثم همست:

- أخبرك سرآ؟ أنا صديقة سوزي وباسل هو زوجي، وجميعنا نعمل لكي نسعدك

نظرت إليها جوذي ولم تنطق بأي حرف فتابعت سارة:

- إن جاد الآن بصحة عمر، أي هو الآن بمنزله، ما رأيك أن نستدعيهم لكي يروك؟ حتى لا يقلقوا أكثر

اغرورقت عيناها بالدموع، وما لبثت أن عانقتها بحرارة ثم بدأت تبكي:

- شكرا لكم، أنا ممتنة لكل ما فعلتموه لكنني ... لا أريد أن أتركك، لا أريدا!

مسحت سارة دموعها بطرف كفها ثم قالت بحنان:

- من قال إنك ستتركينني؟ سنظل سويا وستذهبين إلى منزلك متى أردت كما بإمكانك أن تعودتي إلى هنا متى أردت أيضا

- لكنني سأزعجكما بوجودي هنا

- لا ... لن تفعلني ... إياك وأن تفكري بهذه الطريقة

عاودت جوذي عناقتها ثم قالت:

- فلننادي على أخي جاد ... فأنا أشتاق إليه، كما أنني يجب أن أعتذر منهم جميعا وبالأخص من العممة سوزي

- لقد كان السبب الوحيد لفعلها هذا هو انحسارها بالزاوية، فمن يخطأ في شيء ما أو يقدم على تنفيذ عمل خطير لا يود أن

يكتشفه أحد، ويتم كشفه رغم كل الإجراءات الاحترازية التي يقوم بها يشعر أنه واقع في خطر محقق، ويعيد حساباته ليبدأ بتصفية كل من كشف الأمر، وهذا بالضبط ما حصل مع راندا تشارلز، فقد قامت بعمل غير قانوني وتم كشفها فأقدمت على كل ما فعلته...

بداية، رأيت السيدة ناتالي براون وهي تحادثها على انفراد، ومع أنني لم أرد التنصت إلا أن فتاتا من الحديث وصل إلى مسامعي، وملخص ما فهمته أن راندا تتعرض إلى الابتزاز من قبل السيدة، وقد تبين لي بعد أن سمعت بشكل أوضح أنها كانت تهددها بأنها ستفضح أمرها في "تجارة الممنوعات" إن لم تعطها مبلغا كبيرا من المال وأشياء أخرى، فسبب لي هذا الخبر صدمة لم أستطع إخفاؤها، فلم أكن أتخيل أبدا أن صديقتي ابنة المحافظ راندا تشارلز قد تقدم على فعل كهذا، لكنني ومع الأسف كشفت مكاني فتيقنت العريضة راندا أنني سمعت أطراف الحديث المتشنج الذي كان يدور، وعلمت أن دائرة من كشفها بدأت تتسع لذلك بدأت تتوخي الحذر..

وبحسب ما علمته أن سيلين كلوب كانت شريكة لها في شيء قليل من التجارة وساعدتها أيضا في تدبير مقتل السيدة براون، ونجحت بهذا، وبعدها حان دوري فبدأت راندا تهددني بأنها ستقتل ريان وستقتل جميع أحبتي إن تكلمت، وقد رأيت فعلا أنها كانت قد وظيفت أحد مساعديها لتتبع حركاتي وحركات ريان، لذلك خشيت أن أعصي أوامرها وقررت الالتزام بتعليماتها ومساعدتها للتخلص من جيهان والتي كانت كبش الفداء المستخدم للتضليل، وهذا ما جعلني أدبر الأوراق التي تدل على

إصابتها والأشياء الأخرى التي قد تجرّمها وأعطيتها لسيلين لكي
تستخدمها لنفي التهم عنها

صمتت ندى لبرهة ثم قالت:

- هذا رائع منك يا إيميلي ... أقصد إخباري بهذا، لكنني وحتى لو
علمت لا يمكنني أن أشهد به أنا فليس لديّ أي دليل، مما
يجعلك مضطرة إلى قوله أمام القضاة والنائب العام،
ستشهدين بكل ما قلته؟ أليس كذلك؟

ظهرت إمارات الفزع والاضطراب على إيميلي التي هتفت فوراً:

- يستحيل أن أفعل هذا!! لا ... لا أستطيع يا ندى

وضعت ندى كلتا يديها على كتفي إيميلي وهزتها بقوة ثم قالت:

- يجب أن نستأنف يا إيميلي، وبإمكاننا فعل هذا إن قررت أن
تشهدي، سننهي كل شيء وستقبع راندا الخبيثة في السجن إلى
أجل غير مسمى

- فليحصل ما يحصل ... لن أتخلي عن ريان ... لن أفعل

- لن تتخلي عنه بالتأكيد، سنحميه جميعاً، أعدك بهذا

- لا لا لست قادرة على فعل هذا!!

قالت ندى بترجي:

- فلتفكري على الأقل، فلتعطي نفسك مهلة قبل أن تتخذي قرارك

زفرت إيميلي بحلق ثم قالت بقلة حيلة:

- هذا قرار قطعي ... ولا أستطيع تغييره، فلتعثروا على شهود إضافيين ولتحاولوا أن تستأنفوا القضية

31

كشف السرّ

- أين أنت يا عمر؟ آه! تعال قليلا
- نظر عمر مستغربا، لكنه سرعان ما حرك كتفيه بلامبالاة ولبّى نداءها..
- ماذا بك يا سوزي؟ لماذا تبدين كل هذا الحماس؟
- تابعت قهقهتها، ثم أشارت له بسبابتها بطريقة آمرة، وقالت:
- صه! أخفض صوتك، إنها مفاجأة
- مفاجأة؟ بالله عليك!، ألا ترين حالة جاد؟ أي مفاجأة ستخرجه من حزنه وتعاسته؟
- اقتربت منه ثم قالت بالمرح ذاته:
- إنها مفاجأة له خصيصا!، آه كم سيفرح
- طالعتها بنفاذ صبر ثم قال بتأفف:
- ما هي؟ ... فلتقوللي، هيا!
- حسنا حسنا على رسلك، لقد اتصلت بي صديقتي سارة قبل قليل وأخبرتني أن ... أن جودي بحوزتها
- حقا؟؟

هتف مجددا بصوت أعلى:

- حقا؟ أنت لا تمزحين؟

هزّت رأسها بشدة وقالت:

- نعم، لقد كادت تنهي حياتها لولا أن قام زوج سارة الدكتور
باسل بإنقاذها ... آه يا لعجائب القدر!

- سأقول لجاد، حالا

هتفت بسرعة:

- لا انتظر لا تخبره، فلتدعها مفاجأة

- ولكن...

- هيا يا عمر، فلتسمع كلامي لمرة واحدة على الأقل

ابتسم وقال على مضض:

- حسنا ... كما تشائين

غادر الغرفة دون أي تعليق إضافي، وجلس على الأريكة بالقرب من جاد،
فنظر إليه جاد بوجه خال من التعابير وقال ببطء:

- أراكم متحمسين؟ خيرا؟

- متحمسون؟ لا لا شيء يذكر

- آه ... هكذا إذا

خيم صمت ثقيل عليهما إلا أن قطعته سوزي بصوتها الرنان:

- جاد ... عمر هل أنتما جاهزان؟ سنذهب

طالعتها جاد بالتعابير ذاتها وهو يقول:

- إلى أين سنذهب يا عمّة؟ أظن أنني بتُّ أثقل عليكما، سأنصرف الآن لتستمعا بالمشوار

قالت سوزي بان دفاع:

- لا!

ثم استدركت:

- إنك لا تثقل علينا البتّة، سنذهب ثلاثتنا سويا، هيا قم ولا تحتج

ثم تابعت بنفس الطريقة الآمرة:

- وأنت يا عمر ... هيا، هيا سنأخر

دفعت أمل باب مكتب النائب العام بقوة، ثم قالت بجدية بالغة:

- هل لي أن أفهم ما الذي سيحصل بعد تلك المحاكمة المشؤومة، إلى متى سننتظر قرار الاستئناف؟ أم أنكم لا تبالون بإهدار عمر الفتاة بإبقائها محتجزة إلى حد الآن؟

استرخى النائب العام بمقعده، ثم نظر إلى ساعتها، وابتسم ابتسامة هادئة وهو يقول:

- ما الأمر أستاذة أمل الخطيب؟ لم كل هذه العصبية؟

- لم؟ لمّ يخبرني أحد بشهادة سيلين كلوب لربما استطعت فعل أي شيء، لربما لم يحصل ما حصل

قال بتهمك بينما توسّعت ابتسامته:

- كنت ستحميها إذا! آه ليتني كنت أعلم
صرت على أسنانها بحنق، ولم تعلق فتهد واستطرد:
- لا أفهم لماذا لا تزالين تصرّين على البراءة، أظن أن القصة قد انتهت هنا، فقد ارتكبت جريمة قتل واضحة كوضوح الشمس، ولا ندري إن كانت هي من دبّرت لمقتل سيلين كلوب مسمومة أيضا
- تجاهلت كلماته الأخيرة وقالت بحزم:
- انتظر سماع خبر الاستئناف بالقرب العاجل، فالقضية لم تنتهي بعد بالنسبة لي
- قهقه بصوت مرتفع ثم همس بخبث:
- فلتنتظري إذا ... فلتنتظري
- تجاهلته ثانية وقالت:
- أمامي الكثير من الأعمال ... أستأذن
- استدارت وتقدّمت بخطوات حازمة باتجاه الباب، في حين تبعها صوته:
- تثبّتي أين تضعين أقدامك أيتها الصغيرة، واحذري الغوص في الوحل، فالخروج منه جدُّ صعب
- ثم تابع القهقهة!!

- جودي!! أختي!

عانقها بشدة، ثم مسح دموعه يتيمة سقطت على طرف وجنته، وقال من جديد:

- ما الذي تفعلينه هنا؟ كيف أتيت إلى هنا؟ لقد كنت أبحث عنك كثيرا ... لقد خفت أن تؤذي نفسك ... خفت عليك كثيرا

صمتت ولم تنطق ببنت شفة، بينما تجمعت العبرات في مقلتيها، لكنها أخيرا همست بصوت مززعج:

- آسفة

ثم عاودت قولها بثقة، وهي تنظر بعينيه:

- أنا آسفة على كل ما فعلته، لن أكررها ... أعدك

التفتت إلى سوزي وأمسكت بكلتا يديها وقالت:

- سامحيني يا عمتي

ثم أفلتتتهما فجأة لتأخذ غرضا ثقيلًا وتقول:

- فلتضربيني به، فلتهشمي رأسي، فهذا يحق لك

ثم تابعت وهي تبكي:

- يحق لك ... يحق

نظرت إليها سوزي بلامح متغضنة لكنها سرعان ما تغيرت، أمسكت ما كان في يدها ووضعته جانبا ثم ضمّتها بقوة وهي تقول:

- لا بأس يا حبيبتني، فلننسى كل ما مضى ولنبدأ صفحة جديدة

دام الجو الحميمي لبعض الوقت إلا أن قال عمر بجديّة مخاطبا سارة:

- كيف وجدتها يا أنسة سارة؟
- لقد أنقذها زوجي باسل، واعتنينا بها بعدها، لكي تستعيد عافيتها
ثم تابعت بخفوت بينما تنتظر لساعة الحائط:
- يجب علي أن أعلم تفاصيل المحاكمة
قالت سوزي وكأنها تستجوبها:
- محاكمة من؟؟
- محاكمة؟ أنا قلت محاكمة؟!
- حرّكت سوزي رأسها إيجاباً ونظرت باستفهام فقالت سارة بتلعثم:
- محاكمة أحدهم ... أه هل تودين أن تعلمي كل شيء بالحياة يا
سوزي
- منذ صغرها سارة، كانت تجد صعوبة في التكتّم على الأسرار فلم يكن
أي أحد يأتّمها على سرّه، فمهما حاولت الحفاظ عليه ستخطأ وستفضحه
على الملأ!
- نظرت سوزي بشك وهي ترفع حاجبها الأيسر، ثم قالت بتشفي:
- هكذا إذا أيتها الصديقة "المقربة"!، تخفين أشياء عني
أليس كذلك؟ بالله عليك فلتخبريني محاكمة من؟
- ثم ألقت نظرة حولها واستطردت بصوت منخفض:
- فلتخبريني لوحدتي إن كنت لا تودين للصغار أن يعلموا
زفرت سارة بصوت مرتفع، ثم قالت بانفعال:
- كفى يا سوزي كفى ... لقد قالت لي ندى أن أبقيه سرا

شبهت بقوة، ووضعت كلتا يديها على فمها بإحكام، ثم نظرت بترقب إلى الوجهين الذين تجمّدت ملامحهما...

خيّم صمت مهيب على الغرفة، إلى أن قطعه عمر وهو يقول بينما ترتجف شفّتيه:

- هل؟

تجمعت الدموع في عينيه وهو يستطرد:

- هل قلتِ ندى؟؟؟

ملاحظة للقراء: سارة صديقة وجارة سوزي هي ذاتها صديقة ندى التي سكنت معها بالسكن الشبابي في الجزء الأول (غربة الندى)، وما تزال في هذا الجزء مع تواصل مع ندى.

عَمَر

إنها ما زالت حية ترزق إذن!!

شعرت بمزيج من الغضب والسعادة يعتريني، لماذا لم تتكلّف عناء إخباري؟! أليس لي قيمة عندها؟ ولا أدنى قيمة؟، لقد حزنّت عليها كل هذا الوقت وبكيت فراقها كثيرا، وتجرّعت ألم خسارتها، لكنها لم تكن تبالي بي!، يجب أن أنهى هذه المسألة هنا ... يجب أن أحدثها

خانتني عبراتي للمرة الثانية على التوالي فبدأت تنهمر بسخاء، ولكن لم كل هذا الحزن؟، آه إنها على قيد الحياة ... على قيد الحياة لكنها ... أوه أيعقل أن تكون قد ... نستني؟؟؟!

مشّت السيدة ماري بوقارها المعهود إلى أن دخلت غرفة الطبيبات الواقعة في الطابق الثاني، قلبت مقلتيها في أرجاء الغرفة متألمة الطبيبات الحاضرات بتفحص ثم قالت:

- الطبيبتان ريم النحاس وراندا تشارلز، عملية (استئصال مرارة) للسيد (...)، أين الطبيبة راندا تشارلز؟؟
- لم تأتي حتى الآن

قالت ريم بهدوء، فقالت ماري بغضب:

- ما معنى لم تأت؟ الجراحة عاجلة ولم يتبق لها سوى دقائق!، أين حضرتها الآن؟، هل اتصل أحدكم بها؟

أجابت ريم للمرة الثانية:

- نعم لقد اتصلت بها لكن هاتفها مغلق

زفرت ماري بحق ثم خاطبت إحدى الطبيبات الحاضرات:

- "كارولين" ستجرين العملية مع ريم ... هيا حالاً تجهزا

قامت الطبيبتان من أجل إجراء العملية وبعد حوالي الساعة والنصف خرجتا من الغرفة معلنتان انتهاءها، وبعد أن تفرقتا وكانت ريم تمشي في الرواق مرّت بغرفة ماري فتناهى إلى مسامعها صوتها وهي توبّخ أحدهم بغضب مكتوم فتوقفت لتبين ما يحدث فسمعت بعضاً من العبارات:

- "حسنا يا راندا هذا تصرّف غير مقبول، فلو لم تكن كارولين هنا ماذا كنا لنفعل؟ صحيح أنك طبيبة ذات مكانة مميزة لكن فلتعلمي جيداً أنكن أثناء فترة العمل سواسية، فهمت؟"
- "أنت تعلمين أنني لم أقصد التأخير إلا أن الظروف حكمت هذا"

- "قصدت أم لم تقصدي لا يهم، المهم ألا يتكرر هذا"

هدأت الأصوات قليلا ثم تعالى صوت راندا شديد البرود:

- "سأحاول ألا يتكرر لا تقلقي يا ماري"

ثم سمعت ريم صوت خطوات مندفعة تهم بالخروج، فتراجعت قليلا ومثلت وكأنها قدمت للتو وبعد أن خرجت راندا التفتت إليها ثم قالت بلهفة مزيفة:

- أوه الطيبة راندا! لقد قلقت عليك عندما تأخرت، هل حصل لك مكروه؟

ابتسمت راندا ببرود وقالت:

- لا يا ريم أنا بخير لا تقلقي

نظرت ريم تلك النظرة السحرية التي تعلم جيدا مدى تأثيرها على الآخرين وقالت بوداعة محاولة استدراجها للحديث:

- وما سبب تأخرك، أظنها زحمة المرور!، اوه كم هذا صعب، وخاصة أن عيد الفصح اقترب ففي مثل هذا التوقيت تنتشر حشود غفيرة من الناس في الشوارع

- لا ليست الزحمة، بل بسبب الأعمال الكثيرة المترتبة عليّ فالיום سيزورني ضيوف هامين والمنزل يحتاج إلى الكثير من العمل
- أيعقل أن الطيبة العريقة راندا تشارلز تعمل بنفسها كل أعمال المنزل ولا تمتلك خادمة! لا لا أصدق

رفعت راندا حاجبيها دهشة من مدح ريم _ صديقة عدوتها_ لها لكنها أجابت عندما تذكرت كون ريم حيادية وغالب ما يهمها هو عملها وأمورها الشخصية:

- لقد جرّبت العديد من الخدمات إلا أن عملهن مقرف على حد سواء، وخاصة الإثيوبيات منهن، وبصراحة أنا لحد اللحظة لم أوقّق بأي واحدة فكلهن يأتين ويعملن لمدة لا تقلّ عن أسبوع ثم أصرفهن حالا

عبّرت إيماءات ريم عن أسفها الشديد، ثم خطرت ببالها فكرة ذكية فقالت وكأنها تسترجع ذكرياتها:

- لقد ذكرتني بخادمة عملت عندي سابقاً، فلقد أحالت منزلي لجنة على الأرض، إلا أنني اضطررت لصرّفها بسبب ضائقة مالية منعتني من تسديد أجورها كاملة، فكلما كان عمل الخادّات ذو جودة أعلى كلما ارتفعت الأجر اللاتي يطلبنها

فكرت راندا لبرهة ثم قالت:

- ليتك أخبرتني منذ زمن!، هل ما زلت تملكين رقمها ... فإن تمكنت من التواصل معها وطلبت منها أن تعمل لديّ سيخفف هذا عبئاً ثقيلاً عني

فتحت ريم هاتفها المحمول وتظاهرت بالبحث عن رقم الخادّمة إلا أنها قالت بأسف بعد حوالي الدقيقة:

- للأسف لا أملكه هنا، أظنني سجلته على هاتفني الثاني كما أنه في البيت، اممم حسنا عندما أرجع إلى منزلي سأبحث عنه وإذا وجدته سأرسله لك برسالة، بكل سرور

تصافحتا بطريقة راقية ثم تفرقتا، بينما كانت ريم تبتسم بمكر وفكرة ما تتشكل بذهنها!

جَاد

لقد آن الأوان!، لن أنتظر أكثر، فلقد قطعت على نفسي عهدا وسأنقذه
 مهما كلفني الأمر، لكن لا ... لن يكلفني أية مشقة فلقد اتخذته بعد
 اقتناعي التام به...

خرجت من منزل صديقي عمر وبرأسي هدف محدد سأقدم على تحقيقه،
 سرت بالشوارع وأنا أشعر بسعادة غامرة، أختي جودي الحبيبة ما زالت
 على قيد الحياة بعدما ظننت أنها فقدت حياتها بتهورها، لقد سلم ... الله
 لي أختي، نعم ... نعم!!!

وصلت إلى المكان الذي أقصده، ودخلته من دون أي تردد، لكن قدمي
 تبيستا وكدت أسقط على الأرض مغما علي، آه لا أعلم كيف أصف
 الشعور الذي اعترانني في تلك اللحظة؛ شعور بالرهبة! بالدهشة آه إنني
 بحق لا أعلم كيف أصفه، إلا أنني لم أذق مثل ذلك الشعور بتاتا من
 قبل...

خرّيت على الأرض جاثيا على ركبتي، وبدأت عبراتي تهطل بسخاء لكنها
 لم تكن دموع حزن البتة، بل كنت ارتاح وأنا أبكي، وكأن كل المصاعب
 أزيحت من على طريقي، انتهت نوبة البكاء التي اجتاحتني فجأة فشعرت
 بسكينة غريبة، وازدادت بقدم ذلك الشخص ذو الوقار، الذي تقدم
 نحوي وجلس بقربي ثم قال بلطف:

- خيرا يا بني؟ ما بك؟

لكنه بعد أن نطق تلك الجملة تعلق عيناه بالصليب الفضي المتدلي
 من رقبتني، فأزعجني الموقف، ولاحظت شدة غفلتي، فكيف أدخل إلى
 المسجد وأنا أردي قلادة الصليب؟، وبردة فعل لم يكن يتوقعها امتدت

يدي إلى رقبتني واقتلعت القلادة بحركة خاطفة، بينما عيناه المندهشتان ترمقاني باستغراب، وبعد صمت دام قليلا قال يسألني:

- لم؟ لم فعلت هذا يا بني؟ أنا لم أقصد الإساءة لمعتقداتك، فإن كانت نظرتي قد أزعجت...

قاطعته عمدا، وأنا أقول بكل ثقة وعياني تلتقي مع عينيه بنظرة عميقة:

- كيف؟ كيف بإمكانني أن أصبح ... مسلما، يا شيخي؟

حملق بي مطولا، بينما ازدادت دهشته...

- آنسة لويزا، وأخيرا حضرت

ابتسمت ندى بود، ثم سألت ريم باستفسار:

- أظن أن بحوزتك معلومات دعتك لإحضاري بتلك السرعة، خيرا؟

- نعم بالفعل، فأظن أن لديّ طعاما مناسبا لتلك المدعوة راندا

وستتمكن من خلاله بالإيقاع بها، هل ما زلت على تواصل مع

خادمة السيدة براون؟

تفاجأت ندى من السؤال إلا أنها أجابت بتشكك:

- لا لكنها أخبرتني سابقا أنها مستعدة لتقديم أية مساعدة، لكن

ما علاقة كاميليا بالموضوع؟

ابتسمت ريم بغموض ثم بدأت تشرح لها خطتها بالتفصيل الممل...

- أين أنت يا ندى؟ أوه ندى تعالي إلى هنا قليلا؟

- ما بك يا أمل؟
- لقد ... صدر قرار الاستئناف!، وأخيرا تم إصداره، ستعقد الجلسة يوم الاثنين المقبل، أي بعد أسبوع تماما، سيكون أسبوعا حافلا وستكون الجلسة النهائية، أي أنها ستكون فرصة حياة أو موت نظرت إليها ندى بتفهم ثم قالت:
- نعم يا أمل نعم، إما سنوفق أو سنرجع بخفي حنين، لكن هذا لن يحدث البتة لأننا سنبدل كل جهدنا
- بالتأكيد سنفعل!
- أخذت أمل نفسا عميقا، ثم نظرت إلى أختها محاولة سبر أغوارها وبعدها سألتها:
- بماذا تفكرين يا ندى؟
- طالعتها ندى بنظرة مطوّلة ثم قالت بينما ما زالت مسترسلة بأفكارها:
- ستكون قضية رأي عام، سنجمع ما استطعنا من الأشخاص الذين سيشهدون ببراءتها، سنعمل احتجاج، وسنحاول نيل البراءة ثم أضافت:
- والأهم من ذلك هو الشاهدة الوحيدة الأهم، يجب أن نجعل إيميلي بيكر تتحدّث، فبإمكانها قلب الموازين مثلما كادت سيلين أن تفعل
- زفرت أمل بحنق ثم قالت مستفسرة:
- كيف ستفعلين ذلك بالله عليك؟ إن عقلها كالصوان إنها لا تغير رأيها مهما قلنا ومهما فعلنا

ابتسمت ندى ابتسامتها المشرقة المعتادة، ثم قالت بثقة:

- لن نتكلم نحن هذه المرة بالتأكيد، بل سيفي شخص ما بالغرض،
وأظن أن مكانته ستجعل النجاح حليفنا

صممت أمل تفكر للحظات ثم شهقت وقالت بحنكة وهي ممسكة أختها
من كلتا يديها:

- هل تعنين؟ لا بد أنك؟

توسعت ابتسامه ندى وهي تقول مؤكدة:

- تماما!

فكرت أمل لبرهة ثم قالت بتردد:

- لنفترض أن إيميلي شهدت هل ستكفي شهادتها، ثم من أين
سنأتي بدليل إدانتها؟

أجابت ندى بالثقة ذاتها، وهي تسترجع بذاكرتها خطة ريم:

- سنتمكن من الحصول على الدليل قبل المحاكمة، بإذن الله

ثم انبرت تشرح لأختها الخطة المحكمة...

عَمَز

سأفعلها! نعم سأفعلها، مهما ستكون النتيجة، لن أتردد هذه المرة، ها
هو ذا هاتف سوزي المحمول بين يديّ وإن ثبت استنتاجي، سأكون قد
أخرجت نفسي من دوامة الشك، وصار لدي يقين بأنها هي...

لحظات معدودة، وأتأكد نعم ... لحظات معدودة!

دونت رقمها على جهاز سوزان، ثم نقرت بأنامل مرتعشة على زر الاتصال انتظرت ردًا إلا أنها لم تجب على الاتصال، فعاودت الاتصال مرّة أخرى وانتظرت، لكنني أحسست بشعور غريب يعتري جسدي عندما سمعت ذلك الصوت، لقد ... لقد كان صوتها!!!

- ألو ... عذرا من المتصل؟

لم أستطع أن أتغلب على توتري الذي سببته دهشتي، فجاءني صوتها مجددا:

- ألو ... ألو

خرج صوتي بصعوبة أخيرا:

- آنسة ندى! أنت الآنسة ندى؟ صحيح؟

صمتت لبرهة ثم أجابت بشك:

- نعم بذاتها ... ومن حضرتك؟

ابتلعت الصدمة بصعوبة، إنها لا تتذكرني إذا!

- أنا عمر ... عمر موفق، هل تذكرتني؟

قالت بدهشة:

- عمرا!، أهذا أنت؟

لقد أصبح وجودها حقيقيا بالفعل، شعرت بالأمان فجأة وكأنني قابلت أحد والديّ الذين لم أشبع من رؤيتها، تمالكت نفسي أخيرا وقلت:

- لقد كان خبر وفاتك صادما لنا جميعا، لقد حزنت كثيرا

- وأنا لم أشأ أن أفارقكم يا عمر، لكنه ... القدر

أطلقت تنهيدة ولم أعلق فتابعته:

- كيف علمت إنني؟! آه من أخبرك؟

قلت بتهكم:

- إنها الآنسة سارة ... لم تستطع كتمان السر

- سارة! آه من سارة!

- لماذا؟ لماذا أخفيتي عنا أنك ما زلت على قيد الحياة؟ لقد ظننا

أنك ... أنك قد فارقت الحياة!، آه لماذا فعلتي؟

جاء صوتها حزينا:

- أنا آسفة، لكنني ... أوه لقد حكمت الظروف عليّ فعل هذا، لم

يكن بمحض إرادتي إخفاء الحقيقة

لكنها أضافت بمرح طفيف:

- صغيري العزيز ... ما رأيك أن ننسى الماضي، ونبدأ من جديد

- يا له من أمر هين! ننسى الماضي؟

- عمر أنا حقا آسفة، لأنني سببت لك الحزن

أتاها صوتي مزعزا:

- يبدو أنني أصبحت عاطفيا مؤخرا، حسنا لا تهتمي ... على كل

الأحوال أسف إن كنت قد سببت لك أي إزعاج بمكالمتي هذه

هتفت بانفعال:

- بالطبع لم تزعجني!، ما بك يا عمر لم هذا الكلام؟
- يبدو انزعاجك جليًا من صوتك
- انزعاجي؟ بالطبع أنا منزعجة لكن أنت لا دخل لك، إن المشكلة كلها أن جلسة المحكمة الأخيرة الخاصة بجيهان ستكون بعد أيام وشيكة، وما زلت خائفة من ألا نستطيع إثبات براءتها
- شهمت شهقة مكتومة، وعضضت على شفتي السفلى ندما على تهوري، ولتدارك الموقف قلت بجديّة:
- ما الذي تريدينه مني؟ كيف يمكنني أن أساعدكم؟
- تساعدنا؟ هل أنت واثق؟
- هتفت بإصرار:
- بالطبع أنا واثق، أتم الثقة، فلتخبريني الآن ... فلتحددي مهامتي
- حسنا إذا ... سأخبرك بالخطة التي وضعتها والتي سنمشي على أساسها

32

تغيّرات جذريّة!

بعد أربعة أيام:

استيقظ باكرا وهو يشعر بنشاط لم يعهده سابقا، تمطط بسعادة ثم هم ليغسل وجهه و ... يتوضأ، وبعدها ارتدى ملابس مناسبة وخرج لأداء صلاة الفجر جماعة في المسجد، في الحقيقة لم تكن سعادته لتخفى على أحد قط فبعد أن دخل الإسلام شهد نظام حياته تغيّرا جذريّا، فلم يعد يستيقظ بعد الساعة الثانية ظهرا ويقضي معظم نهاره بكسل دون شيء يذكر مما قد يفيد، بل صار الآن مختلفا تماما، يستيقظ قبل أذان الفجر بوقت قصير ليذهب إلى المسجد ثم يعود ويقرأ جزء من القرآن وبعدها يبدأ بمراجعة دروسه ثم يذهب إلى الجامعة التي انقطع عنها منذ وفاة والديه، ومع أنه كان من الممكن جدا ألا يتم قبوله بعد التغيب الشديد في الأيام الأولى إلا أن حظه كان موفقا وتم قبوله وها هي ذي الامتحانات باتت على الأبواب، المهم ... وبعد أن يعود من الجامعة يذهب لكي يطمأن على أخته جودي ويصحبها أحيانا بنزهة قصيرة، وبعد ذلك يحين موعد النادي الرياضي برفقة عمر...

عاد من المسجد بعد أداء الصلاة لكنه لم يحضر أية دروس بل تريتّ قليلا ثم خرج ليصطحب جودي ليذهبا كلاهما إلى المطار، حيث سيكون عمر بانتظار أن يودعهما قبل أن يسافر مع عمته سوزان إلى فرنسا.

- سأفتقدك يا صديق روحي!

همس جاد بسرّه بينما يغلق باب منزله، ثم نزل الدرجات ببطء وهو يستعيد ذكرى الأيام الخوالي حينما كان يتشارك كل شيء تقريبا مع عمر.

- هل خفقت المزيج جيدا؟

- نعم ماما سارة ... تفضلي

اجتمعت العبرات في عينيها وهي تلحظ تحسنها يوما بعد يوم، حتى أنها أصبحت تناديهـا "ماما"!...

- أرني ... آه هذا رائع! أحسنت، والآن فلنضعه بالقالب وبعدها نضع القالب بالفرن، اتفقنا

- نعم ... نعم!!

- أوه! سيكون ألد قالب حلوى قد أتناوله!

صفقت جودي بجذل وكأنها غدت طفلة!، ثم طبقت التعليمات بإتقان وبعدها جلستا على الأريكة متقاربتان وبدأتا تتسامران ريثما ينضج الكعك، تكلمتا بشكل عام متقطع إلى أن انتقلت جودي إلى الخاص بسؤالها:

- أيمكنني أن أسألك سؤالا؟

- بالطبع يا حبيبتني

مصّت شفيتها بتوتر، ثم قالت بشيء من التردد:

- هذه الغرفة التي أعيش بها الآن، لمن ... لمن كانت من قبل؟
إنني أشكر جهودكما من كل قلبي لكنني لا أعتقد أنكما طبقتما ذلك التصميم الباهر من أجلي، فهل أنا محقة؟

طالعتها سارة بوجه خال من التعابير محاولة الحفاظ على تماسكها، لكنها سرعان ما فقدته ... ازدردت ريقها وقالت بينما ارتسمت على وجهها ابتسامة تجلوها المرارة:

- أنت على ... حق، فلقد كانت لطفلة صغيرة، لكنها الآن لا ... آه لكنها لن تنفعها الآن ... لن تفيدها

أخفت وجهها بين كفيها وأجهشت ببكاء مرير، ثم أردفت بعد أن تماكنت نفسها:

- أتعلمين يا جودي؟ أنا أشعر بأنك نسخة مصغرة مني، فلقد فقدت أمي مذ كنت شابة وتخلي عني أبي وقتها إلى أن فقدته بشكل كلي بعد أن أصبحت في مقتبل العمر، و ... وفقدت طفلتي -التي ملأت حياتي بهجة- عندما كان عمرها حوالي الأربع سنوات، آه لقد ... كان شيئاً فظيعا!!

لم تعي جودي ما الذي عليها قوله، إلا أنها شعرت بالتضامن معها بشكل قوي وشعرت أن حبها لسارة يزداد، فاحتضنت كلتا يديها بين كفيها، ثم قالت بهدوء:

- و ... كيف توفيت؟

ابتلعت سارة غصتها بصمت، ثم قالت وهي تنظر إلى الفراغ:

- لقد ولدت بثقب في القلب، لذلك اعتنيت بها كثيرا وحاولت تأمين كل أنواع الرعاية التي تحتاجها أو قد تحتاجها، لكن ومع الأسف وبعد أن ... ظننا أن المحنة قد انتهت ارتفعت حرارتها ذات مرّة بشكل كبير وبدأت تختلج، فأسعفناها إلى المستشفى ... إلا أننا لم نصل في الوقت المناسب، فلقد توقف قلب حبيبتي ... قبل أن نصل

احتضنتها جودي بما أمكنها من قوّة ثم قالت:

- رحمها الله ... رحمها الله

- آمين!

زادت من شدة قوة عناقها ثم قالت بقوة تماثلها:

- أنت أُمي وأنا طفلتك مهما كان سني كبيرا ... لن أتخلى عنك
البتّة، حتى لو فرّقتنا المسافات

مسحت سارة دمعة يتيمة تدرجت على وجنتها، ثم بادلت الفتاة
العناق...

- أوه! إنه أخي جاد يتصل، لقد نسيت!

- ما الذي نسيتَه

- سنذهب لنودّع عمر قبل أن يسافر إلى فرنسا

- يسافر؟ لماذا؟

- ألا تعلمين؟ إنه يريد اللحاق بأمه الروحية، ماذا قال اسمها؟ آه
نعم؛ الآنسة ندى

- ندى؟ أمه الروحية؟

- أوه يا له من بيت جميل!، سيدة فخمة من سيدات الطبقة
المخملية تستحق منزلا رائعا كهذا، ما أجمل تلك الزهور هنا،
ليست طبيعية أليس كذلك؟ أوه بالتأكيد لا لكنها جميلة للغاية
وتلك اللوحات هناك أظن أن سعر الواحدة منها يعادل راتبي

إن لم يكن أكثر، أوه وهذا المطبخ! إن من ينظر إلى حدائته ورقية ينسى كل تفاصيل المنزل الساحرة وهذه الشرفة التي...
- إيه يكفي هذا، ما بال كلامك لا نهاية له!؟!

ردعتها راندا بلهجة نارية ثم قالت بعد أن استعادت القليل من هدوئها:

- القاعدة الأولى التي ستتعلمينها هنا، هي أن تتحكمي بفمك هذا، لذلك إن كنت تودين ألا أطردك كما فعلت بمن سبقك من خادمت عليك أن تنسي ثرثرتك هذه

ارتفع حاجبا كاميلا دهشة ثم هزت رأسها مؤيدة دون أن تنطق، على خلاف طبيعتها الثرثارة! فتابعت راندا وهي تعرفها على أرجاء منزلها الفخم:

- ثاني قاعدة ستحفظينها غيبا هي ألا تطفل ولا أسئلة ولا أي تدخل بحياتي الشخصية، ستنغمسين في عملك بالكامل لدرجة ألا تشعريني بوجودك، ثالثا النظافة ثم النظافة أي شيء قدر سألاحظه في مظهرك أو في عملك ستكون عاقبته طردك من العمل، وأخيرا راتبك الذي ستتقاضينه حسب جودة عملك
- أوامرك على رأسي يا سيدتي، اطلبي "لبن العصفور" وسأحضره لك، أوه لو تعلمين مدى سعادتي بقبولي بعمل في بيت فخم كهذا، ما أجمل هذا الغرفة وخصوصا...

حدجتها راندا بنظرة صارمة، ثم قالت بتحذير أخافها:

- هذا آخر تنبيه لك، وإلا ستحيل ثرثرتك هذه يومك الأول إلى الأخير

ثم تركتها، وانصرفت بخطوات غاضبة فتحيتت كاميلا الفرصة لتهتف بكره ممزوج بكم كبير من الغضب الذي سببته إهانة تلك المتعجرفة لها:

- انتظري قليلا أيتها الأفعى ... أقسم لك أنني سأحيل حياتك إلى جحيم مستعرا!

أمسكه بقوة من كتفيه ثم هتف بعزيمة:

- فلتذهب وتعد بسرعة يا أخي، حماك الله وسدد خطاك

نظر إليه عمر والدهشة تعتربه، فابتسم جاد ببراءة ثم قال:

- الحمد لله على نعمة الإسلام!

حملق به وهو لا يعي الذي يسمعه، ثم هتف بتشكك:

- جادا! لا تقل أنك؟ هل ... هل؟؟

- نعم ما بك يا رجل، ألم تكن تتمنى لي هذا؟ وها قد حصل

- ما زلت لا أصدق ... فلتقولها بصوت عال

- لقد أسلمت ... لقد أسلمت، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ها هل اقتنعت الآن

هتف عمر بظفر، ثم ضمّه بقوة إليه وهو يهتف بتأثر:

- مبارك يا أخي ... مبارك يا عزيزي جاد

حوّل نظره إلى جودي وسألها:

- وماذا عنك يا جودي؟ هل كنت تعلمين بهذا؟

قالت بلهجة محايدة:

- نعم لقد كنت أعلم، إنها ... حرية شخصية، فليفعل ما يحلو له

نظر إلى جاد نظرة ذات مغزى متسائلا، فهزّ الأخير رأسه نافيا ما فهمه، فأخرج عمر زفيرا هادئا ثم قال بحماس:

- إلى اللقاء أعزائي، ادعوا لي بالتوفيق

ثم أضاف وهو يبتسم لجودي:

- بانتظار سماع خبر إسلامك ... أختي اللطيفة جودي

33

اللقاء

جلس باسترخاء بمقعد الطائرة الوثير بقرب سوزي، وراح يتأمل وضعه، ماذا فعل بحياته حتى الآن؟ هل هو مقتنع بالذي فعله؟ ربما نعم ... وربما لا!، أولا كان شبه بانس يتجول من مكان لآخر والحزن يأكله من الداخل، إلا أنه تغير كثيرا بعد لقاء جاد، فأصبح يشعر بتحسن عند كل مساعدة طفيفة كانت أم كبيرة يقدمها له، وبعد أن قارن وضعه بوضع صاحبه شعر برحمة الله التي تملأ حياته، ثم ماذا؟ ثم صار دؤوبا ومشرقا أكثر وارتبطت حياته مع حياة جاد فصارا يتشاركان أي شيء وكل شيء تقريبا...

ثم بدأت المناظرات الدينية الجادة التي ملأت فراغا في حياته وجعلته يعمل عقله بطريقة مثيرة للإعجاب، إلى أن حدث بحمد الله وأسلم جاد... نعم إنه يشعر بالفخر لهذا الإنجاز ويتمنى من كل قلبه أن تحذو جودي حذو أخيها، إضافة إلى أنه لا ينسب الفضل له بل للشخص لذي زرع في قلبه بذرة الإسلام إلى ... ندى!

- كم أنا متلهّف إلى لقائها!

طالعه سوزان متظاهرة بالامتعاض ثم قالت وهي تضحك بشقاوة:

- هل تتذكر؛ عندما اجتمعنا بندي لأول مرّة على متن الطائرة؟

شاركها بالضحك وهو يقول:

- وكيف لا أتذكر؟ وعلى وجه الخصوص الشجار الذي دار بينكما
قالت بعبوس:
- ما ذنبي إن كانت حساسة للغاية!، وفي اللحظة التي تفوهت بها
بكلمتين بسيطتين انقضت عليّ بشراسة، أوه من تلك الذكري!
ضحك مجددا ثم قال بحماس لم تعهده عليه سابقا:
- لقد قاربنا على الوصول، فلتستعدي
- استعد؟ ألا ترى أنني مستعدة!، يا ترى هل ستمتع بالحماس
والفرح ذاته إن غبت عني لفترة ثم حالفك الحظ لكي تراني من
جديد؟
- طالعتها بطرف عينه ثم قال بتهمك وهو يطم شفتيه:
- من يدري؟ ربما
- جاءهما ليقطع مشاكستهما صوت المضيئة عبر المكبرات الصوتية:
- " الرجاء من جميع الركاب ربط الأحزمة ... سنهبط الآن في مطار... "
- هبطت الطائرة بسهولة ويسر، وبدأ الركاب بالتوجه إلى البوابة ومنهم
عمر وسوزي اللذان نزلا من الطائرة وبدأ بالتمشية في أرض المطار...
- عمر! سوزي!
- التفتا معا ليريا مصدر الصوت، فبدأت سوزي تبحث بعينيها في أرجاء
المطار بينما استقرت عينا عمر بثقة على وجه امرأة شقراء في العقد
الرابع، وهتف:
- آنسة ندى!؟

اقتربت منهما ندى ببهجة لا توصف وسلمت عليهما بحرارة!...

- ندى حبيبتني، كم اشتقت لك!

- وأنا أيضا يا سوزي ... وأنا أيضا!!

حولت ندى بصرها نحو عمر وقالت وابتسامة صافية تزين ثغرها:

- لقد كبرت يا صغيري! أوه لقد أصبحت الآن ذلك الرجل الذي يعتمد عليه!

بادلها الابتسامة عندما تذكر "عمر الطفل" الذي كان دائم التلهف لكي يصبح رجلا، والذي حقق حلمه بمعونتها وجلده لذاته...

ثم خرج ثلاثتهم متعاضدين من المطار...

34

محاولة

رَيَانُ

هل حقا باتت الأمور بيدي الآن؟ إنهم يريدون مني إقناع إيميلي بالشهادة أمام المحكمة، لكنني لست واثق، لا ... لا أستطيع إقناعها لأنها هي ذاتها لا تستطيع فعل هذا، آه ماذا أفعل؟؟ ماذا أفعل؟

نظرت حولي بحزن إلى أن لمحت شابا أسمرًا يتقدم نحوي بهدوء، أيعقل أنه قد يمسنني بسوء؟ تحفزت سريعا لمواجهة إلا أنه فاجأني عندما جلس بقربي على مقعد الحديقة وقال بكل لطف:

- مرحبا يا بطل ... كيف حالك؟

نظرت إليه مطولا ثم قلت مشيحا وجهي:

- أنا لست بخير، ولا أريد التحدث مع أحد

فرد بحزن:

- حقا؟ أنا آسف على الإزعاج، كل ما في الأمر أنني رأيت شيها بيني وبينك، فأنا كنت أشبهك للغاية في صغري

لم أرد فتابع وهو ينظر إلى الأرض:

- لقد توفي والدي عندما كنت صغيرا جدا لدرجة أنني لا أتذكرهما أبدا، كما توفيت جدتي ولم يبقى لي أحد في الحياة، إلا امرأة على وشك أن أفقدها الآن أيضا، امرأة اعتنت بي وحاولت التخفيف عني لدرجة أنني اعتبرتها كأمي ... آه والآن سأفقدتها!

شعرت بالفضول فسألت:

- ولماذا؟ أين هي الآن؟

نظر إليّ بانكسار ثم قال:

- إنها تنتظر محاكمتها بتهمة لم ترتكبها، وإن ثبتت تلك التهمة الباطلة، فالسجن سيكون حليفها، وهناك امرأة ماذا يسمونها؟ آه نعم اسمها إيميلي بإمكانها الشهادة وقلب الموازين إلا أنها لن تفعل، تخيل أنها رفضت الشهادة

- قد يكون لديها أسبابها لترفض الشهادة لصالحكم

- أي أسباب هذه التي قد تمنعها من الكلام؟ إننا لا نطلب منها سوى أن تشهد بالحقيقة، فقط لا غير

لم أعلق فورا، بل تريّثت لأقلّب الفكرة برأسي، وقلت بعدها:

- حسنا ... لا تحزن، سأحاول أن أحدث إيميلي مجددا، فيبدو أنها بسكوتهما ستضر الكثير من الأشخاص

تسريت ابتسامة ظفر إلى وجهه، لكنه كبتهما وهو يسأل ببلاهة:

- وهل تعرف إيميلي؟ الأنسة إيميلي بيكر؟

هزرت رأسي وقلت:

- نعم، إنها أُمي بالتبني

ثم أردفت:

- والآن قل لي ما اسمك؟

قال وهو يمد يده بود باتجاهي:

- أنا عمر ... عمر موفق، تسرني صداقتك

ابتسمت وأنا أصافحه:

- وأنا ريان

شعرت بدفء يسري في أوصالي، وتجددت همتي ... نعم! لن أستسلم ولن أدع إيميلي تستسلم، يجب أن أقنعها لكي تشهد أمام المحكمة، وبهذا لن يدخل الحزن على قلب صديقي الجديد عمر

كانت تعمل مشغولة اللب تفكرّ بآخر الأحداث التي حصلت معها وبالتحديد بتلك الخطة المحكمة التي أخبرتها بها لويزا لتبدأ بتنفيذها بكل حرص وهدوء، فكان الخط العريض من تلك الخطة هي أن تتواجد كعميلة بمسمى خادمة في منزل تلك الأفعى، بهدف حصولها على دليل يثبت توّظها بتجارة المخدرات، إلا أن الأفعى كانت حريصة على الرغم من أنها أعطتها الفرصة لكي تدخل لوكرها وتضع يدها هنا وهناك إلا أنها كانت غالبا ما تمكث بغرفتها الخاصة التي إن وجد شيء هام كدليل أو ما شابه سيكون فيها، إضافة لكونها لا تخطي خطوة خارج المنزل الفاره إلا وتأكدت من إيصاد غرفتها بالمفتاح وأخذه معها!!

- أوه! الصحن الزجاجي الثمين!!

صرخت صرخة مكتومة وهي تلاحظ تناثر زجاج الصحن غالي الثمن الذي كانت تنظفه منذ لحظات، شعرت بالدم يتدفق في عروقها

وأطلقت سبة عابرة وهي تتذكر أن هذا سيكون سبب وحيد ليخضم من راتبها مبلغاً ليس بقليل، لكن لا هي ... هي لا تريد قشة من تلك المجرمة فهي هنا لهدف محدد حالما تنهيه ستترك هذا المنزل اللعين للأبد هكذا كانت تحدّث نفسها وهي تمشي باتجاه الحمام-الواقع بقرب غرفة راندا- لتحضر شيئاً يساعدها في كنس الزجاج المتهشم، إلا أن قدميها تسمرتا وتسارعت أنفاسها وهي تتبين لتوها ما تسمعه من غرفة تلك الخبيثة!، مما جعلها تخرج هاتفها بهدوء من جيب مريلتها وتضغط على زر تسجيل الصوت، لتقوم بتسجيل مكالمة هاتفية لراندا مع أحدهم توصيه بكمية من مخدر ال(....) للاستعمال الشخصي وتعهده بمبلغ مغري إذا أحضره لها بأقرب وقت!!!

أعطته قرصا من الكبة المقلية وهي تبتسم ثم تناولت آخرها وقضمنه بشهية، بينما راح يقول بفرح:

- إنها لذيدة للغاية!، لقد تذكرت عندما أقمت وليمة صغيرة في دبي، وقيمت بدعوتنا أنا وسوزي

- آه نعم! سقا الله تلك الأيام، فحينها كنا سويا مع سارة ورهف وأولادها

وأردفت بغصة:

- وكانت حينها جيهان العزيزة ... معنا أيضا

قال متداركا:

- أوه صحيح، لقد التقيت بريان مثلما طلبت مني، ولقد تصادقنا

هتفت أمل باهتمام:

- وهل سيعيد التحدث مع إيميلي؟

- نعم ... نعم لقد وعدني بهذا

- إن شاء الله

تابعوا تناول الطعام بهدوء، إلا أن قالت أمل مجدداً:

- ندى ... هل ستترك الأمر لذلك الصغير؟ هل بإمكاننا الوثوق
بنزواته؟

أكدت لها ندى:

- لن نثق بريان فقط، بل سنتركز ثقتنا على ضمير إيميلي الحي

- إيميلي ... وضمير حي؟؟

ابتسمت ندى وقالت برقة:

- تأكدي أن ضميرها حي، وأن قلبها نقي ... وأنها أيضاً لم تفعل ما
فعلته إلا من باب الخوف

ثم قضمت قرصاً آخر من الكبة بحماسة وثقة، وكادت تهم بقول شيء
لكن صوت وصول رسالة على هاتفها قاطعها، فمسحت يديها بالحماس
ذاته ثم فتحت الرسالة التي كانت من كامبلا، لتسمعها وتتسع عيناها
بذهول!!

- هل حقاً...؟ هل حقاً شهدت بالمحكمة زورا؟

أفاقت من شرودها على سؤاله الجريء الذي قدمه لها من دون أي
مقدمات، لتقول بعدم استيعاب:

- هه؟ ما الذي كنت تقوله للتو؟!
- هل قمت بالكذب وادعيت زورا أن جيهان مندو متورطة بما نسب إليها من تهم؟
- تتحنحت في جلستها، وهي تفكر؛ من أين أتى بهذه الفكرة؟ لقد حاولت جاهدة أن تبعده عن هذه المشكلة بالتحديد، فكيف تكون خباياها كالدفتر المفتوح أمامه؟ هل هي حقا كشفت نفسها من دون أن تدري؟ أم أن ... أم أن أحدا حشا عقله الغض بهذه الفكرة؟، طردت تلك الأفكار عن رأسها بسرعة وقالت بمرح مصطنع في محاولة منها لتغيير الموضوع:
- أوه صحيح! لقد نسيت أن أسألك؛ كيف كان يومك الدراسي اليوم؟ هل قدمت مشروع العلوم؟ أم أن المعلمة أجلته مجددا؟
- طالعتها ريان بنظرة ثاقبة طويلة، ثم قال بهدوء:
- لا تتجاهلي سؤالتي يا إيميلي، لقد طرحت عليك سؤالا وما زلت أنتظر الإجابة عنه
- عقدت حاجبيها بغضب لم تفلح بإخفائه ثم هتفت بتشكك:
- من أين جئت بهذه الفكرة؟
- وهل يهمك هذا؟ إنني أتساءل إن كان هذا صحيح أم لا، فقط لا غير
- ريان ... فلتتنحى جانبا ولتترك الموضوع لأصحابه، ولتنسى الموضوع برمته
- لماذا أنسى؟ إذا هذا صحيح!، لماذا فعلت هذا؟ من الذي دفعك لفعل هذا؟

رن ناقوس الخطر في رأسها، فأمسكته من كتفيه باندفاع وهتفت بلهجة
آمرة محذرة:

- هذا ليس من شأنك يا عزيزي، هل تفهم؟ فلتهتم بدراستك
وبحياتك الشخصية، حسنا؟

قال بحزن:

- إنني لا أرضى أن ... أن تكوني عديمة الشفقة وظالمة لدرجة أن
تؤدي فتاة بريئة ... وتجعلي عائلتها تعيش لوعة فقدانها

صمتت فاستطرد غير آبه بسكوتها:

- إيميلي ... أنا أحبك، وأحب أن تكوني أفضل شخص في العالم
كما أنني لطالما كنت فخورا بصفاتك الرائعة وبقلبك الصافي إلا
أنك الآن خيبت كل آمالي، هذه ليست من طباعك ولا من الأمور
التي تربيته ونشأت عليها، أنت ... أنت سندي وكل عائلتي لكنني
لا أتقبل ما تفعلينه وتصرين على الخوض فيه بأي شكل من
الأشكال

اغرورقت عيناها بالدموع إزاء كلامه، لقد غدوت رجلا عزيزي ريان!، ليتني
أستطيع أن أصحح ما اقترفته من أخطاء، لكنني لا أفعل من أجلك فقط،
لأنك أنت سندي ولست سندي، أنت ابني وأخي وصديقي وكل شيء
في حياتي، أساسا أنت أهم شيء في حياتي التي ستبقى مميّنة من
دونك...

تمهل قليلا ولم يتابع تأنيبها، إلا أنه هتف برجاء أمام صمتها الذي غدا
ثقيلًا...

- فلتشهدي في جلسة الاستئناف فلتبوحى بكل شيء وأي شيء
قد ينقذها أمام القضاة، فلتفعلي أرجووك!

رمقته بنظرة حانية، ثم ابتسمت بمرارة وهي تغادر مجلسها، لكيلا تفقد
سيطرتها على نفسها وعلى مشاعرها أمامه، إلا أن صوتا داخلها كان
يقول: لن أفعل لأنني لا أستطيع، ليتني كنت بجرأتك وشجاعتك لكنت
حينها؛ فعلتها

35

ما قبل الحسم

- يا رب وفقنا في جلسة الغد، أمني بك كبير يا إلهي فلا تردني خائبة، أرجوك!

مسحت دموعها بطرف كمها مجددا ثم جلست في زاوية مظلمة وأخذت ترتل بعض الآيات القرآنية، إلا أنها كانت مشغولة اللب و... خائفة للغاية، سمعت صوت صرير خفيف جراه انبثاق للنور في أرجاء الغرفة، ثم ظهر طيف شخص، ترقبت وهي تحبس أنفاسها حتى رأت أمل، التي سرعان ما جلست بقربها وابتسامة حانية تزين وجهها، فهمست بصوت ضعيف:

- أمل! لقد ... لقد

وما لبثت أن انفجرت بنوبة بكاء جديدة، فسارعت أمل باحتضانها لعلها تهدأ، لكن هذا أحدث نتيجة معاكسة إذ ابتعدت عنها بحدة وهي تهتف بينما ترمقها بعتاب:

- لماذا أتيت الآن؟؟ بعد كل هذه المدة التي تركتني خلالها، بعد اختفائك بعد المحاكمة المشؤومة، كيف ... كيف تأتين؟

فتحت أمل فمها لتتكلم إلا أنها أطبقته بإحكام عندما استطرد جيهان قائلة بين دموعها:

- لقد كادت الوحدة تقتلني، وليس كل هذا ... بل إنك لم تتكلمي
عناء مشاورتي حتى!، لقد نهش داخلي الخوف والقلق والجزع،
أين كنت حينها؟؟ أين كنت؟؟

همست أمل بصوت خفيض:

- أنا آسفة ... سامحيني

كانت تود أن تردف وتخبرها كم عانت مع النائب العام ومع الشهود ومع
كل الأناس البغيضين المتعلقين بالقضية، كانت ترغب بأن تصف لها
السهاد الذي غزا لياليتها والقلق الذي بات شريكها بكل شيء في حياتها،
إلا أنها لاذت بالصمت وتركته تهدأ براحتها، وبعد أن شاهدها تعود إلى
طبيعتها قالت بثقة:

- غدا ... فلتصبري حتى غد وسينتهي الكابوس حينها ... أعدك بهذا

رفعت جيهان وجهها الهزيل نحو الأعلى وقالت بهدوء حزين:

- إن شاء الله ... إن شاء الله!

أمسكت أمل كتفيها بقوة وهتفت بقوة مماثلة:

- لا تفقدي الثقة بنفسك وبمن حولك، تحلي غدا بالشجاعة، وثقي
بالله أولا ثم بي ... اتفقنا؟ هاه؟

صمتت جيهان لبرهة، إلا أنها استسلمت للموقف وقالت:

- سأحاول أن أفعل

- هكذا أريدك يا حبيبتي ... قوية وثابتة في وجه عواصف الدهر
ونوائبه!

كاميلا

غدا المحكمة!!، أوه غدا المحكمة ماذا أفعل؟؟، لا أظن التسجيل وحده يكفي فقد يتهمونني بتلفيقه، عليّ أن أحصل على مستمسك ملموس آخر لكي أغلب تلك الوضيعة، فبعد تلك المكالمة ازدادت مدّة بقائها في البيت ففي الصباح تخرج إلى المستشفى وتأخذ معها المفتاح كالمعتاد ومن ثم تعود إلى المنزل على الفور، حتى طعامها تتناوله غالبا بغرفتها تلك، مما يجعل إمكانيات دخولي عليها شبه معدومة، استفتت من شرودي على صوتها الذي صدح عاليا وكأنها كانت توبّخ أحدهم:

- ماذا قلت؟؟ كيف هذا؟

ثم ساد صمت بسيط قطعه صياحها الحاد من جديد:

- لا تحرك ساكنا حتى آتي أفهمت، لا لا إياك، انتظرنني وسأتي حالا، نعم نعم نلتقي هناك

ثم ما لبثت أن سمعت صوت الباب وهو يغلق بقوة فتساءلت ساخرة، هل يا تراه عصى أمرها أحد أعوانها أم أنها تعرضت لصفعة من صفعات القدر؟؟، وكعادتي التي صارت تلازمي كلّما خرجت من المنزل ركضت لكي أتبين إن كان باب غرفتها مفتوح أم مغلق، إلّا أنني صدمت عندما وجدته ولأول مرّة؛ مفتووووح!!!!...

دخلت على الفور بلا أدنى تردد، لأجد بعد بحث طويل وعناء ضالتي داخلها، ضالتي التي ستكون طوق نجاة للمتهمة البريئة وطوق سيحكم على رقبة تلك ... المجرمة!!

36

الحسم

كانت تقف بجلد داخل قفص كرية، ترمق الحضور بحدة وثقة في آن معا، وتحاول السيطرة على وجيب قلبها الذي راح يعزف سيمفونية صاخبة غير متناسقة عندما بدأت الاتهامات تنساب من شفطي المدعي العام بكل استفزاز:

- المدعوة جيهان مندو ... في اليوم ال 29 من يوليو وفي تمام الساعة الثالثة و26 دقيقة أنت متهمة بالقتل المتعمد عن سابق تصميم وإصرار للضحية السيدة "ناتالي براون"، ما كلامك حيال هذا؟ أنت مذنبه أم غير مذنبه؟

شعرت أن العالم كلّه غدا ضبابيا لوهلة وأحست بدوار في رأسها وبعواصف تجعل جسدها يرتجف من فرط التوتر، كادت تستسلم إلا أنها قالت بهدوء خالف ما تشعر به:

- أنا غير مذنبه

لمحت إيماءة الرضا التي لاحت على وجه أمل ... ووجه المدعي العام الذي نظر بتقزز وعلى شفطيه ارتسمت ابتسامة صفراء منمقة، ثم نظرت حولها من جديد إلى تلك الوجوه اللاتي تبدو عليها السعادة والاستمتاع، نعم ... إن الحاضرين يستمتعون بعذابها ويشعرون بالإثارة حول كل تلك التهم التي تتردد على مسامعهم، إنهم ... لا يمتلكون أية إنسانية! ولا

حتى ذرة إنسانية!!، هذا ما كان يتردد داخل عقلها حينما تنفس المدعي العام الصعداء وأخرج دفترها مهترئا وبدأ يقرأ تفصيلات الإدانة:

- في يوم الثلاثاء الموافق للتاسع والعشرين من شهر يوليو أتت المريضة ناتالي براون إلى مستشفى "la belle sante" لإجراء عملية للقلب وفق موعد كانت قد حددته سابقا، وكان من المقرر قيام الطبيبة جيهان مندو بإجراء العملية مع مساعدة الطبيبة سيلين كلوب، وبعد انتهاء كل الإجراءات دخلت المريضة إلى غرفة العمليات وبدأ التخدير ثم بدأت العملية الجراحية، وبعد وقت من بدء العملية خرجت جيهان مندو مذعورة لتغسل يديها المصبغتين بالدماء وتعلن موت السيدة براون

سأله أحد القضاة الثلاثة:

- وماذا كان سبب وفاتها؟
 - لقد توفيت السيدة براون فورا بسبب قطع أحد الشرايين وحدث نزيف شديد لم يتم السيطرة عليه من قبل الطبيبة جيهان مندو
 - وما الدليل على أن المتهمه جيهان مندو هي من قامت بهذا؟
 نظر المدعي العام إلى جيهان وكأنه يقول "استعدي إلى البكاء صغيرتي"، ثم قال:

- أولا: شهادة مسجلة من سيلين كلوب جاء فيها أنها حاولت صد جيهان لكنها لم تقدر، ثانيا: ما سجل على الكاميرات من توتر وهلع وخوف على جيهان بعد موتها، ثالثا: أوراق تثبت إصابة جيهان في يدها اليسرى التي تجري الجراحة بها ومما يعني خطأ أكبر بسبب استخدام يد غير متزنة، وأخيرا: شهادة الطب الشرعي

بأن الأداة المستخدمة في قطع الشريان كانت مشروط جيهان
مندو الذي استخدمته في إجراء تلك العملية
شهقت جيهان شهقة مكتومة ثم قالت بصوت لا يكاد يسمع:

- أطلب رفع الجلسة لبعض الوقت!

ثم استطردت:

- للتشاور مع محاميّ الخاص

- في هذه الحالة سأمسي خلف القضبان ... أووه!، ما الذي
سنفعله؟ ما الذي سنفعله؟؟

نظرت إليها أمل بثبات ثم قالت:

- سأبدأ مرافعتي وسأحاول أن أنفي التهم عنك بما أمكنني من
قوة ... لا تقلقي

- لكن ... لكنهم يخلقون شهادات لا أساس لها من الصحة، هذا
فظيع!

- سنواجه شهادات الزور تلك وسننتصر، ثقي بنفسك وبي ولا
تفقد السيطرة على أعصابك مهما اشتدت التهم، وحاولي أن
تضعي قناعا من البرود واللامبالاة على وجهك ... اتفقنا؟

زفرت جيهان بإعياء ثم قالت بصوت واهن كئيب:

- لقد تعبت يا أمل ... لقد خارت قواي، لم أعد أستطيع التحمل

أمسكت أمل بكلتا يديها بحنو ثم قالت برفق:

- تماسكي يا حبيبتي سينتهي كل شيء اليوم فلا تفقدي إيمانك، ادع الله بسرك وحاولي أن تظلي شامخة، أعدك بأنني سأدافع عنك حتى الرمق الأخير

تقدمت أمل الخطيب بزيتها الرسمي ذي اللون القرمزي إلى منصة الدفاع حتى استقرت عليها بثبات لتبدأ بمرافعتها:

- لقد قدّم المدعي العام بعض المعلومات على أنها حقائق كافية بنظره لتثبيت الحكم على موكلتي الآنسة جيهان مندو، وبما أن معلوماتك لم تكن مقنعة بالنسبة لي ولم تعترف أو لنقل تقرّ موكلتي بصحة هذه الادعاءات أود أن أطرح بعض الأسئلة، وأتمنى أن أجد عندك إجابات شافية

كان نظره معلقا على وجهها باستهزاء واضح حين قال:

- هات ما عندك

زفرت ثم قالت بثقة:

- بداية ... هل جاء باعتراف سيلين كلوب المسجل أنها رأت جيهان هي تقوم بقطع شريان السيدة براون؟ ثانيا، هل كل من يحزن أو يهلع عند تعرض مريض له للموت يعتبر جانبا وعليكم محاكمته؟ وثالثا -أيها المدعي العام- ألم تسأل نفسك لماذا أجلت الآنسة كلوب إخبار المسؤولين بالمعلومات التي بحوزتها ألم يكن من الأجدر لها ألا تخفي هذا الموضوع لكيلا يحدث أي خلل؟ ألا يثير شكوكك موضوع ظهور دليل الإصابة بعد الحادثة فجأة؟

نظر إليها المدعي العام بحنق ولم يجب إلا أن القاضي الرئيسي سأله
بإلحاح:

- هل جاء بنص اعتراف سيلين كلوب أنها رأت جيهان مندو وهي
تقطع الشريان؟

أجاب المدعي العام بارتباك:

- لقد نص اعترافها على أن جيهان أحست بألم في يدها وكانت
غير مسيطرة على انفعالاتها وقد حثتها على ألا تقدم على شيء
لكنها لم تستمع لكلامها

هتفت أمل:

- لماذا تتكلم بغموض وبألغاز مبهمة؟ سيلين حثتها على ألا تقدم
على شيء ... مثل ماذا؟

قال بحدة محاولا إغاضتها:

- أليس واضحا؟ ألا تقدم على فعلتها النكراء، على ... على جريماتها
الشنعاء

طرق القاضي بقوة على طاولته فعم صمت رهيب أرجاء المحكمة،
فعدت أمل إلى مقعدها بخطوات غاضبة، وهي تشتم بسرها كل من
له يد في هذا العمل...

وهنا قال القاضي بصوت حازم:

- والآن سترفع الجلسة للتشاور، حتى يتم إصدار القرار الأخير بشأن
المتهمة جيهان مندو، وذلك بعد أن سمعنا كل الادعاءات من
جديد واطلعنا على الشهادات الإضافية

شهقت جيهان بصوت خفيض وكتمت عباراتها، بينما طالعتها أمل بثقة
وحنان مع أنها كانت تشعر بخوف يتملك كيانها

37

مذنبية؟؟ ... بريئة؟؟

جيهان

لحظات وشيكة وينتهي كل شيء، نعم ... إن كلمة واحدة سينطقها القاضي ستغير مجرى حياتي كله، آه ما أصعب هذا الشعور! عندما تعلم أن مصيرك سيحدد من قبل شخص لا يأبه بك وبمخاوفك، إنني الآن انتظر قرار هيئة المحلفين فإما أن يقرّوا بكوني مذنبه وعندها يا لسوء حالي ... إذ سأمكث في زنزانة عفنة حتى وصولي إلى أرذل العمر، وإما -ولا أظن أنه احتمال في الحسبان- ستعلن الهيئة أنني بريئة وحينها ستشرق شمس جديدة على حياتي المعتممة، وسأستعيد حريتي وأتحرر من براثن الظلم وأغلال الاضطهاد...

يا ربي ... ليس لي سواك لأشكو همي فأنت الأعلم بحالي!

يا الله ... نجني من ظلم المفترين واجعل الحرية مصيري!!

آمين...

تمالكت أمل الخطيب نفسها واستعادت توازنها ثم دخلت إلى القاعة المشؤومة من جديد لتستقر في مكانها ونبضات قلبها الشديدة تكاد تقتلها، دقائق معدودة أعلنت عن امتلاء القاعة بأكملها، ثم دقائق جزع وتوتر إضافية حتى وصول لجنة المحلفين والقضاة الثلاثة...

تشنج جسم أمل واعترت جسمها برودة لاذعة بينما تنتظر إصدار القرار، نظرت إلى القضاة الذين جلسوا بهدوء مستفز يتناقشون بصوت لم يصل إلى مسامعها، إلا أنها انتفضت حين طرق القاضي الرئيسي على طاولته وقال:

- بتهمة قتل السيدة ناتالي براون ... ما حكم هيئة المحلفين؟

ران هدوء الترقب ريثما تناقل القضاة قصاصة ورقية صغيرة ثم قطعه القاضي من جديد:

- مذنبه

تفجرت الكلمة في مسامع جيهان وشعرت بضربة ساحقة قسمت ظهرها حين تابع:

- جرّمت الأنسة جيهان مندو بالقتل الناتج عن قلة احتراف ومهارة الجراح وعدم استيفائه الاختبار القانوني ل(الطبيب المعقول)، وشهادة الطب الشرعي والشهادات الأخرى تحسم هذا

وكرر من جديد برزان:

- جرّمت بالقتل دون سابق إصرار وتخطيط، وقد حكم عليها بالسجن لمدة 10 سنوات

صرخت جيهان صرخة مدويّة ثم خرّت على ركبتيها وبدأت تبكي بنشيج متقطع ... إنها النهاية! سحقا للكاذبين!، ستنتهي حياتها بالعذاب بسبب حفة من المفترين!!...

وكان الوضع مماثلا مع أمل التي هطلت عبراتها بقله حيلة وهي تنظر إلى المدعي العام المبتسم وتعض على شفثيها بحنق وغيظ...

- توقفوا ... توقفوا!!

استدارت الوجوه الفضولية لمعرفة مصدر الهتاف، وكان منهم وجه أمل الذي اعترته الدهشة وقالت غير مصدقة:

- إيميلي!!!!

مشت بخيلاء بفتانها الأسود الأنيق عازفة ترنيمة بصوت حذائها ذي الكعب العالي، الذي اخترق سكون الذهول

- إن ما تفعلونه خاطئ حضرة القاضي

وقفت بثقة أمام هيئة المحلفين والقضاة الثلاثة فلحقت بها أمل سريعا ووقفت بقربها على منصة الدفاع لكنها لم تأبه لها وتابعت حديثها بصوت رزين:

- إنه لمن الظلم المدقع أن تدينوا الأنسة جيهان مندو بينما المجرمة المسؤولة عن كل هذا ما تزال حرّة طليقة

نظر إليها المدعي العام كمن ينظر لشخص مجنون ثم قال:

- ألا توضحين لنا كلامك؟ من تلك المجرمة الحرّة التي تدعيها، هاه؟ المجرمة الوحيدة هي جيه...

قالت بنبرة مرتفعة قاطعة كلامه:

- المجرمة الوحيدة هي تلك التي تجلس هناك

ثم أشارت بإصبعها قائلة:

- إنها أنت يا راندا تشارلز

توجّهت الأنظار لتعلق على وجه راندا التي وقفت وهي تضحك ضحكة قصيرة مفتعلة ثم قالت بنعومة منمّقة:

- هل تلعبين معي لعبة أيتها العزيزة إيميلي؟! أنا قاتلة! لا لا يبدو أنك جننت!

ثم استطردت بجدية:

- ألا تذكرين أنك شهدت أمام المحكمة سابقا بأن جيهان هي التي قتلت السيدة براون؟ ثم ... أمن الممكن أن يقر شخص ويعترف بشيء يؤمن به، ثم يتراجع عن أقواله بظروف غامضة؟ أظن أن أحدهم قد قام برشوتك لتشهدي ضدي

رفعت إيميلي حاجبها الأيسر ثم قالت:

- ألا تذكرين تهديداتك لي بأنك ستقتلين ابني بالتبني ريان إن قلت خلاف ما لقتنتي إياه؟ أوه! إن الكلام هكذا لا ينفع ... حضرة القاضي أود تقديم أدلة إدانتها لحضرتكم ... من بعد إذنكم طبعاً

طرق القاضي على طاولته ثم قال بتملل:

- هات ما عندك

وهنا فتح باب القاعة من جديد، ودخل منه ريان ومشى إلى أن وقف بقرب إيميلي وقال:

- حضرة القاضي ... أعلم أنني صغير وأنت قد لا تأخذ كلامي على محمل الجد إلا أن تلك الأنسة تشارلز كانت قد وضعت رجالا حولي يتتبعون تحركاتي وتحركات إيميلي وينتظرون أي إشارة حتى ينقضوا علي وينالوا مني

خاطبه القاضي بلين:

- وكيف عرفت أنهم يتتبعونك؟
- هذا بسيط ... فمنذ يوم وقوع الحادثة بدأوا، ينتظرون خروجي من باب المدرسة ثم يلاحقونني حتى أصل إلى البيت وكانت سيارتهم السوداء تظل واقفة قرب مدخل المبنى وكلّما خرجت أو دخلت يطاردونني ... أقسم لك على هذا
- هتفت راندا:
- هذا كذب ... هذا كذب
- طرق القاضي على طاولته ثم قال:
- حسنا ... لكن شهادتكما ليست كافية لتجريم الأنسة تشارلز فما دافعها لارتكاب جريمة قتل السيدة براون؟
- ابتسمت إيميلي وروت لهم القصة ذاتها التي روتها عندما اعترفت لندی وعندما انتهت فتح الباب مجددا لتدخل منه الطيبية ريم النحاس، وتتقدم نحو منصة الدفاع وتقول:
- آنسة إيميلي بيكر لقد جلبت معي الدليل الذي طلبته، إن على هذا القرص المدمج مقطعا سجلته الكاميرا التي في الممر لمقابلة الأنسة تشارلز مع السيدة براون
- أخذته إيميلي منها وقالت مخاطبة القاضي:
- أرجو منكم التحقق من هذا
- أشار القاضي لأحد أفراد الشرطة فاستلمه منها وراح ليفحصه بينما تابعت إيميلي:
- والدليل على تجارة الممنوعات سيصل حالا

وهتفت بلهجة استعراضية:

- وها هو ذا

دخل عمر موفق بصحبة كامبلا روز إلى القاعة التي غدت مكتظة بالناس وبعد أن وصلا ليقيفا أمام القضاة والمحلفين قالت كامبلا مخاطبة القاضي بعد أن عرفت بنفسها وأدت القسم:

- أنا أشهد وأقسم بأن تلك المدعوة راندا تشارلز هي التي قتلت سيدتي ناتالي براون عمدا بعدما كشفت كونها تتاجر وتتعاطى المخدرات

طالعتها القاضي بنظرة تقييمية ثم سألتها:

- وما دليلك على هذا

- لقد عملت حوالي الأسبوع كخادمة لها إلا أنني ندمت على هذا وتركت عملي على الفور عندما تناهى إلى مسامعي وأنا أعمل تلك المكالمة التي أجرتها وهي تطلب من محدثها إمدادها جرعة من مخدر الـ(...) للاستخدام الشخصي، ووجدت نفسي بلا وعي أسجلها بهاتفني وكأني سأحتمي بهذا التسجيل من أي بطش محتمل قد تبطشه بي بسبب تأثير تلك الأقراص، وبعد أيام كنت قد تناسيت فيها ما سمعته وقع شيء في يدي بينما أقوم بالتنظيف وهذا الشيء الخطير كان أوراق ومن خلالها علمت أيضا أنها لا تتعاطى المخدرات فقط بل تتاجر بها وتحصل على مبالغ هائلة من وراء هذا!!، وبالطبع أبقيت نسخة معي منها كما أن التسجيل ما يزال بحوزتي وسأعرضه على حضرتكم لتتأكدوا بطرقكم وتحققوا العدالة التي نرجوها منكم

وهنا فاضت مشاعر الحنق لدى راندا التي صرخت بهيستيرية:

- أوغادا! وأنت أيتها العجوز الثرثرة اللعينة كيف تفتشين منزلي!
كيف؟ كيف؟

ثم وجهت نظرها إلى إيميلي وصرخت:

- أنت أيتها الخائنة! سأقتلك ... سأقتلك كما فعلت سابقا بتلك
الخبیثة ناتالي!

وانقضت على عنقها بشراسة محاولة خنقها، إلا أن وصول أفراد الشرطة
في الوقت المناسب منع حدوث هذا...

وعند هذا الحد طرق القاضي طرقة نهائية عنيفة لقطع البلبلة التي
عمّت القاعة، ثم قال بعد مشاورة من هيئة المحلفين:

- لقد سقطت تهمة قتل السيدة براون عن الآنسة جيهان مندو
ثم تابع بحدّة:

- وجرّمت الآنسة راندا تشارلز بتهمة القتل المتعمّد وتجارة
الممنوعات

جن جنونها وأخذت تصرخ وتقول بلهجة ممزقة:

- لا يمكنك فعل هذا بي ... أنا ابنة المحافظ "باتريك تشارلز" ...
سيمزقكم أبي إن علم بهذا ... سـ... سيقضي عليكم!!

لم يأبه أحد لصراخها، وكبّل ساعديها بالأغلال استعدادا لنقلها إلى السجن
المركزي بعد استكمال التحقيقات الخاصة بتجارة المخدرات، وبعدها
خُلت الجلسة ليخرج الجميع متدافعين من القاعة، وتخرج جيهان مرفوعة
الرأس بصحبة أمل ولجنة الدفاع العتيدة، وبعد عناق دام طويلا بين أمل
وجيهان تقدمت أمل نحو إيميلي وهبّت لتعانقها ثم قالت:

- لا أعلم كيف أوفيك حقك يا إيميلي، أشكرك من كل قلبي على كل ما قدمته لنا، شكرا جزيلا لك

ابتسمت إيميلي ثم قالت برقة:

- لا تشكريني ... بل اشكري من حنّتي على قول الحقيقة ودبرّ مع الخادمة موضوع الأدلة وبالأخص دليل تجارة راندا بالمخدرات، فلتشكري أحتك ندى

توقف الزمن بالنسبة إلى جيهان التي شهقت ثم هتفت غير مصدقة:

- ما ... ما الذي أسمعه؟؟! ن...ندى؟؟ كيف؟؟!!

قالت أمل بحنو:

- أظن أن الأوان قد آن لكي تلتقي بندى من جديد بعد أن فرقتك وإياها شتى المصائب والأحداث المريرة

اغرورقت مقلتا جيهان الرماديتان بالدموع وهي تتمتم:

- إذا ندى ما زالت ... على قيد الحياة؟؟! أووه هذا أمر لا يصدّق!

- ستصدقين حين ترينها، هيا يا ندى كفي عن لعبة الاختباء تلك، فلتظهري من مخبأك

خرجت ندى من مكانها الشبه سرّي بإشراق ثم قالت بعد تقدمها نحوهم:

- مبارك نجاتك ... يا حبيبتي جيهان

انهارت دموع جيهان بلا سابق إنذار وهتفت بدهشة:

- ندى!!!

وبعدها شاركتها أمل عناقهما الذي دام طويلا...

38

أمسية هادئة

- هيا يا سارة ... لقد حان دورك الآن
- بادلت الحضور ابتسامة لطيفة، ثم بدأت تروي قصة بينما يستمعون إليها وهم متدثرين بالأغطية الشتوية الثقيلة...
- ستكون قصتي ذات طابع ديني، إن لم يمانع أحدكم
- قالت مخاطبة جودي، التي سرعان ما هزّت رأسها وقالت:
- لا مشكلة لدي ... إنها ثقافة بكل الأحوال
- ابتسمت سارة ابتسامة ذات مغزى وبدأت قصتها:
- كثير منا من يعتقد أنه قد أصبح مسلمًا مؤمنًا لمجرد التزامه بفروض الله! فهناك من الناس من يتصدق بثلاثة دنانير ليرفع يديه عاليًا إلى السماء وهو يقول: "اللهم لا تضيعها عندك!" وهناك من يدفع زكاة ماله - المفروضة عليه - ليشترط على الله القصر الأبيض في جنات الفردوس! ومنا من يقوم لله ليلة يتيمة ليعتقد بعدها أن الله سيبنى له منزلًا في الجنة بجوار رسول الله "صلى الله عليه وسلم"! ومن الناس من يذهب للدعوة إلى سبيل الله فإذا قوبل بالرفض من أول مرة رفع يديه إلى السماء ليقول "اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد"" وهناك من الدعاة من إذا سُبَّ أو استهزئ به لمرة واحدة فقط رجع حزينًا وهو يقول

"اللهم إني أشكو لك ضعف قوني وقلّة حيلتي وهواني على الناس!" فيظن هؤلاء بذلك أنهم قد وصلوا إلى مرتبة الصديقين والشهداء! ولكن الإيمان الحقيقي لهو أعظم من ذلك بكثير... والحقيقة هي أنك إذا لم تتعرض لابتلاء، فاعلم أنك لم تصل إلى مرحلة الإيمان!

سحبت نفسا عميقا، ثم أردفت بحماس:

- بطلتنا الآن هي إنسانة دخلت في قوله تعالى (ولقد فتنا الذين من قبلهم)، فهذه الإنسانة لم يبتليها الله فحسب، بل ابتلاها بأحقر وأسفل خلقه بالتاريخ: فرعون!، إنها ماشطة بنت فرعون والتي لم تكن أكثر من مجرّد امرأة صالحة تعيش هي وزوجها في ظل ملك فرعون، بينما تعمل كماشطة لبناته، فمنّ الله عليهما بالإيمان، فلم يلبث أن علم فرعون بإسلام زوجها فقتله في اللحظة ذاتها

شربت من كوب قهوتها الساخنة ثم تابعت بحرارة:

- فأخفت زوجته إسلامها، واستمرّت بالعمل في قصر فرعون تمشط بناته، وتنفق على أولادها الخمسة، وفي يوم من الأيام وبينما هي تمشط ابنة فرعون وإذ بالمشط يقع من يدها على الأرض فتناولته هذه المرأة المؤمنة من الأرض وهي تقول "بسم الله" فقالت ابنة فرعون "الله أبي!"، فصاحت الماشطة بها: "كلا! بل الله ربي وربك ورب أبيك" فذهبت تلك المجرمة ابنة المجرم إلى أبيها لتخبره بأمر ماشطتها، فثارت قيامة فرعون بوجود من يعبد الله بقصره، فأحضرها وقال لها "من ربك؟" فقالت بثقة: "ربي وربك الله" فأمرها فرعون بالرجوع عن دينها وإلا حبسها وعذبها، فأبت تلك البطلة أن ترتد عن الإسلام

سكنت سارة ولم تتابع فهتف جاد وأخته جودي بصوت واحد:

- وما الذي حصل بعد هذا

ثم نظرا إلى بعضهما وأطلقا ضحكة جذلة، بينما تابعت سارة تسرد قصتها:

- فأمر فرعون بقدر من نحاس فملئت بالزيت ، ثم أحمي حتى غلا، فأوقفها أمام القدر، فلما رأت العذاب ، أقبلت على القدر تريد الشهادة ، فعلم فرعون أن أحب الناس إليها هم أولادها الخمسة، الذين كانت ترببهم بعد أن قتل أباهم ، فأراد ذلك المجرم أن يزيد في عذابها، فأحضر الاطفال الخمسة إلى غرفة التعذيب الفرعونية، فلما رأوا أنهم تعلقوا بها يبكون، فانكبت عليهم تقبلهم وتضمهم إلى حضنها باكية، فأخذت أصغرهم وضمته الى صدرها وأرضعته، فأمر فرعون بأكبرهم، فجزه الجنود ودفعوه الى الزيت المغلي والگلام يصيح بأمه ويستغيث ويسترحم الجنود ويتوسل الى فرعون ويحاول الفكك والهرب، ولكن الجنود كانوا يصفعونه ويدفعونه إلى الزيت المغلي دفعا، كل هذا وأمه تنظر اليه وتودعه بدموعها بعد أن عجز لسانها عن الحركة، وما هي إلا لحظات، حتى ألقى الصغير في الزيت، والأم تبكي وتنظر إلى طفلها وهو يحترق، بينما فرعون يقهقه وإخوته يغطون أعينهم بأيديهم الصغيرة من هول المنظر، حتى إذا ذاب لحمه عن جسمه النحيل، وطففت عظامه البيضاء فوق الزيت، نظر إليها فرعون مرة أخرى وأمرها بالكفر لكي يعفو عن البقية، فأبت هذه الفدائية، فزاد غضب فرعون، فأمر بولدها الثاني، فسُحب من عند أمه وهو يبكي ويستغيث، فما هي إلا لحظات حتى ألقى في الزيت، والأم تنظر إليه وتبكي، حتى طففت عظامه البيضاء واختلطت بعظام أخيه، فما زاد ذلك المنظر الأم

إلا ثباتا على الإسلام ، ثم أمر فرعون بالثالث ففعل به نفس الشيء، ثم أمر السفاح فرعون أن يطرح الرابع في الزيت، وما هي إلا ثوان حتى غاب الجسد وانقطع الصوت، فجاهدت الأم نفسها أن تتجلد وأن تتماسك، فالتفتوا إليها وتدافعوا، وانتزعوا الخامس الرضيع من بين يديها، فلما انتزع منها صرخ الصغير فانهارت الأم ودموع الرضيع تغطي يديها، فكادت أن تنهار من أجل رضيعها المظلوم، عندها حصل شيء لم يتكرر في تاريخ الأرض إلا أربع مرات فلقد تكلم ذلك الرضيع!، وقال لها: "يا أماه اصبري فإنك على حق" ثم انقطع صوته عنها بعد أن ألقوه في الزيت المغلي، لتختلط عظامه بعظام إخوته الأربعة، فما هي عظامهم يلوح بها القدر، ولحمهم يفور به الزيت، لتنظر المسكينة الى هذه العظام الصغيرة وهي تتذكر أطفالها الصغار يمرحون بين يديها!، ثم اندفع أولئك المجرمون نحوها وأقبلوا عليها كالكلاب الضارية، وقبل أن يلقوها في الزيت المغلي، التفتت إلى فرعون وقالت : "لي إليك حاجة " فصاح المجرم فرعون : " ما حاجتك ؟ " فقالت: "أن تجمع عظامي وعظام أولادي فتدفنهما في قبر واحد" فقال فرعون وهو يقهقه: "لك ذلك" فألقى الجند بها في الزيت المغلي، لتستشهد في سبيل الله، وتختلط عظامها بعظام أطفالها الصغار.

ثم ختمت سارة قصتها بلهجة مؤثرة:

- وبعد ذلك بما يزيد عن 1500 سنة وبينما رسول الله " صلى الله عليه وسلم" مع جبريل في ليلة الإسراء والمعراج، وإذ به يشتم رائحة طيبة، فيسأل جبريل عنها قائلا: " ما هذه الرائحة الطيبة يا جبريل؟" فيجيبه جبريل: " هذ رائحة ماشطة بنت فرعون، وأولادها"

رفع باسل يده بحماس وقال:

- لقد غلبتنا يا سارة، قصة رائعة!

أيده جاد بعد أن سرت له عدوى الحماس:

- نعم يا آنسة سارة ... سلمت

وبعدها، تعلقت العيون بجودي التي تنحنت بجلستها وقالت:

- قصة لطيفة ومؤثرة، لقد استمتعت بها

ابتسمت سارة بإشراق، وقالت بسرّها:

- لقد خصصت هذه القصّة من أجلك يا حبيبتى فمن الآن وصاعدا

لن تفتّر عزيمتي حتى أدخلك في دين الإسلام...

جيهان

كم أتمنى أن تتوقف عجلة الزمن عند هذه اللحظة وفي هذا المكان، حيث جلسنا ثلاثتنا سويةً، أنا وأمل وحبيبة عمري ندى، تتبادل أطراف الحديث ونقضي وقتاً ممتعا مع بعضنا، لكن الزمن لا يتوقف والحياة ستستمر شئنا أم أبينا، إلا أنني اتخذت قراري من أجل السنين القادمة التي سأعيشها ومع أن هذا القرار مرّ وصعب، إلا أنه سيكون الأفضل بالنسبة لي ولمن حولي هذا ما ظننته حينها...

- جيهان ... أمك تتصل

أمسكت هاتفي المحمول بفرح جلي، ورددت على مكالمة الفيديو التي كانت من قبل أمي، آه كم اشتقت لك يا أمي الغالية!...

- جيهان!! مبارك يا ابنتي مبارك يا حلوتي!، حمدا لله على سلامتك، حمدا لله الذي نجاك من كل مكروه، أوه يا صغيرتي! لقد هزل وجهك! وتلك الهالات الداكنة التي تحيط عينيك!! هل أنت مريضة يا حبيبتي؟؟ هل بك شيء؟ هل تأكلين جيدا؟ لا لا هذا لا يجوز، ألا تعتنني بك أمل؟ كيف تركوك تصبحين بتلك الحالة يا فلذة كبدي؟ كيف؟

وبدأت عبراتها تهطل على وجنتيها بسخاء، فقلت بابتسامة رقيقة:

- لا تكدرني نفسك يا أمي الغالية، أنا بأتم الصحة والعافية، وأمل تعتنني بي كثيرا، كل ما في الأمر أن للعمر حقه ولسهاد الليالي الذي عانيته حقا في جعلني هكذا

- سهاد الليالي؟؟ كم من ليال أمضيتهما في ذلك السجن المخيف وأنت تحسبين عداد عمرك!، يا ويلتي! ليتني مت قبل أن يحدث هذا ... ليتني مت

هتفت بحرارة:

- لا يا أمي أفديك لا تقولي هذا، لقد انتهى كل شيء الآن وها أنا ذي أمامك حية أرزق

ثم استطردت بلهجة بدت لمن حولي غريبة:

- وقريبا جدا سأكون بقربك وسأقضي حياتي كلها معك

قالت أمي بتشكك:

- وماذا بشأن عملك؟

ران الصمت للحظات، إلا أن قطعته وأنا قول بصوت حزين والعبرات تترقرق في مقلتي:

- هذا ما سأخبرك به، فأنا من الآن وصاعدا لن أعمل ... نعم، لن أعمل بعد اليوم

شهقت أُمي بلوعة، بينما تسمرت الأختان تحديقان بي بدهشة جليّة..

39

فرصة عمل

دخل عمر موفق إلى الغرفة التي احجزها وسوزي مؤقتا في الفندق، ثم هتف بحماس:

- لقد عرضت عليّ فرصت عمل مغربية يا سوزي، كما أنها كما كنت أتمنى وأفضل

نظرت بسعادة ثم قالت:

- ما هي؟ وكيف؟

- لقد كنت أتمشى في الشارع الذي قرب الجامعة فرأيت ملصقا لشركة تحث فيه من يتقن لغات البرمجة أو قسما منها، ويجد نفسه أهلا لتصميم المواقع الإلكترونية أو البرامج، أن يتواصل مع المدير الخاص بالشركة

- إيه وماذا فعلت؟

- دوّنت الرقم سريعا واتصلت به، وقد حدد معي موعدا في مساء اليوم الساعة الثامنة، لكي أحدثه عن خبراتي وعمّا أتقنه

- وهل العمل سيكون بفرنسا؟ وماذا بشأن منزلنا؟

- سنرى الليلة، لا تقلقي سأستفسر عن كل شيء

- وماذا بشأن الجامعة؟

- أوه قلت لك لا تقلقي، فبكل الأحوال الجامعة افتراضية، أي بإمكانني أن أتابع تعلّمي عن بعد

زفرت وهي تفكر، ثم قالت بحنو:

- هذا مستقبلك يا عزيزي، وفقك الله وسدد خطاك

احتضنها بحبّة، ثم راح يعدّ ما سيقوله في المقابلة...

أنته صورة الرجل الذي خاطبه برزانة:

- فلتحدثني عن نفسك، ولتخبرني بما تعرفه لأخبرك بعرضي

تنفس عمر الصعداء ثم قال بجديّة:

- اسمي عمر موفق، أبلغ من العمر 20 سنة، بدأت منذ سنتان تعلم البرمجة في جامعة افتراضية بدبي، لكن بدايات تعليمي للبرمجة كانت منذ كنت في السادسة عشر، فيمكنك أن تقول إنني متقن لجوانب كثيرة منها

- وما اللغات التي تتقنها؟

- تقصد اللغات البرمجية؟

- بالضبط

- حسنا ... أنا أتقن كلا من اللغات "HTML" و "CSS" بالإضافة إلى لغة "JAVA SCRIPT"

- أووه هذا رائع! وهل لديك أي أدنى خبرة في التعامل مع برامج تصميم الصور وما إلى هنالك

- بالتأكيد سيدي، فمنذ حوالي سنة، قمت بإجراء كورس لتعلم "الفوتوشوب" للمبتدئين، وبعد أن طبقت ما تعلمته عمليا، انتقلت إلى الكورسات الاحترافية واجتزتها أيضا بدرجات عالية
- وماذا بشأن التعامل مع الأجهزة الذكية؟
- أنا ملم بهذا بالتأكيد
- وهل لديك السرعة الكافية أثناء الكتابة على لوحة المفاتيح
- بالطبع، هذا شيء بديهي بالنسبة لي
- حسنا فلننتقل إلى شيء آخر، ما اللغات التي تعرفها
- تقصد الآن اللغات العادية صحيح؟
- ضحك الرجل الأربعيني، ثم قال بخفة:
- نعم هذا ما أقصده
- حسنا إن لغتي الأم هي العربية، لكنني أجيد الإنجليزية أيضا كما ترى
- وماذا بشأن الفرنسية؟
- أستطيع أن أتكلم بشيء منها، لكن إن تطلب الأمر سأتعلمها سريعا لا تقلق
- صمت الرجل وهو يتأمل عمر بتركيز ثم قال بعد وقت قصير:
- حسنا إن شروط المهنة كالاتي، سنبدأ بنصف دوام وإن كان أدائك مرضيا سنمنحك دواما كاملا، أي ستبدأ منذ توقيع العقد بالعمل لمدة أربع ساعات يوميا، وبهذا تستطيع التوفيق بين

العمل والدراسة، وفي نهاية كل شهر تأخذ راتبا مناسباً للمهمة التي قمت بها، فنحن برأس كل شهر نقيم اجتماعاً عن بعد ونقسم المهمات على الموظفين، ثم يكون الراتب حين يتم تسليم العمل، وطبعاً أي تلوّ أو نقص في العمل يحسم مقابلهما من الراتب

- ممتاز، وبهذا يمكنني العمل وأنا في دبي أليس كذلك، فأنا هنا في زيارة فقط

- نعم لا مشكلة، نوّّع العقد لمدة سنتين مبدئياً فهذه أقل مدّة لعقودنا مع الموظفين، ثم إن كان عملك جيداً ورغبت في تجديد العقد، تسافر لمرة واحدة إلى هنا ثم ترجع إلى وطنك، لا تقلق

- جميل، ومتى سيتم توقيع العقد؟

- بعد يومين سأتصل بك وأحدد موعداً مناسباً، ونتحدث حينها عن الأجور والأمور المالية

- اتفقنا

أغلق الخط ونحى حاسبه الشخصي جانبا، فدخلت سوزان الغرفة وقالت له:

- خيراً؟ هل تمّ قبولك؟

- مبدئياً أظن هذا، إلا أنه سيتصل بي بعد يومين لتحديد موعد لمقابلتي وتوقيع العرض

رفعت يديها إلى السماء، وقالت بصوت مؤثر:

- رضي الله عنك يا عمر، ووفقك وألهمك إلى كل خير

ابتسم بصفاء ثم قال على إثر دعائها:

- آمين يا غاليتي ... آمين

أنهت سلسلة أدعيتها ثم قالت مستدركة:

- لا تنسى صلاة الاستخارة يا حبيبي ... فلتصلبها أولا ثم تسأل الله التوفيق

أيديها بحركة من رأسي، ثم ابتسمت وأنا أرقب تغير حالها، وأحمد الله الذي هداها للطريق الصواب...

عُمر

- أتوصيني بشيء يا غاليتي؟

نظرت الآنسة ندى إلي بحنو ثم قالت:

- ستذهب الآن أليس كذلك؟

- بلى ... فبعد أن رأيتمكم هكذا وتأكدت أنكم بخير عليّ الآن العودة إلى دبي، كما أنني سأعمل بشركة فرنسية عن بعد

- أوه حقا! مبارك يا عمر ... مبارك يا صغيري

ابتسمت وشعرت بالسعادة التي طالما أشعر بها، عندما تنادينني بصغيرها، فأتحسس الكلمة وأعيشها إذ إنني لم أحظى بأم تنادينني بها فبعثها الله لي لكي تعوضني عن أمي التي فقدتها منذ صغري

- حسنا إذا بأمان الله ورعايته

- رافقتك السلامة

كدت أذهب إلا أنني توقفت لأسألها:

- صحيح ... أود أن أسألك سؤالا ... إن لم تمنعني

- تفضل

- ألن تعودي إلى وطنك وتقابلي أهلك بعد طول فراق؟

ابتسمت بلطف وقالت:

- بالتأكيد، فحالما أنهى أموري هنا ... سأعود إلى سوريا

إلا أنها لم تكن تعلم أن ظروف عودتها المفاجئة لن تسمح لها بإنهاء أيا
من تلك الأمور!...

40

تأمل... تفكّر

- اللهم إنا لك صمنا ... وبك آمنا ... وعليك توكلنا ... ذهب الظمأ وابتلت العروق ... وثبت الأجر إن شاء الله تعالى
- ورّعت سارة قطع الخبز على الحاضرين، ثم صبّت في أوعيتهم حساء الدجاج الساخن وأعطت لكل منهم قطعتين من "البرك"، ثم سكبت "أرز المندي" في صحون وناولت كل واحد صحنه..
- إفطار شهي ... بالعافية
- بدأوا يأكلون الطعام بنهم، فبعد طول يوم صيام لا يستطيع المرء مقاومة الأكل!، كانت جودي تأكل وهي مطرقة وهادئة على غير العادة، فسألها باسل بلطف:
- ما بالها جودي؟ من أزعجها؟
- رسمت ابتسامة متقنة على وجهها وقالت بالهدوء ذاته:
- لا شيء ... أنا بخير
- تركها وشأنها وتابع طعامه، فران صمت خفيف على الجلسة الشبه عائلية إلا أن قطعه جاد:
- عمي باسل، هل سنصلي التراويح بالمسجد؟ أم نصليها جماعة هنا؟

- للأسف ... لا أظننا سنلحق فالمسجد بعيد عن هنا، فلهذا
سنصليها جماعة

صفقت سارة بجذل وقالت:

- كم اشتقت لصلاة التراويح!، آه ما أجمل رمضان!!

- الله أكبر!

بدأ ثلاثتهم بالصلاة، باسل ... سارة وأخيرا جاد، بينما جلست جودي على الأريكة تتأملهم مفكرة، ثم قلبت نظرها في أرجاء الغرفة التي كانت تعبق برائحة البخور والتي زينت بمصابيح لطيفة ملونة وبعض العبارات عن رمضان، وبعض الزينة أيضا، ثم أعادت بصرها إلى المصلين ترمقهم بتركيز وتصغي بكل جوارحها للقرآن الذي يرتله باسل بكل إتقان...

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (*) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (*) ... "

توقف سمعها للحظات، وبدأت تفكر؛ الذين كفروا؟ هل هي من الذين كفروا؟ ألا تؤمن هي بوجود الله؟ بالتأكيد تؤمن بهذا إلا أنها ... تنكر ولا تقبل الاعتراف، هل هي حقا من الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم؟؟، شعرت بغم عندما راح تفكيرها إلى ما هو أبعد، إلى والديها ... هل كانوا من الذين كفروا؟؟، شعرت بنوبة بكاء تعثرها إلا أن روعها هدأ عندما عادت من جديد لتستمع إلى باسل الذي كان يرتل من سورة مغايرة...

- "وسيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (*) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (*)" ...

شعرت بغصة في حلقها، وبتجمع للعبرات في مقلتيها فسارعت إلى الحمام، وبين دموعها نظرت إلى وجهها المحترق وتابعت البكاء، كانت مصرّة على عدم إسلامها إلا أنها كانت تشعر وبشدة بخوف من عنادها، جهنّم؟ الخلود في جهنم؟ الذين كفروا مجدداً؟؟، هي لا تريد مثل ذلك المصير، هي بالطبع لا تريد لوالديها مثله...

خرجت من الحمام لغرفتها سريعاً، ألقّت نفسها على السرير بإعياء وتابعت بكاءها...

- أيها الرب ... لا أريد الدخول إلى النار ... لا أريد، ولا أريد لوالديّ مثل ذلك المصير ... أوه ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

سمعتهم يقيمون الصلاة من جديد، فمسحت دموعها وعدّلت هياتها ثم توجّهت إلى الغرفة ذاتها وبينما كانت تهم بالدخول سمعت باسلاً يقرأ... "إنّك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء وهو أعلمُ بالمهتدين"

عادت إلى غرفتها وفي رأسها غاية تريد نيلها، فتحت هاتفها المحمول وبدأت تبحث وتبحث ... وتبحث

- هذا فطورك عزيزتي جودي، دقائق معدودة ويتخمر الشاي

- وأنت أئن تأكلي؟

- لا يا حبيبتى ... فأنا صائمة

أطرقت جودي وهي تشعر بانزعاج، فمنذ دخول شهر رمضان تغير كل شيء تقريبا، فهي تستيقظ مبكرا كعادتها بينما أياها يظل نائما لوقت متأخر، وعندما تزور سارة تأكل لوحدها أو تكون سارة منشغلة عنها بقراءة القرآن والطاعات الأخرى، وعندما ترجع إلى منزلها تجد أياها على الوضع ذاته، وهذا ما يشعرها بأنها غريبة، غريبة جدا بدينها وتفكيرها وحتى بنمط حياتها...

- سارة ... لماذا تصومون بـرمضان؟ ما الغاية من هذا؟ وما الفائدة المرجوة منه؟

طالعتها سارة بابتسام وقالت:

- إن الصوم طاعة لله عز وجل، كما أنه يعوّد الصبر وتحمل الشدائد وذلك عندما نتحمّل الجوع والظمأ، كما أنه وسيلة فعّالة لتقوية الإرادة والعزيمة، وهو تدريب عملي على مراقبة الله في السر والعلن فعندما نصوم ونجوع نجد الطعام في منزلنا وفي متناول يدينا إلا أننا نمتنع عنه ليس خوفا من الناس وإنما خوفا من الله، ولا تنسى يا حبيبتى أنه يبعث على الرحمة؛ لأننا عندما نجوع ونعطش يتحرك قلبنا لتذكر الجائعين وتفقد المعوزين من الفقراء وذوي الحاجة فنواسيهم ونحسن إليهم ولا نبخل عليهم، وبهذا يحب الفقير الغني ويعطف الغني على الفقير وعندها يسان المجتمع من أمراض الكراهية والحقد والصراع الطبقي

قالت جودي بتشكك:

- إنها فوائد خلقية واجتماعية، لكنني سمعت ذات مرّة أن له فوائد على الصحة فهل هذا صحيح؟

قالت سارة بحماس، خالف التعب الذي كانت تشعر به:

- بالطبع يا حبيبتي، إن الصيام المستوفي للقواعد الصحية يريح جهاز الهضم من تشغيله الدائم وخاصة عند المصابين بالتخمة، وبعض الاضطرابات الهضمية، ويذيب الفضلات السامة، ويقي من تراكمها في البدن لترحها دون وارد جديد، كما أنه يخفف السمنة، ويفيد في عدّة أمراض كالداء السكري عند البدين، وغيره من الأمراض، وهل تعلمين أن بعض العلماء أجمعوا أن هناك أمراضا لا سبيل إلى مداواتها إلا عن طريق الصوم، وحسبك دليلا على فائدة الصيام الصحية الحمية التي يفرضها الأطباء على المرضى ويجعلونها رأس كل دواء

صمتت جودي وبعقلها تعتمل أفكار شتى...

41

مكالمة مخيفة!

جلسن ثلاثتهن في غرفة واحدة، وبدأن يخططن لما عليهن القيام به ويحددن الأولويات التي سيمشين على أساسها...

- حسنا ... لقد تركت المستشفى وأنهيت كل شيء، لذلك سأسارع بالعودة إلى والديّ، لكي أستقر هناك وأتناسى كل شيء بصحبتهم

قالت أمل عقبها:

- وأنا مثلك تماما، فأدم يحثني على الرجوع مرارا وتكرارا وأنا كذلك سئمت هذه البلاد التي لا تجلب إلا المصائب، والآن وبعد أن أنهيت مهمتي أظنني سأعود أيضا

زفرت ندى وهي تفكّر ثم قالت بهدوء:

- أنا لم أنته بعد فعلي إنهاء بعض الأمور هنا، وأولها توديع السيدة نجوى وشكرها

- وماذا بعد؟

- سأعلمها أن ابنها يلجّ عليّ كثيرا لكي ترضى أن تكلمه، وأنّه يريد إصلاح خطأه، وبعد أن يجتمعا أظنني سأعود إلى سوريا

قالت أمل بجديّة:

- وماذا عن والدينا؟ إلى متى ستخفي هذا عنهما؟ ألم يأن الأوان بعد؟

- لا تقلقي يا أمل، قلت إنني سأعود ... ما بك؟

زفرت أمل بحلق ثم قالت بهدوء:

- لا أعلم يا أختي، لكنني أشعر بغصّة في قلبي، أشعر ... أن شيئاً سيئاً سيحدث

قالت جيهان مخففة:

- تفاءلي بالخير يا حبيبتي، إن شاء الله لن يحدث أي شيء غير الخير

كادت أمل تتكلم إلا أن صوت رنين هاتفها الملح بتر بداية حديثها، وهنا قالت بالهدوء ذاته:

- إنه آدم ... سأرى ما الذي يريد

خرجت من الغرفة بسرعة فنظرت جيهان إلى ندى نظرة ذات مغزى ثم ضحكتا سوياً، ولكن ضحكهما لم يستمر عندما دخلت أمل بهلع والعبرات تتساقط من مقلتيها تباعاً، وقالت بصوت متقطع إثر البكاء:

- ندى! ... إن ماما على فراش الموت ... إن أمنا تلفظ أنفاسنا الأخيرة!!

شهقت ندى وتسمرت بمكانها، وكان الحال ذاته مع جيهان التي قالت بحزن عميق:

- لا يجب أن ننتظر هنا، يجب أن نلحق بها لعلنا نستطيع إفادتها بأي شيء

أمسكت هاتفها وبحثت سريعا عن مواعيد الرحلات الجوية، وما لبثت أن قالت:

- لقد حجزت لثلاثتنا مقاعد في الطائرة التي تنطلق في تمام الساعة السادسة، أي بعد حوالي الأربع ساعات مسحت أمل عبراتها بطرف كمها وقالت بأسى:
- سأحزم أمتعتي

وخرجت من الغرفة دون أن تنطق ببنت شفة إضافية، إلا أنها عادت سريعا عندما سمعت صوت نحيب ندى العال...

- لم أرها بعد!!، لم أشبع من رؤيتها ... يا رب احفظ لي أمي، فأنا لا ... لا أستطيع العيش للحظة واحدة بدونها
عانقتها جيهان سريعا وهي تقول مهدئة:

- اهدئي يا حبيبتي ... بإذن الله ستكون بخير وستجلسين معها وستتبادلين معها أطراف الحديث، لا تقلقي
- لكنني خائفة يا جيهان
- لا تخافي، توكلي على الله وادع كثيرا

ثم استطردت برجاء مخفي:

- هيا ... الوقت يداركنا، فلتحزمي أمتعتك سريعا لكي ننطلق
أنت أمل وأمسكت بكلتا يديها ثم قالت:

- هيا يا ندى، لقد تجاوزنا العديد من الصعاب معا، وسنتجاوز هذه أيضا

ثم نظرت إلى جيهان وكأنها تريد التأكد مما قالت، فأيدتها بقوة، ثم شرعت كل واحدة منهن في توضيب أغراضها وتجهيز نفسها استعدادا للسفر الغير متوقع...

42

لقاء طفى عليه الحزن

- ندى!!؟

لم تتمالك ندى نفسها أمام والدها محمد الخطيب، فتهاوت على أحضانه سريعا، وبدأت تبكي من كل قلبها بكاء شوق وحزن وحتى فرح، كانت المشاعر عندها مختلطة لدرجة أنها لم تعد تستطيع أن تتكلم بأي شيء وكأن لسانها قد عقد، وقد كان الوضع مماثلا لمحمد الذي قال بصوت متهدج:

- هل متّ أنا؟ أم أنك عدت إلى الحياة؟

ابتسمت بمرارة رغما عنها، ثم قالت والعبرات ما تزال على وجنتيها:

- لم تمت ولم أرجع أنا إلى الحياة، كل ما في الأمر أنني لم أمت من الأصل

أتت أمل على إثرها فعانقهما محمد بكل ما أوتي من قوّة وكأنه يستمد شجاعته وقوته منهما، وبعد أن استطاعتا أن تتلمصا من أحضانه اللامتناهية قالت ندى بتوسّل:

- أمي؟ أرجوك! كيف حالها الآن؟

صمت ولم يعلّق فصرخت أمل تحته على الكلام:

- تكلم أرجوك؟ لا تتركنا حيارى، كيف حالها؟ هل هي بخير؟؟؟

قال بحزن:

- إن حالتها يرثى لها، إنها ... إنها الآن في العناية المشددة، ريثما تتم إجراء العملية الجراحية لها

- هل هو قلبها مجددا؟

- مع الأسف نعم

صرخت ندى هذه المرّة:

- ولماذا لا تتم العملية فورا؟ ما الذي ينتظرونه بعد؟؟

سمعوا جميعا صوت صراخ هزّ أرجاء الممر وتبين لهم كلمات متقطعة من المشاجرة التي كانت تجري:

- كيف هذا ... أين الأطباء؟؟ هل شقت الأرض وابتلعتهم؟ لماذا تقف هكذا؟ أحضر طبيبا على الفور، الجراحة يجب أن تتم ألا تفهم

- لكن يا سيدي من أين آتي لك بطبيب مختص؟؟ قلت لك أنه في عمل هام وقد يأتي وقد لا يأتي ... لا تعقّد الأمور

قالت أمل بصرخة شبه مكتومة:

- إنه آدم!! إنه يضرب الموظف، يا إلهي!!

ركض ثلاثتهم إليه وبدأ محمد يحاول تهدئته، فقال له بحنق:

- ما الذي سنفعله يا عمي؟ لقد انقرض الأطباء دفعة واحدة، ولا يوجد من يستطيع إجراء العملية

فكّرت ندى في الخيارات، وبالحلّ الأنسب وفجأة لمعت بخاطرها فكرة
فهمتفت بقوة:

- أنا أعرف طبييا يمكنه إجراء العملية، إن كان هذا مسموحا سأجري
اتصالا بسرعة لكي أحضره

ران صمت ثقيل عليهم، فقال آدم بنفاذ صبر:

- بالطبع مسموح، فإن تكلموا أي كلمة سيكون موتهم على يدي،
لكننا نريد طبييا ثقة فهذه عملية حياة أو موت

أكدت له ندى بحماس بينما كانت تبحث بهاتفها عن رقم الطبيب:

- لن نجد طبييا ثقة أكثر منه ... فلتعتمدوا عليّ

43

جراحة حاسمة!

قالت بأسى وأسف شديدين:

- لا أستطيع، ليتني كنت أستطيع إلا أنني حقا ... لا أستطيع
- ماذا؟!
- صدقيني يا ندى، أنا آسفة جدا لكنني قطعت عهدا على نفسي بألا أجري أي جراحة أخرى
- هذه المرّة فقط، أرجوك يا جيهان إن أمي الآن بين الحياة والموت ويجب عليك إنقاذها، فلا يوجد أي طبيب ليجري العمليّة لها الآن ونحن لا نستطيع الانتظار فكل ثانية ننتظرها نقطعها من عداد عمرها
- تساقطت دموع جيهان وهي تصرخ:
- قلت لك لن أستطيع فعلها، فأنا لا ... أريد أن أكون سببا في وفاة أمك
- إن لم تحاولي فستكونين أكبر سبب لوفاتها
- قالتها أمل بعدما تقدمت إليهما ثم تابعت:
- ألم نتفق على أننا سنجتاز الصعاب سويا؟ ها؟ جيهان ما بالك؟

- أمل ... لا تجبريني على ما لا أقدر فعله
- قالت ندى محاولة تماسك نفسها لألا تصرخ في وجهها:
- من قال إنك لا تقدرني؟ فلتحاولي يا عزيزتي، وأنا متأكدة بأنك ستستطيعين فعلها، فقط بعض الإيمان والثقة بقدراتك
- بدا وكأن جيهان لا تسمع كلامها، فقد كان نظرها مثبتا في الفراغ وبعد صمت طفيف قالت:
- لقد تذكرت طبيبا يستطيع إجراء العملية أفضل مني بألف مرّة، سأكلّمه وألح عليه ليحضر حالا
- قالت أمل باستنكار:
- طبيب ماذا؟ وكيف تعرفينه؟ والآن تذكرت؟ أوه جيهان ما بالك؟!!!
- ردت جيهان بإصرار:
- ستكون نتيجة العملية مضمونة بإذن الله ولن يتأخر بالحضور أمهليني فقط فرصة قصيرة وسأتم كل شيء، إلا أنني لن أقوم بإجراء تلك العملية
- همّت جيهان بالخروج فأمسكتها ندى من ذراعها ونظرت إليه مستفسرة، ثم نطقت بكلمة واحدة وعلامات الاستفهام مرسومة على وجهها:
- يزن؟
- ابتسمت جيهان بخفة وحزّت رأسها إيجابا ثم خرجت من الغرفة لتجري مكالمتها العاجلة...

أمسكت جيهان هاتفها وبذهنها تعتمل أفكار شتى، هل تتصل بيزن ذلك الطبيب الشاب الذي عرض عليها الزواج سابقا ورفضته لأسباب أولها موضوع سفرها وعملها في فرنسا؟ لكنها بفعلتها هذه قد تعيد له الأمل من جديد ليحاول طلب يدها مرة أخرى!، وهي هل ستوافق أم لا؟، طردت تلك الأفكار عن رأسها بقوة عندما تذكرت مساعدات ندى وأمل لها ووقوفهما بقربها أما آن الأوان لتترد لهما الجميل؟؟ وكرد على ذلك السؤال كوّنت رقم يزن سريعا وانتظرت على أمل أن يرد، وما هي إلا لحظات حتى جاءها صوته الحيوي وهو يقول:

- الو ... آنسة جيهان! ما هذه المناسبة السعيدة؟! أهلا بك

قالت جيهان بصوت رزين:

- أسعد الله أوقاتك دكتور يزن، بصراحة أنا أحتاجك بمساعدة فهل أنت كفؤ لهذا أم لا؟
- بالطبع ... هات ما عندك وأنا جاهز
- حتى لو كانت متعلقة بإجراء عملية ما؟

صمت لبرهة ثم قال:

- أنت تعلمين أن هذا الوقت من السنة هو وقت إجازتي أليس كذلك؟ فكيف سأجري عملية في وقت وأنا أحق به من أي شخص آخر

كادت جيهان أن تجيب باندفاع، إلا أنه أسكتها حين تابع:

- إلا أنك لست أي شخص يا آنسة جيهان وأنت تعلمين معزتك في قلبي جيدا

احمرت وجنتا جيهان خجلا ولم تعلق فأردف بجدية:

- أخبريني تفاصيل الحالة وسأحضر حالا

أخبرته جيهان عن أم ندى وحالتها الصحية بالتفصيل بينما هو يستعد على الخط الآخر ليخرج إلى المشفى التي أعطته عنوانها في بداية الحديث، وعندما انتهت قال بحماس:

- دقائق وأكون عندك، لا تقلقي سيكون كل شيء بخير

أغلق الخط فنظرت إلى هاتفها وابتسمت ثم همست:

- ما أطيب قلبك يا يزن، فرغم صدي السابق لك ما زلت نبيلاً ومحترماً بالتعامل معي كالسابق تماماً!

جلست ندى قرب والدها في قاعة الانتظار تترقب انتهاء العملية وخروج الطبيب، كما جلست أمل على الجانب المقابل تحمل بيدها مصحف وترتل منه بنية شفاء أمها واستعادتها لعافيتها، بينما كان آدم يقطع القاعة جيئةً وذهاباً بتوتر وعصبية ملحوظان للعيان...

أخيراً فتح باب غرفة العمليات وخرج منه يزن بوجه رسمت عليه إمارات التعب والإجهاد، تقدّمت ندى نحوه بسرعة ثم هتفت مستفسرة:

- فلتقل لي ... هل أمي بخير؟؟؟

زفر بهدوء، ثم قال بنبرة محايدة:

- لقد كانت العملية طويلة ومعقدة، وهي لم تستيقظ بعد، لذلك علينا الانتظار حتى تستيقظ لنرى عندها كيف ستصبح

قالت أمل برجاء:

- وهل ستطول مدّة نومها؟
- لا أعلم ... فلندعو الله بأن تستيقظ وبعدها لكل حادث حديث
- شعرت ندى بأن ركبتها لم تعد تقوى على حملها وبأنها أصبحت واهنة اتجاه كل هذا فقالت بحزن وتوسل:
- حضرة الطيب ... أريد أن أدخل لكي أراها، أرجوك!
- لكن يا آنسة، يجب أن تظل الغرفة هادئة فحالتها ما تزال حرجة
- لن أسبب أي إزعاج، أعدك
- حسنا لكن لا تطيلي

دقائق معدودة ودخلت ندى إلى الغرفة ناصعة البياض، تقدمت بهدوء كان أساسه الخوف من المجهول، وبعد أن استقرّت على الأرض بقرب سرير أمها الممددة بلا حراك مدّت يدها المرتجفة ووضعتها على كف أمها البارد ثم قرّبت شفّتها إليه وقبلته بينما تساقطت دموعها التي تعلن عن قلبها الذي يحترق حزنا ... شوقا وهمّاً، ابتعدت قليلا ثم قالت بينما لا تزال بنفس وضعية الجلوس:

- كم اشتقت لك يا حبيبتي!، كم اشتقت لرؤية وجهك الحبيب هذا!، كم اشتقت لتقبيل كفك الحنون وللنوم في حضنك الدافئ!، كم اشتقت للجلوس معك والتسامر عن أي شيء وكل شيء
- أجهشت ببكاء غزير، وتابعت كلماتها بصوت كئيب:

- استيقظي يا أمي أرجوك ... لا تتركيني وحيدة من دونك، استيقظي لأحدّثك عما سبب فراقنا، استيقظي أرجوك يا غاليتي فأنا وأمل ووالدي ننتظرك على أحرّ من الجمر، لا تكسري قلوبنا بفقدك

وأردفت تدعي من صميم قلبها:

- يا رب اشف لنا أمي، يا الله لا تيتمنا بفقدها، أيها العزيز الجبار
اشفها وعافها بقدرتك العظيمة، آمين

مسحت وجهها بهدوء، ثم خرجت بخطوات منكسرة...

44

غرفة الفرع

- ندى! كيف وصلت إلى هنا
- بعد غيبوبة طويلة استمرّت حوالي الأسبوعين، عادت الحياة إلى السيدة وفاء، وهمست بتلك العبارات التي أنست ندى كل الآلام التي عانتها..
- استفاقت ندى بدهشة وتوجهت نحو أمها بسرعة كالبرق وهتفت بانفعال وتأثر:
- فلتفديك ندى ... أنا هنا يا روح ندى
- تنحنت الأم بسريرها بصعوبة قليلة ثم قالت بصوت متحشرج وتأثر:
- لطالما دعوت الله بأن يخلصني من آلامي ويجمعني بك يا حبيبتي، وأخيرا توفاني الله وجمعني بك
- تفاجأت ندى من كلمات أمها، فقالت تسألها:
- أمي ما بك؟ أنت ما زلت على قيد الحياة!، أنا وأنت ما زلنا على قيد الحياة
- قالت الأم بعدم تصديق:
- لا أريد الاستيقاظ من هذا الحلم، ليتني أظل به دائما ندى لا تذهبي وتتركيني

أمسكت ندى بكلتا يدي أمها وقالت بينما تترقرق العبرات في مقلتيها:
 - أمي أنت لست في حلم ... أنا معك وسأظل معك، أنا ما زلت
 هنا

قبلت يديها مرارا وتكرارا، فقالت الأم وهي تبكي:

- إذن أنا لست ميتة ولا بحلم!! إذا هذا واقع! هذه حقيقة
 - نعم يا أمي هذه هي عين الحقيقة
 بذلت الأم كل جهدها لتعانق ابنتها، وبعد أن دام العناق طويلا قالت
 وفاء:

- وكيف حصل هذا؟

ابتسمت ندى وقالت مطمئنة:

- إنها قصّة طويلة وتحتاج إلى شرح مطوّل، المهم الآن أن ترتاحي
 وألا تجهدِي قلبك

دخلت أمل بصحبة زوجها ووالدها إلى الغرفة ذاتها ليطمئنوا على الأم
 وبعد أن رأوها بتلك الحالة ضجّت المستشفى بفرحهم وهرجهم وراح آدم
 يجري اتصالات شتى ليطمئن الجميع عن صحة حماته التي يعدّها بمثابة
 أمه، نظرت وفاء إلى أمل بحنان وقالت بصوت منخفض بدت فيه ملامح
 البهجة:

- أمل حبييتي ... الحمد لله على سلامتك

اقتربت منها أمل وعانقتها بشدة ثم همست لها:

- الحمد لله الذي سلمك لنا يا أغلى أم وأجمل أم بالعالم بأسره

حولت أمها بصرها إلى زوجها وقالت تخاطبه بسعادة لم تستطع إخفاءها:

- محمد ... لقد اجتمعت بابنتيّ ماذا أطلب من الله أكثر من هذا؟،
إن سعادتي لا توصف!

اقترب من ابنتيه وأحاط كل واحدة بيد من يديه ثم قال بسرور ممائل:

- سعادتي لا تقل عن سعادتك يا وفاء، الحمد لله الذي سلمك
وسلمهما لنا ... الحمد والشكر لله

نظر آدم وقال مصطنعا الغيظ:

- وأنا؟ هل نسيتموني؟

ضحكت وفاء ضحكة مقتضبة ثم قالت له بمحبة:

- لا يا ولدي ... فأنت بمثابة أيهم رحمه الله، بارك الله فيك وأمدك
بتاج العافية والقوة

ابتسم بعدما سمع هذا الإطراء المبهج ثم اقترب من الجمع وجلس بقرب
أمل، فمع أنهم كانوا يجلسون على الأرض الباردة في إحدى
المستشفيات بقرب السيدة وفاء التي وصلت بها عدة أجهزة، إلا أن
سعادتهم كانت حينها لا توصف!!

45

الجزء الأخير

بعد ثلاثة أشهر...

عُمَر

دخلت عمّتي سوزان العيسى ومعها صينية وضع عليها كأس عصير وقطعة حلوى كانت قد أعدتها بمهارة، وضعتها بقربي على الطاولة ذاتها التي وضع عليها حاسبي والذي كنت منكبا على العمل به بتركيز

- كم تبقى للاستراحة

أجبتها بينما ما زلت مشغولا في العمل:

- حوالي الربع ساعة، خيرا؟

ابتسمت ثم قالت بغموض:

- مفاجأتان ... الأولى ستعرفها عندما ترى الصورة الشخصية لحساب ندى الشخصي على الفيسبوك، والثانية عندما ترى التغيّرات التي طرأت على مدوّنة جودي الإلكترونية

تعمّدت ألا أظهر أي ردّة فعل عندما قلت بلا مبالاة وبرود:

- حسنا سأرى عندما أتفرّغ فأنا الآن مشغول جدا، هلا تركتني لكي أركز؟

لوت شفيتها بامتعاض ثم قالت بتهكم:

- سأتركك ... كان يليق بك أن تجد عملا مرموقا كهذا وتنشغل به عني!

ثم خرجت من الغرفة، فأوقفت سريعا عداد المؤقت الذي يحدد ساعات عملي وأمسكت هاتفي المحمول ورقنت اسم صفحة الأنسة ندى على الفيسبوك وانتظرت نتائج البحث حتى عثرت على الصفحة أخيرا، نقرت على صورتها الشخصية وتوسّعت ابتسامتي عندما رأيتها، بحجاب رمادي بدا عليها في غاية الروعة! بينما حوّطها جميع أفراد عائلتها بمحبّة! لقد تحجبت من جديدا!، هنيئا لك يا ... ندى، خرجت من الصفحة بعد أن وضعت تعليقا مناسباً لكي تراه، ثم دخلت إلى مدوّنة جودي الإلكترونية وكم كان ذهولي كبيرا عندما لاحظت تغير العنوان الرئيسي من "إلى كل فتاة يتيمة ووحيدة ... تعالي وشاركيني أحزاني" إلى "إلى كل من فقدت الأمل بحياتها ... إليك نصيحتي"، تعمقت في كتاباتها لأقرأ جملة كانت تسطر صفحتها بخط عريض: "اليوم منّ الله عليّ بنعمة الإسلام، ولم أكن أعلم كم هي الحياة مختلفة وجميلة في ظله إلى أن جربتها!! ..."

اغرورقت عيناى بدموع الفرح ثم اتصلت سريعا بصديقي جاد لأشاركه فرحته، حامدا الله الذي هداها إلى الدين الحق..

- ثلاثة ... اثنان ... واحد، افتحي عينيك الآن

فتحت أمل عينيها ببطء، ثم نظرت إلى آدم مستفهمة فمد لها مفتاح فضي اللون وقال لها:

- لقد وصلنا، فلتفتحي الباب

بدت تعابير وجهها بلهاء عندما قالت:

- هل ستفتح باب بيت صديقك بالمفتاح؟ ثم ... كيف أعطاك مفتاح بيته؟؟

قهقه آدم بينما كان مستمتعا بمفاجأته، ثم قال بغموض:

- فلتفتحي الباب ولتؤجلي الأسئلة لوقت لاحق

ثم أردف بابتسامة واسعة:

- يبدو أن محاميتنا لا تنفك عن طرح الأسئلة

تجاهلت تعليقه، وفتحت الباب بهدوء وحذر فوجدت الأضواء مطفأة ثم سمعت صوت آدم بقربها وهو يقول بمرح:

- تجهزي لتتجولي على بساطك السحري هيا

أشعل الأضواء وحثها على المشي فمشت معه طواعية والدهشة تغلف ملامحها، فقادها بجولة في غرف البيت وكانت سعادتها تزداد أكثر فأكثر عند كل غرفة، وعندما انتهت جولتهما قال مناكفا:

- هل أعجبك المنزل ... أستاذة أمل الخطيب؟

نظرت إليه وقالت بينما زينت ثغرها ابتسامة امتنان:

- آدم أنت رائع!!، إنه التصميم ذاته الذي..

أكمل جملتها بثقة:

- إنه التصميم ذاته الذي كنت قد أعدته لمنزل أحلامك، والذي

لم أستطع تنفيذه لك بداية عندما اضطررت للسكن مع والدي

- صحيح! أشعر وكأنني بقصر

ثم أردفت بلهفة طفولية:

- متى سنستقر هنا؟؟؟
- أيام قليلة ريثما تنتهي آخر الإجراءات ثم ننقل أغراضنا ونستقر

توسعت ابتسامتها وهي تقول برجاء:

- إلا أننا لن نترك أهلك صحيح؟ فلقد اشتقت إليهم كثيرا،
وبالأخص هند التي سأروي لها تفاصيل المحاكمة بالتفصيل
الممل

سألها متعجبا:

- ولم هند بالذات؟؟
- رفعت حاجبها الأيمن وقالت باعتداد:
- لتعلم كم أنا محامية عظيمة
فضحك وهو يقول:

- يا لكن من مفتعلات للمشاكل!!

- هيا يا جودي لقد حان موعد أذان العصر
كانت تكتب في مدوّنتها بنهم، لكنها حالما سمعت الأذان نَحّت هاتفها
المحمول جانباً وقامت فتوضّأت وارتدت إسدال صلاتها ثم خاطبت جاد
بلهفة:

- أخي أنا جاهزة لكي نصلي جماعة

ابتسم لها بحنوّ ثم بدأ بالصلاة سوياً، وبعد أن فرغا منها رفع يديه إلى السماء ودعا لوالديه بالمغفرة والرحمة وكانت جودي تعقب على دعائه بـ "آمين"...

- هل تذكّرين ما وعدتك به سابقاً؟

قالها جاد بينما يقوم بطيّ سجادة الصلاة الخاصة به، ففكرت أخته قليلاً وهي تخلع إسدالها ثم هزّت رأسها بالنفي فقال بمرح:

- إذن فلتنسي كل وعودي

- جaaaaاد ... هيا هيا أخبرني

هز رأسه وتراقص حاجباه مشاكساً لها، فهتفت باحتجاج:

- أوه! جاد هذا ظلم، هيا فلتخبرني

ثم أضافت بنبرة تعرف جيداً مدى تأثيرها عليه:

- هنت عليك وأنا أختك التوأم الجميلة! ... هيا قل لي

التقط من أحد الدروج كيساً قماشياً ثم قال:

- لقد وعدتك سابقاً بأنك إذا تحسّنت نفسياً دراسياً واجتماعياً

سأحضر لك هدية، أليس كذلك؟

تقافزت بمرح وهي تهتف:

- نعم صحيح! ماذا يوجد بالكيس؟ قل لي

أعطاه الكيس فأفرغت محتواه سريعاً وسرعان ما صاحت بانبهار

واندفعت لتحضنه بقوة وهي تهتف بحب صادق:

- أنت أروع أخ!! أنا أحبك كثيراً

بادلها العناق لكنه هتف بعد أن استدرك شيئاً:

- لقد نسينا أمرا هاماً!!!
- ماذا نسينا؟
- باسل وسارة سيزوراننا في تمام الساعة السادسة أي بعد ساعة من الآن
- أوه الغداء!، لم نحضّر منه شيئاً حتى الآن
- هرش مقدمة رأسه مفكراً ثم قال وهو يسحبها من يدها باتجاه المطبخ:
- هيا نتساعد في تحضيره، لعلنا ننتهي في الوقت المناسب

- لا لن تقومي بأي عمل ... امشي معي هيا
- أمسكت جيهان يد والدتها السيدة مريم وسحبته برفق لتدخلها من المطبخ إلى غرفة المعيشة وتقول لها بلطف:
- ستجلسين هنا إلى أن يأتي والدي، اتفقنا؟
- طالعتها أمها بدهشة، ثم قالت بنشاط رغم سنها الكبير:
- أجلس هنا بينما تعملين لوحدي؟! لا لا هذا لا يجوز
- أطلقت جيهان ضحكة خفيفة ثم قالت:
- من الآن وصاعداً هذا ما سيحدث، فلتتدلي قدر ما تشائين يا ملكتي، فأنا هنا تحت أمرك وفي خدمتك على الدوام، كفاك ما عانيته في غربتي من هم وتعب وكدر
- ثم قلبت بقنوات التلفاز لبرهة إلى أن هتفت بعد استقرارها على قناة ما:

- أوه إنه فيلم (....) الذي كنت تنتظرين عرضه منذ مدّة!، حسنا سأتركك معه، حظا طيبًا

ثم توجهت لتبدأ أعمالها بكل جدّ وبعد انتهائها من أعمال المنزل أخذت حماما سريعا ثم أتمّت تحضير الغداء عند موعد قدوم والدها، وبعدها بوقت ليس بطويل جلس ثلاثتهم على طاولة الطعام يتسامرون ويتجادبون أطراف الحديث ولم يتطرّق أحد من الوالدين بذكر موضوع عمل جيهان لعلمهما بحساسيتها المستجدة حوله....

وبعد أن انتهوا من تناول الطعام قامت جيهان لتجمع الأطباق وفجأة توقفت عن عملها وطالعت والديها بنظرة امتنان ثم قالت بحب صادق:

- الحمد لله الذي رزقني العودة إليكما يا كل حياتي، أدامكما الله لي وأمدّكما بتاج الصحة والعافية

ابتسمت أمها وقالت لها بنبرة ذات مغزى:

وفقك الله يا جيهان ... ورزقك بابن الحلال!

- فلتتركي الهاتف من يدك، ولتتابع أحاديثنا

صبّت ندى في كأس صغير يحتوي "مئة" بعض الماء الساخن ثم قالت وابتسامة عريضة تزين ثغرها:

- دقيقة واحدة يا أمي فأنا أحدث بريانا، تخيلي أن ابن عمته أي السيدة نجوى عاد إلى أمه وظلّ يلتمس عفوها ورضاها وهما الآن يعيشان في منزلين متقاربين بعد أن أصلح الله بينهما

- حقا؟ قيس ذاته؟

- نعم قيس المغرور وجد أن غروره لن ينفعه وعاد أدراجه ليصلح أخطاؤه
- حمدا لله إذن، ستكون نجوى سعيدة بهذا
- أغلقت ندى هاتفها ووضعت بالقرب منها على الأريكة وتابعت شرب الممتة مع عائلتها، فقالت أمها:
- نعم أين وصل بنا الحديث؟
- اممم ... نعم، عندما كانت جي...، أوه لحظة واحدة إن شخصا ما يرأسلني!
- قالت أمها بتأفف:
- مرّة أخرى!، ما بالهم لا يتركوك وشأنك؟
- إنه العم هشام، يجب أن أحدثه حالا
- ومن دون انتظار رد أمها كتبت له بلهفة:
- هل حللت موضوع وحش المخدرات يا عمي؟ بصراحة أنا أشعر بتأنيب الضمير لأنني لم أستطع أن أساعدكما أنت وبريانا وانهمكت في أعمال أخرى بعدما استعدت ذاكرتي، وبصراحة لا أعلم كيف أرد لك جميلك بمساعدتك لي
- لم يصلها رده سريعا فبعدها قرأ رسالتها سجل لها تسجيللا صوتيا مطوّلا وشرح لها به عن قصّة المكالمة التي لّقها وما تبعها من أحداث، كانت ندى تستمع إلى التسجيل وعيناها تتسع بدهشة، وبعدها فرغت به كتبت له مجددا بينما تشعر بمزيج من السعادة -لكونه وابنته بخير- والغيط - لإخفائهما عنها أمرا كهذا:-

- هكذا إذا يا عمي ... حسنا سأردها لكما يوما ما بالتأكيد وسأنفذ لكما مقلبا محكما أكثر من هذا

ثم أرسلت له "إيموجي" غاضب، فاستمر في مناكفتها وإغاطتها إلى أن تذكرت أمرا كان قد حيّرها من قبل فكتبت تسأله:

- أريد أن أسألك سؤالا

- تفضلي

- لماذا اخترت أن يكون اسمي "أسيل"؟

- لغاية في نفسي

أجابها بدهاء ولم يضيف، فسألته السؤال ذاته بطريقة مغايرة:

- من هي "أسيل"؟

لكنه كان أمكر منها فقال مناكفاً:

- سأخبرك

- حسنا؟

- سأخبرك لكن بعد 34556 سنة

- آه! أرجووووك يا عمي

- لن أفعل قبل انقضاء المدّة

كان قد تمكن من إغاطتها مجددا فاكتفت بكلمة واحدة:

- فهمت

فقال منها الحديث:

- هذا جيد، والآن إلى اللقاء ... ندى الخطيب

تمت بحمد الله

3/8/2024

8:28 AM

شكر من كل قلبي

- إلى جهودي الرائعة....
- إلى والديّ المحبين...
- إلى مساعدي الصغير ... عاصم
- إلى فيلسوفتي اللطيفة ... غنى
- إلى بطل الجمهورية ... عبد الرحمن
- إلى ملهمتي القديرة ... جدتي
- إلى عمّتي الغالية ... أمل
- إلى جمهور النقد العزيز...
- وإلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل...

هيك وبس؟؟ معقول؟! لأ أبداً... لكل الأشخاص الحلوين إلي عم يقرأوا رواياتي ويحبوها
بحب قلكن أنو القادم لح يكون أحلى بإذن الله...

مشان هيك ترقبوا مزيج كتير رائع من روايات بأنواع تانية وأشكال مختلفة...

ولح كون عند حسن ظنكم دائماً!!..

مع تحيات: جنى صرصر



